

الكتاب: السيرة الحلبية  
المؤلف: الحلبي  
الجزء: ٣  
الوفاة: ١٠٤٤  
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة  
تحقيق:  
الطبعة:  
سنة الطبع: ١٤٠٠  
المطبعة: بيروت - دار المعرفة  
الناشر: دار المعرفة  
ردمك:  
ملاحظات:

بسم الله الرحمن الرحيم  
فتح مكة شرفها الله تعالى

كان في رمضان سنة ثمان وكان السبب في ذلك أنه لما آن صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيه أن من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكان قبل ذلك بينهما دماء أي فحجز الإسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم على ما هم عليه من العداوة وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أي يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فإن المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبد المطلب واغتصبه إياها فاطرب عبد المطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض معه احمد منهم وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك وكتب إلى أخواله بني النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فأتوا نوفلا وقالوا له ورب البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت وإلا ملأنا منك السيف فدره ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بني أخيه عبد شمس وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحف فإنهم أوقفوه على كتاب عبد المطلب وقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه أي بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة إذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدتهم أن بيننا وبينكم عهدود الله وميثاقه وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حرا مكانه وما بل بحر صوفه

وفي الامتاع أن سنخة كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أو كد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بغير وما أقام الأخشبان وعمر بنمكة إنسان حلف أمد لطول أمد يزيد طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا آلان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافون متظاهرون متعاونون فعلى عبد المطلب النصر لهم بمن تابعه وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعرني بحقكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف فلما كانت الهدنة وهي ترك القتال التي وقعت في صلح الحديبية اغتتمها بنو بكر أي طائفة منهم يقال لهم بنو نفاثة

أي وفي الإمتاع وسببها أن شخصا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين لما كان بينهم من العداوة فطلب بنو نفاثة من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة أي جاءوهم ليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير فأصابوا منهم أي قتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن أمية وجويطب بن عبد العزى أي وعكرمة ابن أبي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم فإنهم أسلموا بعد ذلك ولا زالوا بهم إلى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة أي ولم يشاوروا في ذلك أبا سفيان قيل شاوروه فأبي عليهم ذلك وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحارث بن هشام إلى أبي سفيان واخبره بما فعل القوم فقال هذا امر لم أشهده ولم أعب عنه وإنه لشر والله ليغزونا محمد

ولقد حدثني هند بنت عتبة يعني زوجته أنها رأت رؤيا كرهتها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمة فكره القوم ذلك وعند ذلك خرج عمرو وقيل عمر العين وصححه الذهبي ابن سالم الخزاعي أي سيد خزاعة في أربعين راكيا أي من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين الناس وقال من آيات

\* يا رب إني ناشد محمدا

\* حلف أئينا وأبيه الأتلا

\* إن قريشا أخلفوك الموعدا

\* ونقضوا ميثاقك المؤكدا

\* هم بيتونا بالوتير هجدا

\* وقتلونا ركعا وسجدا

\*

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم أي ودمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لا ينصرني الله وفي لفظ لا نصرت إن لم أنصر بني كعب يعني خزاعة مما انصر به نفسي وفي رواية لأمنعهم مما أمنع منه نفسي زاد في رواية وأهل بيتي ثم مرت سحابة في السماء وأرعدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا السحاب ليستهل أي وفي لفظ لينصب بنصر بني كعب يعني خزاعة أي وعن بشر بن عصمة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة مني وأنا منهم وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلامه بذلك حدثت عاشقة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الواقعة قال لها لقد حدثت في خزاعة حدثت قالت فقلت يا رسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذي بينك وبينهم فقال ينقضون العهد لأمر يريد الله فقلت خير قال خير وفي لفظ قالت لخير أو لشر قال لخير

وعن ميمونه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات عندها ليلة فقام ليتوضأ للصلاة قالت فسمعتة يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا تصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم إنسانا فهل كان معك أحد قال هذا راجز بني كعب يعني خزاعة يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل أي بطنا منهم وهم بنوا نفاثة قالت ميمونة فأقمنا

ثلاثا ثم صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الصبح فسمعت الراجز يقول يا رب إني ناشد  
محمدا

\* إلى آخر ما تقدم انتهى

وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن سالم وأصحابه فيمن تهتمتكم قالوا بنو  
بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر  
ولما ندمت قريش على نقضهم العهد أرسلوا أبا سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة  
فقالوا له ما لها سواك اخرج إلى محمد فكلمه في تجديد العهد وزيادة المدة فخرج أبو  
سفيان ومولى له على راحتين فاسرع السير لأنه يرى أنه أول من خرج من مكة إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قبل قدوم أبي  
سفيان كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع بسخطه  
ثم رجع أولئك الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان أي ومولى له كل  
على راحلة وقد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في  
المدة وقد خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم إلى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء  
إلى مبركهم بعد أن فارقه فأخذ بعرا وفتنه فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا إلى المدينة  
الشريفة

قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا  
في الأودية أي ليخفى مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة  
إلى الساحل أي وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزم الطريق وإن أبا  
سفيان لقي بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لا  
علم لنا بها أي وقالوا إنما كنا في الساحل نصلح بين الناس في قتل ثم صبر أبو سفيان  
حتى ذهب أولئك القوم وفي لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت إلى خزاعة في  
هذا الساحل قال ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة أي توجه إليها قال أبو  
سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت ابعار اباعرهم  
فوجد فيها النوى قال أبو سفيان احلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى  
فلما قدم أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم  
ورضى عنها ولما أراد ان يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه  
فقال

يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش النبي صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس قال والله لقد أصابك بعدي شر فقالت بل هداني الله تعالى للإسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر وأعجبا منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها فقال أنا أترك ما كان يعبد آبائي واتبع دين محمد ثم خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له إني كنت غائبا في صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا في المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك جئت يا أبا سفيان قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبو سفيان القول على رسول صلى الله عليه وسلم وسلم فلم يرد عليه شيئا هذا

وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمهما الله ان مجيئه لأم حبيبة رضي الله عنها بعد مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفي رواية قال لأبي بكر جدد العقد وزدنا في المدة فقال أبو بكر جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه فقال أنا اشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم أي بها وفي رواية أنه قال له ما كان من حلفنا جديدا أحلقه الله وما كان مقطوعا فلا وصلة الله فعند ذلك قاله له أبو سفيان جزيت من ذي رحم شرا وفي لفظ سوءا ثم جاء إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال أنه ليس في القوم أقرب بي رحما منك فزد في المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك أبدا فقال عثمان جوارى في جواره صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضي الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك أمس القوم بي رحما وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع إلى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه عنها فقال يا ابنة محمد هل لك ان تأمري ابنك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى اخر الدهر قالت والله ما يبلغ بني ذلك ان يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي رواية أنه قال لفاطمة أجبري بين الناس

فقال إنما أنا امرأة قال قد أجارت أختك يعني زينب أبا العاص بن الربيع يعني زوجها وأجاز ذلك محمد قالت إنما ذاك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأمرني أحد ابنك قالت إنما هما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمني عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا فقال يا أبا سفيان انه ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتات علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار وقول فاطمة رضي الله عنها في حق ابنها صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من أن شرط من يؤمن أن يكون مكلفا وأما قولها وإنما أنا امرأة فلا يوافق ما عليه أئمتنا من أن للمرأة والعبد أن يؤمن لأن شرط المؤمن عند أئمتنا ان يكون مسلما مكلفا مختارا وقد أمنت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاص بن الربيع وقال صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجزت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أديانهم كما سيأتي في السرايا وقد تقدم ذلك قريبا عن أبي سفيان وسيأتي قريبا أن أم هاني اجارت وأنه صلى الله عليه وسلم قال لها أجرنا من أجزت يا أم هاني لكن سيأتي ان هذا كان تأكيدا للأمان الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لأهل مكة لا أمان مبتدأ ثم أن أبا سفيان أتى اشراف قريش والأنصار وكل يقول جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء إلى علي كرم الله وجهه وقال يا أبا الحسن إنني أرى الأمور قد انسدت على فانصحنى قال والله لا أعلم لك شيئا يغني وعنك ولكنك سيد بني كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس إنني أجزت بين الناس زاد في رواية ولا والله ما أظن أن يخفرنني أحد ولا يرد جوارى قال وفي رواية أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنني اجزت بين الناس أي وقال لا والله ما أظن أحدا يخفرنني ويرد جوارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا ابا حنظلة وفي لفظ يا أبا سفيان انتهى ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طال غيبته واتهمته قريش انه صبا ابتع محمدا سرا وكنتم إسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الإقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل فلما أخبرها أي وقد دنا منها وجلس ومنها مجلس الرجل من امرأته فضربت

برجلها في صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رءوسهما بالدم ليدفع عنه التهمة فلما رآته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد قال لا والله لقد أبي على وقد تتعبت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له وفي رواية قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت إلى ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو أي وفي رواية أعدى العدو ثم جئت عليا فوجدته الين القوم وقد أشار على بشيء صنعته فوالله لا أدري أيغني عني شيئا أم لا قالوا وبم امرك قال أمرني أن أجير بين الناس أي قال لي لم تلتمس جوار الناس على محمد و لا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها واحقها ان لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا أي وانما قال أنت تقول ذلك يا ابا حنظلة والله لم يزدني قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك أي إزالة خفارتك عليهم لهين والله أراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه ان يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه أن يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله ان يهجزوه أي قال لعائشة جهزينا وأخفى امرك فدخل أبو بكر رضي الله عنه علي ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله أي تجعل قمحا سويقا ودقيقا وفي لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أي بنية امركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري وإن ذلك قبل ان يستشير صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في السير إلى مكة كما سيأتي ثم إنه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز أي وفي الامتاع ان أبا بكر رضي الله عنه لما سأل عائدة رضي الله عنها دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأتجهز قال نعم قال فأين تريد يا رسول الله قال قريشا وأخف ذلك يا أبا بكر وأمر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريده وقد قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أوليس بيننا وبينهم مدة قال أنهم غدروا ونقضوا العهد

واطو ما ذر كرت لك وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله أتريد ان تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بني الأصفر قال لا قال أفتريد أهل نجد قال لا قال فلعلك تريد قريشا قال نعم قال يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة قال أو لم يبلغك ما صنعوا ببني كعب يعني خزاعة قال وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة أي وذلك بعد أن تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير إلى مكة فذكر له أبو بكر رضي الله عنه ما يشير به إلى عدم السير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضي الله عنه حيث قال نعم هم راس الكفر زعموا أنك ساحر وانك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولون وأيم الله لا تذلل العرب حتى تذلل أهل مكة فعند ذلك ذكر صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر كإبراهيم وكان في الله الين من اللين وان عمر كنوح وكان في الله أشد من الحجر وان الأمر امر عمر وتقدم نحو هذا لم استشارهما صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر أي ثم قدمت المدينة من قبائل العرب أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينه ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها أي وفي رواية قال اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجأة وأخذ بالأنقاب أي الطرق أي أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها أي وقال لهم لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه

ولما اجمع صلى الله عليه وسلم المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش أي إلى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم فإنهم اسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا ويقال أعطاه عشرة دنانير وكساها بردا أي وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فإن عليه حرسا فسلكت غير الطريق قال وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب بن عبد مناف وكانت معنيه بمكة وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلمت وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة فقال لها رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت إن قريشا منذ قتل منهم من قتل  
بيدر تركوا الغناء فوصلها صلى الله عليه وسلم وأقر لها بعيرا طعاما فرجعت إلى قريش  
وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فتغنى به انتهى فجعلت الكتاب في قرون رأسها أي ضفائر رأسها خوفا ان يطلع عليها  
أحد ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع  
حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد أي وقيل عليا وعمارا والزبير وطلحة  
والمقداد وأبا مرثد أي ولا مانع أن يكون ارسل الكل وبعض الرواة اقتصر على بعضهم  
فقال صلى الله عليه وسلم أدركا امرأة بمحل كذا قد كتب معها حاطب  
بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد اجمعنا له في امرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فإن  
أبت فاضربوا عنقها فخرجا حتى أدركاها في ذلك المحل الذي ذكره صلى الله عليه  
وسلم فقالا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا  
في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي كرم الله وجهه إني احلف بالله ما كذب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبتنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو اضرب  
عنقك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت  
الكتاب منه وفي البخاري أخرجه من عقاصها ولا منافاة وفيه في محل اخر أخرجه من  
حجزتها والحجزة معقد الإزار والسر وايل قال بعضهم ولا مانع أن يكون في ضفائرها  
وأنها جعلت الضفائر في حجزتها فدفعته اليه وسيأتي أنها ممن أباح صلى الله عليه  
وسلم وسلم دمه يوم الفتح ثم أسلمت وعفا عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بذلك الكتاب أي وصورة الكتاب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم  
بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار إليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم  
فإنه منجز له ما وعده فيكم فإن الله تعالى ناصره ووليه وقيل فيه إن محمدا صلى الله  
عليه وسلم فد نفر فإما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر وقيل فيه ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قد آذن بالغزو ولا أراه الا يريدكم وقد أحببت أن تكون لي يد  
بكتابي إليكم  
أقول لا مانع ان يكون جميع ما ذكره في الكتاب بأن يكون فيه ان محمدا صلى الله  
عليه وسلم قد آذن أي أعلم بالغزو وقد نفر أي عزم على أن ينفر فإما إليكم وإما إلى  
غيركم ولا أراه الا يريدكم وهذا كان قبل ان يعلم بسيره إلى مكة فلما علم الحق  
بالكتاب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه أي يريد التوجه إليكم بجيش إلى آخره  
وبعض الرواة اقتصر على ما في بعض الكتاب والله أعلم  
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال  
ما حملك على هذا فقال والله إنني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما  
كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني ليس لي  
في القوم أهل ولا عشيرة ولي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم أي وفي لفظ قال  
يا رسول الله لا تعجل على إني كنت امرأ ملصقا أي حليفا من قريش وفي كلام  
بعضهم ما يفيد أن الملصق هو الذي لا نسب له ولا دخل في حلف قال ولم أكن من  
أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم وأهليهم بمكة ولم  
يكن لي قرابة فأحببت ان اتخذ فيهم يدا احمى بها أهلي أي وهي أمه  
ففي بعض الروايات كنت غريبا في قريش وأمي بين أظهرهم فأردت ان يحفظوني فيها  
وما فعلت ذلك كفرا بعد إسلام وقد علمت أن الله تعالى منزل بهم بأسه لا يغنى عنهم  
كتابي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد صدقكم فقال عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه يا رسول الله دعني لا ضرب عنقه فإن الرجل قد نافق وفي لفظ قال  
له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش  
تحذرهم وفي رواية دعني أضرب عنقه لأنه يعلم انك يا رسول الله أخذت على الطريق  
وأمرت أن لا ندع أحدا يمر ممن تنكره الا رددناه انتهى  
وأقول مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق أي خالف الأمر لا انه اخفى الكفر لقوله صلى الله  
عليه وسلم قد صدقكم ورأى أن مخالفة امره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن  
رواية البخاري إنه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور  
ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله الا ان يقال يجوز ان يكون قول عمر لذلك كان قبل قول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر وعند قول عمر رضي الله عنه دعني لا ضرب  
عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله  
قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية فقد وجبت لكم  
الجنة وفي رواية لا يدخل النار أحد شهد بدرا فعند ذلك فاخذت عينا عمر رضي الله عنه  
بالبكا أي وانزل الله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء  
تلقون إليهم بالمودة)\*

وفي قوله عدوي وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب رضي الله عنه بأن في ذلك الشهادة له بالايمان وقوله تلقون إليهم بالمودة أي تبدوونها لهم وذكر بعضهم ان البلغة في اللغة التظرف بالظاء المشالة يقال تبتلع في كلامه إذا تظرف فيه

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم ابن الحصين الغفاري وقيل ابن أم مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطي في سيرته وخرج لعشر وقيل ليلتين وقيل لثنتي عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل سبع عشرة وقيل ثمان عشرة وهو في مسند الإمام احمد بسند صحيح قال ابن القيم إنه أصح من قول من قال إنه خرج لعشر خلون من رمضان أي وصدر به في الامتاع وقيل خرج تسع عشرة مضين من شهر رمضان في سنة ثمان قال في النور لا اعلم خلافا في الشهر والسنة وما في البخاري أن خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمة المدينة أي فيكون في السنة التاسعة في نظر وكان صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف أي باعتبار من لحقه في الطريق من القبائل كبنى أسد وسليم ولم يختلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت اسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وقيل كان صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا

ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى الأبواء أو قريبا منها لقيه أبو سفيان ابن عمه الحارث وكان الحارث أكبر أولاد عبد المطب وكان يكنى به كما تقدم وكان أبو سفيان أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على حليلة كما تقدم ولقيه بد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب أخو أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها لأبيها لأن والدته أم سلمة عاتكة بنت جندل الطعان وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما تسمى عاتكة فكان عنده اربع عواتك وكان مجيء الحارث وعبد الله له صلى الله عليه وسلم يريدان الإسلام وكان رضى الله تعالى عنهما من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أشد الناس إذاية له صلى الله عليه وسلم أي بعد أن كان الحارث قبل النبوة آلف الناس له صلى الله عليه وسلم لا يفارقه كما تقدم وقد تقدم بعض ذكر

أذيتما له صلى الله عليه وسلم فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما أي قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمك أي وصهرك اشقى الناس بك فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي بهما أما ابن عمي يعني أبا سفيان فهتك عرض وأما ابن عمتي وصهري يعني عبد الله أخا أم سلمة فهو الذي قال لي بمكة ما قال أي قال له والله لا أمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا انظر إليك ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله أرسلك إلى آخر ما تقدم فلما خرج الخبر اليهما قال أبو سفيان ومعه ابن له والله ليأذنن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعا وعطشا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وقبل صلى الله عليه وسلم إسلامهما

وقيل إن عليا كرم الله وجهه قال لأبي سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف تالله لقد أترك الله علينا وان كنا لخاطئين فإنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يكن أحد أحسن قولاً منه ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وكان أبو سفيان رضي الله عنه بعد ذلك لا يرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لأنه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوهُ ولم يتخلف عن قتاله وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول أرجو ان يكون خلفا من حمزة رضي الله عنهما أي وقال له صلى الله عليه وسلم يوما الصيد كل الصيد في جوف الفرا وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد في جوف الفرا وفي سفره صلى الله عليه وسلم صام وصام الناس حتى إذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الأولى أي وهو محل بين عسفان وقديد أفطر أي وقيل أفطر بعسفان وقيل افطر بقديد وقيل أفطر بكراع الغميم ولا منافاة لتقارب الأماكن لتساوي بعضهم لا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر في تلك الأماكن لتساوي الناس في رؤية ذلك فأخبر كل منهم عن محل رؤيته قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج ووصل إلى محل يقال له الصلصل قدم

أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في مائتين ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ان يصوم فليصم ومن أحب ان يفطر فليفطر أي وفي الإمتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة نادى مناديه من أحب ان يصوم فليصم وفي بعض الأيام صب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه الماء ووجهه من شدة العطش وفي لفظ من شدة الحر وهو صائم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغة أن الناس شق عليهم الصيام أي وأنهم ينظرون فيما فعلت فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد العصر ودعا بإناء فيه ماء وقيل لبن فشرب ثم ناوله لرجل بجنبه فشرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام فقال أولئك العصاة أي لأنهم خالفوا امره صلى الله عليه وسلم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو لأنه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم وسلم يفطر حتى انسلخ الشهر انتهى

أي وفي قديد عقد صلى الله عليه وسلم الألوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران أي وهو الذي يقال له الآن بطن مرو وعشاء أي وقد أعمى الله الأخبار عن قريش إجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله إليهم أي ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره إليهم فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس رضي الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما أي مظهر الإسلام مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة فرجع معه إلى مكة أي وأرسل أهله وثقله إلى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة قال العباس رضي الله عنه ورقت نفسي لأهل مكة أي وقال يا صباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش إلى آخر الدهر قال العباس رضي الله عنه فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء أي زاد بعضهم التي أهداها له دحية الكلبي فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة

فوالله إني لأسير إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان أي وقد خرجا وحكيم بن حزام أي بعد ان خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام فلقيا بدिला فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به أي لأنهم علموا بمسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا إلى أي جهة وفي سيرة الدمياطي ولم يبلغ قريشا مسيره إليهم فلا ينافي ما قبله وهم مغتمون يخافون من غزوة إياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتجسس الأخبار وقالوا إن لقيت محمدا فخذلنا منه أمانا أي فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك وأبو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا هذه كنيان عرفة وبديل يقول له هذه والله خزاعة حمشتها الحرب وحمشتها بالحاء المهملة والشين المعجمة أي أحرقتها وقيل بالسين المهملة أي اشتدت عليها من الحماسة وهي الشدة وأبو سفيان يقول خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها أي وفي رواية أن القائل هذه خزاعة غير بديل وان بدिला هو القائل هؤلاء أكثر من خزاعة وهو المناسب لان بدिला من خزاعة قال العباس رضي الله عنه فعرفت صوت أبي سفيان أي وكان أبو سفيان صديقا للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فذاك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به أي وفي رواية قد جاءكم بعشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فذاك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى أتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فركب خلفي أي ورجع صاحبه فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا وإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من هذا وقام إلى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقتة فافتحمتة عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في اثرى فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان أي عدو الله قد أمكن من من غير عقد ولا عهد فدعني لأضرب عنقه قال قلت يا رسول الله إني قد أجرته ولعل العباس

وعمر رضي الله عنهما لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم إنكم لا قون بعضهم فإن  
لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه إن صح  
قال العباس رضي الله ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه  
فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دوني فلما أكد عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله  
لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا أي ولكنك قد عرفت انه من  
رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من  
اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني قد عرفت ان اسلامك كان أحب إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به  
وفي البخاري ان الحرس ظفروا بأبي سفيان ومن معه وجاءوا بهم إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأسلموا  
وجمع بعضهم بأنه يجوز ان يكون العباس اخذهم من الحرس أي ويؤيده قول ابن عقبة  
رحمه الله لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس بن عبد المطلب  
فأجارهم أي واتى بأبي سفيان وتأخر صاحباه قال وفي لفظ أخذهم نفر من الأنصار  
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيوننا فأخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا من أنتم قالوا  
نحن أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم وها هو فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل  
هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاءوا بهم إلى عمر رضي الله تعالى  
عنه أي لأنه كان في تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر من أهل مكة  
فقال عمرو وهو يضحك إليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم فقالوا والله أتيناك  
بأبي سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى أصبح فغدوا به إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم انتهى وفيه مالا يخفى فان الجمع بينه وبين ما قبله بعيد  
قال العباس ولما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك  
فذهبت به فلما أصبح غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد ان نؤدي  
بالصلاة وثار الناس ففرع أبو سفيان وقال للعباس يا أبا الفضل ما يريدون قال الصلاة  
وفي رواية ما للناس أمروا في بشئ قال لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة ورأى

المسلمین يتلقون ضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأهم يركعون إذا وكع  
 ويسجدون إذا سجد فقال للعباس يا عباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه فقال له العباس لو  
 نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه فقال ما رأيت ملكا مثل هذا لا ملك كسرى ولا  
 ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر ثم قال للعباس كلمه في قومك هل عنده من عفو  
 عنهم فانطلق العباس بأبي سفيان حتى أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ويحك يا أبا سفيان أم يأن لك أن تعلم عليه أنه لا إله الا الله قال بأبي وأمي أنت ما  
 أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره ما اغنى عني شيئا  
 بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم انى رسول الله قال بأبي أنت وأمي اما  
 والله هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئا  
 قال وفي رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وان العباس قال  
 يا رسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد اجرتهم وهم يدخلون  
 عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة  
 الليل يستخبرهم أي عن أهل مكة ودعاهم إلى الاسلام فقالوا نشهد ان لا إله الا الله  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا أني رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم  
 بن حزام فقال أبو سفيان ما اعلم ذلك والله إن في النفس من هذا شيئا فأرجئها انتهى  
 وأي اخرها إلى وقت آخر  
 وفي أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة في غزوة الفتح إن بمكة  
 أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم في الإسلام عتاب بن أسيد وجبير  
 بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو أي وهذا يدل على القول بأن جبيرا أسلم  
 يوم الفتح كمن ذكر معه وذكر بعضهم أنه أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح  
 فقال العباس رضي الله تعالى عنه لأبي سفيان ويحك اسلم واشهد ان لا إله الا الله وأن  
 محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فاسلم  
 وذكر عبد بن حميد ان النبي صلى الله عليه وسلم حين عرض الإسلام على أبي سفيان  
 قال له كيف اصنع بالعزى فسمعه عمرو رضي الله تعالى عنه من وراء القبة فقال له  
 تخراً عليها فقال له أبو سفيان ويحك يا عمر إنك رجل فاحش دعني مع ابن عمي

فإياه أكلم وكان في هذا التصديق أمية بن أبي الصلت فإنه كان يقول كنت رأى في كتيبي أن نبيا يبعث في حرتنا فكنت أظن بل كنت لا أشك أنني أنا هو فلما دارست أهل العلم إذ هو في بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر الا عتبة بن ربيعة فلما جاوز الأربعين سنة ولم يوح اليه علمت أنه غيره قال أبو سفيان فخرجت في ركب أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية بن أبي الصلت فقلت له كالمستهزئ به يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته قال إنه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني من اتباعه إلا الاستحياء من بنيات ثقيف إنني كنت أحدثهم اني هو يرينني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال لأبي سفيان كأنني بك يا أبا سفيان إن خالفته قد ربطت كما يربط الجدى حتى يأتي بك اليه فيحكم فيكم بما يريد رواه الطبراني في معجمه

وذكر بعضهم أن أمية هذا كان يتفرس في بعض الأحيان في لغات الحيوان فمر يوما على بغير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغوا فقال هذا البعير يقول إن في رحلة مسلة تصيب ظهره فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فوجدوا المسلة كما قال وذكر ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله أجنئت بأوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف إلى أهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أظلم وأفجر قد غدرتهم بعقد الحديدية وتجارتم على بني كعب يعني خزاعة بالإثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقال بديل صدقت والله يا رسول الله فقد غدروا بنا والله لو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا الذي نالوا فقال حكيم قد كنت يا رسول الله حقيقا ان تجعل عدتك وكيدك لهوازن فإنهم أبعد رحما وأشد عدواة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني لأرجوا أن يجمعها لي ربي فتح مكة وإعزاز الإسلام بها وهزيمة هوازن وأخذ أموالهم وذراريهم وقال له أبو سفيان يا رسول الله ادع الناس بالأمان أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن

أي فحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقي في الإسلام مثل ذلك كان من اشراف قريش في الجاهلية والإسلام واعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الإسلام مثل ذلك فإنه حج في الإسلام وأوقف بعرفة مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة وعقد صلى الله عليه وسلم لأبي رويحة الذي آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال لواء وأمره ان ينادي من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن أي وانما قال ذلك لما قال له أبو سفان وما تسع داري وما يسع المسجد ولما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك قال أبو سفيان هذه واسعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم العباس ان يحبس أبا سفيان بديلا وحكيم بن حزام أي وعليه انما خص أبو سفيان بالذكر في بعض الروايات لشرفه قال له احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها قال العباس ففعلت فمرت القبائل كلها مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول مالي ولسليم أي فإن أول القبائل مر سليم وفيها خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفذت بالفاء والداد المهملة القبائل كلها ما تمر قبيلة الا سألني عنها قلت له بنو فلان قال مالي ولبني فلان

اي وقد ذكرها بعضهم مرتبة فقال أول من مر خالد بن الوليد في بني سليم بضم السين فقال أبو سفيان يا عباس من هؤلاء قال هذا خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولبني سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه في خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب فقال أبو سفيان من هؤلاء قال الزبير قال ابن أخيك قال نعم ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع

ولما مرت أشجع قال أبو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس ادخل الله الاسلام قلوبهم فهذا فضل الله حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبه الخضراء للبسهم الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق

السواد على الخضره وفيها المهاجرون الأنصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد أي فيها ألفا دارع وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول رويدا حتى يلحق أولكم آخركم قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة فقال أبو سفيان والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقلت يا أبا سفيان إنها النبوة فقال نعم إذن ثم قلت له النجاء بالفتح والمد إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية رضي الله تعالى عنهم فأخذت بشاربه وقالت كلاما معناه اقتلوا الخبيث الدنس لا خير فيه قبح من طليعة قوم

أي وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلاذكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك وقال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وما تغنى عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم ابن حزام فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد أي وبهذا استبدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال إمامنا الشافعي رحمه الله وقال غيره فتحت عنوة

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد إسلامها إلى مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت أسفل مكة ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وهم أحد عشر رجلا أي وفي الامتاع ستة نفر وأربع نسوة وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بني عامر وكان أحد النجباء الكرام من قريش رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك وعبد الله بن خطل وقينتهاه وعكرمة ابن أبي جهل رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك والحويرث بن نفيل ومقيس بن حبابه وهبار بن الأسود رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك وكعب بن زهير رضي

الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك وهو صاحب بانة سعاد والحارث بن هشام رضي الله  
تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك وهو أخو أبي جهل لأبويه وزهير بن أمية رضي الله تعالى  
عنه فإنه أسلم بعد ذلك وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب رضي الله تعالى عنها فإنها  
أسلمت بعد ذلك وعاشت إلى خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وتقدم أنها كانت  
حاملة لكتاب حاطب بن أبي بلتعة وصفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد  
ذلك وزهير ابن أبي سلمى أي وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ووحشي بن حرب  
رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك  
وفي رواية ان سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه كان معه راية رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أي على الأنصار  
ولما مر على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء  
الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم  
الملحمة أي الحرب والقتال اليوم أستحل الحرمة وفي لفظ الكعبة اليوم أذل الله قريشا  
فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ورأيت مع الزبير رضي الله تعالى  
عنه فلما مر بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فإنه  
زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فإنه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل  
الحرمة اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس بر وأرحمهم  
وأوصلهم فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله فإننا  
لا نأمن من سعد أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا  
أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا أي وفي رواية اليوم  
يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
سعد بن عبادة أي أرسل عليا كرم الله وجهه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضي  
الله تعالى عنهما وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلي كرم الله وجهه خشية أن يقع من ابنه  
قيس مالا يرضاه صلى الله عليه وسلم أي لأن قيسا رضي الله تعالى

عنه كان من دهاة العرب وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لما ولاه سيدنا علي كرم الله وجهه بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه مصر لرأي العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه ووقفت له رضي الله تعالى عنه عجوز وقالت له أشكو إليك قلة الجرذان بييتي والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لأكثرن الجرذان ببيتك فملاً بيتها طعاماً وأدماً وقيل قالت له مشت جرذان بييتي على العصى فقال لها لأدعهن يثبن وثبة الأسود ثم ملاً بيتها طعاماً ولا مانع من تعدد الواقعة

ومن هذا الوادي ما كتب به بعضهم إلى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين أشكو إليك الشرف فقال له ما أحسن ما استمنحت وأعطاه عشرة آلاف درهم فقيل له في ذلك يسأل ما لا يقدر عليه ويعتذر فلا يعذر

ولما أشرف أبوه سعد رضي الله تعالى عنهما على الموت قسم ماله في أولاده وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد وولد له ذلك الحمل كلمه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في أن ينقض ما صنع أبوه من تلك القسمة فقال نصيبي للمولود ولا أغير ما صنع أبي ولم يكن في وجه قيس رضي الله تعالى عنه شعر وكان مع ذلك جميلاً وكانت الأنصار رضي الله تعالى عنهم تقول وددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا وكان له ديون على الناس كثيرة فلما مرض رضي الله تعالى عنه استبطأ عواده فقيل له إنهم مستحيون من أجل دينك فأمر منادياً ينادي كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليه إليه

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار لابنه قيس رضي الله تعالى عنهما قال وروى أن سعداً أبي أن يسلم اللواء إلا بأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم إليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضي الله تعالى عنهما انتهى

وفي صحيح البخاري ان كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة وهي أقل وفي رواية الحميدي وهي أجل  
الكتائب

بالجيم قال في الأصل وهي أظهر من رواية أقل لأنها كانت خاصة المهاجرين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والراية مع الزبير رضي الله تعالى عنه وأمر رسول الله خالد بن الوليد ان يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة أي وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت وقال لا تقتاتلوا الا من قاتلكم وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم أي فإنهم أسلموا بعد ذلك قد جمعوا ناسا بالخدمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جملتهم رجل كان يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته أي وقد كانت أسلمت سرا لماذا تعد ما أرى فيقول لمحمد وأصحابه فتقول له والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال والله إني لأرجوا أن أخدمك بعضهم

وفي تاريخ مكة للأزرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبرى نبالا له وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبرى هذا النبل قال بلغني أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لأخدمك خادما من بعض من أستأسره فقالت له والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه لو رايت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل لك الرجل إليها فقال ويحك هل من مخبأ فقالت له فأين الخادم فقال لها دعى عنك وأنشد الأبيات الآتية هذا كلامه

وسبب ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا له لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل

وفي رواية أنه لما دخل بيته قال لامرأته أغلقي على بابي قالت وأين ما كنت تقول أين الخادم الذي كنت وعدتني تسخر به فقال إنك لو شهدت يوم الخدمة عبارة الأزرقي

- \* وأنت لو أبصرتنا بالخدمه
- \* إذ فر صفوان وفر عكرمة
- \* واستقبلتنا بالسيوف المسلمة
- \* يقطعن كل ساعد وجمجمه
- \* ضربا فلا تسمع الا غمغمه
- \* لهم نهيت حولنا وهمهمة
- \* لا تنطفى في اللوم أدنى كلمه
- \*

والغمجمة الصوت الذي لا يفهم والنهيت بالمشناة تحت وفوق الزحير والمهممة صوت في الصدر

أي واستمر خالد رضي الله تعالى عنه يدفعهم إلى أن وصل الحزورة إلى باب المسجد أي وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقبل له لعل خالدًا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من يقاتله وما كان يا رسول الله ليخالف أمرك فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل

وفي رواية جعل صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله تعالى عنه على إحدى المجنبتين أي وهما الكتيبتان تأخذ إحداهما اليمين والأخرى اليسار والقلب بينهما وخالدًا على الأخرى وأبا عبيدة على الرجالة

وفي لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة أي الذين لا دروع لهم قال في شرح مسلم فهم رجاله لا دروع عليهم وقد أخذوا بطن الوادي ولعل ذلك كان قبل الدخول إلى مكة فلا ينافي ما سيأتي انه صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير رضي الله تعالى عنه راية وأمره أن يغرزها بالحجون لا يبرح حتى يأتيه في ذلك المحل وفي ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية

وقد بوشت قريش أبواشا أي جمعوها من قبائل شتى فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضي الله تعالى عنه وقال لي اهتف أي صح لي بالأنصار فهتف بهم فجاءوا وطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه إحداهما على الأخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفاء أي ودخلوا من أعلى مكة قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فانطلقنا فما شاء أحد من أن يقتل منهم ما شاء وما أحد يوجه إلينا منهم شيئًا وفي لفظ فما نشاء ان نقتل أحدا منهم الا قتلناه أي لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله أبيضت حضراء قريش لا قريش أي لا جماعة لقريش بعد اليوم لأن الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الأعظم فيقال السواد الأعظم ويعبر عنها بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن

قال ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يا رسول الله بدءونا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح وقد كففت ما استطعت ودعوتهم إلى الإسلام فأبوا حتى إذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه

وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار عنده يا فلان قال لبيك يا رسول الله قال أتت خالد بن الوليد وقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن لا تقتل بمكة أحدا فجاء الأنصاري فقال يا خالد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال يا رسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لا يلقي أحدا من الناس إلا قتله قال ادع لي خالد فدعاه له فقال يا خالد ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحدا قال بل أرسلت أن اقتل من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم ادع لي الأنصاري فدعاه له فقال أما أمرتك أن تأمر خالد أن لا يقتل أحدا قال بلى ولكنك أردت أمرا وأراد الله غيره فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل للأنصاري شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن الطلب قال قد فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى الله أمرا ثم قال كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أي وهذه المقاتلة التي وقعت خالد رضي الله تعالى عنه لا تنافي كون مكة فتحت صلحا كما تقدم أي لأنه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة وأما قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط لهم في الأمان

وقوله احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال ومن ثم قتل خالد رضي الله تعالى عنه من قاتل من الكفار وإرادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتها أخته أم هاني كما سيأتي لعله تأول فيهما شيئا أو جرى منهما قتال له

وتأمين أم هانئ لهما من تأكيد الأمان الذي وقع للعموم فلا حجة في كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور

وقيل أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه أبو هريرة والأنصار لعدم وجود المقاتلة فيه وأسفلها الذي سلكه خالد رضي الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ودخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصواء أي مردفا اسامة ابن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبره حمراء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم إن العيش عيش الآخرة

وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها بين كتفيه بغير إحرام ورايته سوداء ولواؤه أسود وعن جابر رضي الله تعالى عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يود دخل مكة أبيض وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب أي وهي التي كانت بخيير وتقدم انها كانت من برد عائشة وعنهما رضي الله تعالى عنها انها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين وهذا هو المعروف خلافا لما قال إنه دخل من أسفل مكة وهي ثنية كدى بضم الكاف والقصر والتنوين وسيأتي انه عند الخروج خرج صلى الله عليه وسلم من هذه وبهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكة من الأولى والخروج منها من الثانية أي واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه إمامنا الشافعي رضي الله عنه في الأم وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة

ولو حاللا أي وسيأتي ذلك عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها وأي وكن شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله أي شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضا في ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لو وجد

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس قال وذلك بالحجون موضع ماغرز الزبير رضي الله تعالى عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب أبي طالب الذي حصرت فيه بنو هاشم أي وبنو المطلب قبل الهجرة بقبة من آدم نصبت له هناك

ومعه صلى الله عليه وسلم فيها أم سلمة وميمونة زوجته صلى الله عليه وسلم ورضي  
عنهما

فعن جابر رضي الله تعالى عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة  
وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع قبته وقال هذا منزلنا يا جابر حيث  
تقاسمت قریش علينا قال جابر رضي الله تعالى عنه فذكرت حديثاً كنت سمعته منه  
صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا إذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني  
كنانة حيث تقاسموا على الكفر أي لان قریشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني  
المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حت يسلموا إليهم صلى الله عليه وسلم إلى آخر  
ما تقدم في قصة الصحيفة انتهى وفيه أنه سيأتي في حجة الوداع أنهم تحالفوا  
بالمحصب

ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر  
وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني  
بالمحصب وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال يا رسول الله أين تنزل غدا  
أتنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار وتقدم ما يغني عن إعادته هنا فكان  
صلى الله عليه وسلم يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة وكان دخوله صلى الله عليه  
وسلم مكة يوم الاثنين

فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين  
ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة أي مهاجرا يوم الاثنين أي ودخل المدينة يوم  
الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين  
ثم سار صلى الله عليه وسلم وإلى جانبه أبو بكر رضي الله تعالى عنه يحادثه ويقراً  
سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته أي ومحمد بن مسلمة رضي  
الله تعالى عنه أخذ بزمامها ليستلم الحجر بمحجن في يده

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم  
الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من احياء العرب صنم قد شد إبليس  
أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به إلى كل صنم  
منها فيخر لوجهه وفي لفظ لقفاه وفي لفظ فما أشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع  
لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع على وجهه من غير أن يمسه بما في يده يقول جاء الحق  
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً حتى مر عليها كلها

وفي رواية فاقبل صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستمله ثم طاف بالبيت وفي يده قوس أخذ بسيته والسيه ما انعطف من طرف القوس فأتى صلى الله عليه وسلم في طوافه على صنم إلى جنب البيت أي من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الأصنام فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا أي فأمر به صلى الله عليه وسلم فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه لأبي سفيان قد كسر هبل أما أنك قد كنت في يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان أي وانتهى صلى الله عليه وسلم إلى المقام وهو يؤمئذ لاصق بالكعبة

قال وعن علي كرم الله وجهه قال انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى الكعبة فقال اجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبي ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال فجلست فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا علي اصعد على منكبي ففعلت أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه اصعد على منكبي واهدم الصنم فقال يا رسول الله بل اصعد أنت فإنني أكرمك أن أعلوك فقال إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد أنت فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فصعد علي كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به قال علي فلما نهض بي فصعدت فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وخيل لي حين نهض بي أنني لو شئت لنتل أفق السماء أي وفي رواية قيل لعلي كرم الله وجهه كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من حالي أنني لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت وعند صعوده كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم ألق صمنهم الأكبر وكان من نحاس أي وقيل من قوراير أي زجاج

وفي رواية لما ألقى الأصنام لم يبق الا صنم خزاعة موتدا بأوتاد من الحديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر

أقول وهذا السياق يدل على أنه هذا الصنم غير هبل وأن هبل ليس أكبر أصنامهم بل هذا أكبر منه ولم أقف على اسمه  
ومما يدل على أن الذي كسر هو هبل قول الزبير رضي الله تعالى عنه كما تقدم لأبي سفيان أن هبل الذي كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر قال دعني ولا توبخني لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك  
وفي الكشف ألقاها جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قورير صفر فقال صلى الله عليه وسلم يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا أسحر من محمد  
وفي خصائص العشرة صاحب الكشف زيادة وهي نزلت من فوق الكعبة وانطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم نسعى وخشيناً أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه وهذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتأمل  
وفي الكشف أيضاً كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً لكل قوم صنم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت لقبائل العرب أصنام يحجون إليها ينحرون لها فشكا البيت إلى ربه عز وجل فقال يا رب إلى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله تعالى إلى البيت إني سأحدث لك نوبة جديدة فلاملؤك خدوداً سجداً يدفون إليك دفيق النسور ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالبيت هذا كلامه  
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة أي بعد أن ارسل بلالا رضي الله تعالى عنه إلى عثمان بن أبي طلحة بمفتاح الكعبة إلى آخر ما سيأتي وبعد ان محيت منها الصور أي فإنه صلى الله عليه وسلم أمر عمر رضي الله تعالى عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها وكان عمر رضي الله تعالى عنه قد ترك صورة إبراهيم فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر ألم أمرك ان لا تترك فيها صورة قاتلهم الله حيث جعلوه شيخاً يستقسم بالأزلام وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين هذا  
وفي كلام سبط ابن الجوزي قال الواقدي رحمه الله امر رسول الله صلى الله عليه

وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما أن يقدموا إلى البيت وقال لعمر لا تدع صورة حتى تمحوها الا صورة إبراهيم هذا كلامه فليتأمل وفي رواية عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال دخلت علي صلى الله عليه وسلم في الكعبة فرأى صوراً فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمحوها أي وتلك الصور هي صور الملائكة وصور إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأضلام يستقسمان بها أي وإسحاق وبقية الأنبياء كما تقدم في بنيان قريش الكعبة وصورة مريم فقال قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون قاتلهم الله لقد علموا انهما لم يستقسما بالأضلام قط أي ولا منافاة لأنه يجوز أن يكون عمر رضي الله تعالى عنه ترك مع صورة إبراهيم صورة إسماعيل ومريم وصورة الملائكة ووجد صورة حمامة من عيذان بفتح العين المهملة وكسرهما بيده ثم طرحها ودها بزعفران فلطخه بتلك التماثيل أي بموضعها وصلى بها ركعتين بين أسطوانتين وفي لفظ بين العمودين اليمانيين وفي لفظ المقدمين وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع انتهى أي وفي الترمذي دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر في نواحيه ولم يصل وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامه بن زيد وبلال وعثمان بن أبي طلحة زاد في رواية والفضل بن العباس قال الحافظ ابن حجر وفي رواية شاذة فأغلقوا عليهم الباب وفي لفظ آخر فأغلقا أي عثمان وبلال فأجاف أي أغلق عليهم عثمان الباب وجمع بان عثمان هو المباشر لذلك لأنه من وظيفته وبلال رضي الله تعالى عنه الله تعالى عنه كان مساعداً له في الغلق أي ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وذهب عني أن أسأله كم صلى وهذا يدل على أن قول بلال رضي الله تعالى عنه إنه صلى الله عليه وسلم أتى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم وفي كلام السهيلي في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه صلى فيها ركعتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أخبرني أسامة بن زيد انه صلى الله عليه وسلم لملم دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت

ركعتين أي بين الباب والحجر الذي هو الملتزم وقال هذه القبلة فبلال رضي الله تعالى عنه مثبت للصلاة في الكعبة وأسامة رضي الله تعالى عنه ناف والمثبت مقدم على النافي على أنه جاء أن أسامة رضي الله تعالى عنه أخبر أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة

وأجيب بأن أسامة حيث أثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى أعتمد ما عنده أي وفي مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فصلى بين الساريتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين ثم قال هذه القبلة ثم دخل صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى الله عليه وسلم ففي المرة الأولى دخل وصلى وفي المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل على أن ذلك كان يوم الفتح

وفي كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضي الله تعالى عنهم صحيحتان لأنه صلى الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك في حجة الوداع هذا كلامه فليتأمل أي ثم أنه صلى الله عليه وسلم جاء إلى مقام إبراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ثم أخره على ما تقدم ودعا صلى الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضأ

وفي لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب أي يغلبهم الناس على وظيفتهم وهي النزاع من زمزم لنزعت منها دلوا أي فإن الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم في ذلك مع أن النزاع من وظيفته بني عبد المطلب وانتزع له العباس رضي الله تعالى عنه دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم

وفي لفظ لا تسقط الا في يد انسان إن كان قدر ما يشر بها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا

ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أي والناس حوله خرج أبو بكر وجاء بأبيه رضي الله تعالى عنهما يقوده وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية وفي لفظ لو أقررت الشيخ

في بيته لأتيناه تكرامة لأبي بكر فقال أبو بكر يا رسول الله أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فأسلم رضي الله تعالى عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإسلام أبيه رضي الله تعالى عنهما أي وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك كذا في الشفاء وكان رأس أبي قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة فقال غيروهما وجنبوهما السواد أي وفي رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى وفي رواية اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وجاء إن أحسن ما غيرتهم به هذا الشيب الحناء والكتم وعن أنس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصب بالحناء والكتم قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح أنه رضي الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضي الله تعالى عنه بالحناء وجاء يا معشر الأنصار حمروا أو صفروا وخالفوا أهل الكتاب وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يصفر وعن أنس رضي الله تعالى عنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابيض الرأس واللحية فقال ألسنت مؤمنا قال بلى قال فاخضب لكن قيل إنه حديث منكر وجاء من اختضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة قيل إنه حديث منكر وحاء يكون آخر الزمان رجال من أمتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله إليهم يوم القيامة قيل هو غريب جدا

قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصابة رضي الله تعالى عنهم كسعد ابن أبي وقاص والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أي وعقبة بن عامر المدفون بمصر قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه فإن كان تخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

\* تسود أعلاها وتأبى أصولها

\* ولا خير في الأعلى إذا فسد الأصل

\*

وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضي الله تعالى عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وأمره بالغزو في البحر

وكان عقبة رضي الله تعالى عنه يقول ما أنصفنا معاوية عزلنا وغر بنا لم يبلغهم النهي أو فهموا أن النهي للكرامة

وقد جاء أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال عليه الصلاة والسلام يا رب ما هذه الشوهة التي شوهدت بخليتك فأوحى الله إليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد ان لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا وانشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يا رب زدني فأصبح رأسه مثل الثغامة البيضاء وفي المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائي أي وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أول من خضب بالسواد فرعون ومن أهل مكة أي من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله تعالى عنه اخضبوا بالسواد فإنه أنكى للعدو وأحب للنساء فليتأمل

وكان لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أخت صغيرة في عنقها طوق من فضة اقتعله إنسان من عنقها فأخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بيد أخته وقال أنشدتكم بالله وبالإسلام طوق أختي فما اجابه أحد ثم قال الثانية والثالثة فما اجابه أحد فقال رضي الله تعالى عنه الله تعالى عنه يا أختاه احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل قال بعضهم ولم يعيش لأبي قحافة رضي الله تعالى عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنت الا أم فروة التي أنكحها أبو بكر من الأشعث بن قيس وكانت قبلة تحت تميم الداري وهي هذه المذكورة هنا

وقيل كان له بنت أخرى تسمى عربية وعليه فيحتمل أن تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام أبي بكر رضي الله تعالى عنهما لما كان المسلمون في دار الأرقم وأمه بنت عم أبيه قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والأنصار أسلم هو ووالداه وجميع أبنائه وبناته غير أبي بكر وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضي الله تعالى عنهم ولد محمد في حجة الوداع وهو المقتول بمصر وبناته ثلاثة أيضا أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهم وعنهن

مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهي ببطن أمها وقد انزل الله تعالى في حقه \* (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي) \*

الآيات قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة اسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ويكنى بأبي عتيق أي وقد قيل إن قيل هل تعرفون أربعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق أي من الذكور كل ابن الذي قبله أجيب بأنهم هؤلاء الأربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا من الذكور لا يرد ما أورد على ذلك ان هذا يصدق على أبي قحافة وابنه أبي بكر وبنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم نعم يرد على ذلك حارثه أبو زيد فإنه أسلم على ما ذكره الحافظ المنذري ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثه وابنه أسامة بن زيد وجاء أسامة بولد في حياته صلى الله عليه وسلم أي ويحتاج إلى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك المولود إلى أن يقال كان من شأنهم إذا ولد لأحدهم مولود جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع في أسماء الصحابة وحينئذ يقال لأجل عدم ورود من ذكر ليس لنا أربعة ذكور معروفة أسماؤهم بعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لأجل عدم الورد ليس لنا أربعة ليسوا من الموالي الا أبو قحافة وابنة أبو بكر وابن أبي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمدا أبو عتيق فليتأمل

لا يقال هذا موجود في غير بيت الصديق فقد ذكروا في الصحابة أربعة كذلك أي ذكور كل واحد أبو الذي بعده عرفت أسماؤهم وليس فيهم مولى وهم اياس ابن سلمة بن عمرو بن لآل

لأننا نقول المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم ومن الفوائد المستحسنة أنه ليس في الصحابة قال بعضهم بل ولا في التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكور أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم على نسق وهم السائب والد إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وأبوه عبيد وجده عبد يزيد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر بما شاء ان يذكره ويدعوه والأنصار تحته قال بعضهم لبعض أما

الرجل فأدر كته رغبة في قربته ورأفة بعشيرته فنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بما ذكر القوم فلما قضى الوحي رفع صلى الله عليه وسلم رأسه قال يا معشر الأنصار قلتُم أما الرجل فأدر كته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فما اسمى إذن أي إن فعلت ذلك كيف اسمى وأوصف باني عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك إني عبد الله ورسوله أي ومن كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت إلى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فأقبلوا إليه صلى الله عليه وسلم ويكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا الا الضن أي البخل بالله وبرسوله أي لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم وفي رواية ان الأنصار رضي الله تعالى عنهم قالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله أرضه وبلده يقيم بهما فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتُم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم اي وتقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة نظير ذلك وهو أن الأنصار قالوا يا رسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك واطهرك الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن أبي سرح لأنه كان أسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله الوحي وكان صلى الله عليه وسلم إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليهما حكيمًا وإذا أملى عليه حكيمًا كتب غفورًا رحيمًا وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال إن محمدا لا يعلم ما يقول فلما ظهرت خيانتته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب إلى مكة وقيل إنه لما كتب \* (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) \* إلى قوله \* (ثم أنشأناه خلقا آخر) \* تعجب من تفصيل خلق الإنسان فنطق بقوله \* (فتبارك الله أحسن الخالقين) \* قبل إملائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب ذلك هكذا أنزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فارتد ولحق بمكة فقال لقريش إني كنت أصرف محمدا كيف شئت كان يملئ على عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وكل

ما أقوله يقول اكتب هكذا نزلت فلما كان يوم الفتح وعلم باهدار النبي صلى الله عليه وسلم دمه لجأ إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فقال له يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي فغيبه رضي الله تعالى عنه حتى هدأ الناس واطمأؤنا فاستأمن له ثم أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه النبي فصار عثمان رضي الله تعالى عنه يقول يا رسول الله أمنتك والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر وكان نذر إن رأى عبد الله قتله أي وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه ان يقتله فقال له صلى الله عليه وسلم انتظرتك أن تفي بنذرك قال يا رسول الله خفتك أفلا أمضت إلي فقال إنه ليس لنبي ان يومض وفي رواية الإيماء خيانة ليس لنبي ان يومى وفي رواية لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين أي وهذا يدل على أن خائنة الأعين والايماء بالعيون أي ان يومىء بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو اللمز هذا

وقيل إنه أسلم وبايع النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وصار يستحي من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لعثمان أما بايعته وأمنتك قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحي منك قال الإسلام يجب ما قبله وأخبره عثمان رضي الله تعالى عنه بذلك ومع ذلك فصار إذا جاء جماعة للنبي صلى الله عليه وسلم يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا

وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل ابن خطل لأنه كان مما أسلم أي قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزي فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الأنصار يخدمه وفي لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره وكانت له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد قيل إنه ركب فرسه لابسا للحديد وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق إلى الكعبة فنزل عن فرسه والقي سلاحه

ودخل تحت استارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون وأخبره خبره فأمر بقتله وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقاً بأستار الكعبة فقال اقتلوه فإن الكعبة لا تعيد عاصيا ولا تمنع من إقامة حد واجب أي فقتله سعد ابن حريث وأبو برزة

وقيل قتله الزبير رضي الله عنه وقيل سعد بن ذؤيب وقيل سعد بن زيد قال في النور والظاهر اشتاركهم فيه جميعا جمعا بين الأقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت إحداهما واستؤم من رسول الله صلى الله عليه وسلم للأخرى فأمنها وأسلمت

والحويرث بن نقيذ وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول في أذيته وينشد الهجاء وكان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى به الأرض قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك اليوم وقد خرج يريد أن يهرب

ومقيس بن ضبابه إنما أمر بقتله لأنه كان قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا لدية أخيه هشام بن ضبابه رضي الله عنه قتله رجل من الأنصار في غزوة ذي قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبي صلى الله عليه وسلم دية أخيه ثم إنه عدا على الأنصاري قاتل أخيه فقتله بعد أن أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله ابن عمه ثميلة بن عبد الله الليثي أي بعد أن اخبر ثميلة بأن مقيسا مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر فذهب إليه فقتله بردم بني جمح وقيل قتل وهو معلق بأستار الكعبة وأما هبار بن الأسود رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان عرض لزينب بنت رسول الله في سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص إلى المدينة فأهوى إليها هبار ونخس بغيرها

وفي رواية ضربها بالرمح فسقطت من على الجمل على صخرة أي وكانت حاملا فألقت ما في بطنها وأهراقت الدماء ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم فقال

النبي صلى الله عليه وسلم إن لقيتم هبارا فأحرقوه ثم قال إنما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر أنه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فانتهوا عنه وهذا السياق يدل على أنه أسلم قبل أن يذهب إلى المدينة

وفي لفظ ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يا محمد أنا جئت مقرا بالإسلام وأنا اشهد أن لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعتذر اليه أي قال له صلى الله عليه وسلم بعد أن وقف عليه وقال السلام عليك يا نبي الله لقد هربت منك في البلاد فأردت اللحوق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صفحك عمن جهل عليك وكنا يا بنى الله أهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلي وعمما كان مني فإنني مقرر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا هبار عفوت عنك وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام والإسلام يجب ما كان قبله

وقوله مهاجرا فيه أنه لا هجرة بعد فتح مكة الا ان يقال هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل إلى اخر اخذا مما يأتي إن شاء الله في عكرمة وأما عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فإنه صلى الله عليه وسلم إنما امر بقتله لأنه كان أشد الناس هو وأبوه أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه فر إلى اليمن فاتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد ان أسلمت فوجدته في ساحل البحر يريد ان يركب السفينة وقيل وجدته في السفينة فردته أي بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك فقد أستأمنت لك فجاء معها فأسلم وحسن إسلامه أي بعد أن قال يا محمد هذه يعني زوجتي أخبرتني أنك امتنتني قال صدقت إنك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأنت عبد ورسوله وطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم يا عكرمة ما تسألني شيئا أقدر عليه الا أعطيتك قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطلق تكلم به أي ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله

عليه وسلم إليه قائما فرحا به أي ورمى صلى الله عليه وسلم رداءه وقال مرحبا بمن  
جاء مؤمنا مهاجرا وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة  
وفي بهجة المجالس في أنس الجالس لابن عبد البر رحمة الله انه صلى الله عليه وسلم  
رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لأبي جهل فشق  
ذلك عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة ابن أبي جهل مسلما فرح  
به وأول ذلك العذق لعكرمة والعكرمة الأنتى من الحمير واستدل بذلك على تأخر الرؤيا  
وأنها تكون لغير من ترى له قال وصار عكرمة قبل إسلامه يطلب امرأته أم حكيم  
يجامعها فتأبى وتقول أنت كافر وأنا مسلمة والإسلام حائل بيني وبينك فقال إن أمرا  
منعك عني لأمر كبير أي ولما قتل عكرمة رضي الله عنه في اليرموك في قتال الروم  
وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد وأراد ان يدخل بها فجعلت تقول له لو أخرت  
الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعني الروم فقال خالد إن نفسي تحدثني أن  
أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد  
اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشددت أم حكيم عليها ثيابها  
وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها خالد فيها فقتلت بها اسبعة من الروم وقال صلى  
الله عليه وسلم قبل أن يقدم عليه عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه يأتكم عكرمة  
مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يحلق الميت انتهى أي  
وفي رواية لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا وفي أخرى لا تسبوا الأموات  
فتؤذوا الأحياء وفي أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم  
وجاء أنه شكاه اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات وقد كان قبل إسلامه بارز  
رجلا من المسلمين فقتله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الأنصار ما  
أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصابنا فقال أضحكني انهما في درجة واحدة في  
الجنة ومن ثم قتل عكرمة شهيدا في قتال الروم في وقعة اليرموك كما مر  
وسارة رضي الله عنه فإنها أسلمت وإنما امر صلى الله عليه وسلم بقتلها لأنها كانت  
مغنية بمكة وكانت تغني بهجائه صلى الله عليه وسلم وهي التي وجد معها كتاب

حاطب وقد استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت كما تقدم  
والحارث بن هشام وزهير بن أمية استجارا بأبى هانئ بنت أبى طالب أخت علي بن أبى  
طالب كرم الله وجهه شقيقته ولم تكن أسلمت إذ ذاك فأراد على قتلها  
فنعها رضي الله عنه أنها قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر  
إلى رجلا من أحمائي أي من أقارب زوجها هبيرة بن أبى وهب مستجيران بي  
فأجرتهما وذكر الأزرقى بدل زهير بن أمية عبد الله بن أبى ربيعة فدخل على أخى علي  
بن أبى طالب فقال والله لأقتلنهما أي وقال تجيري المشركين فحلت بينه وبينهما  
فخرج فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة  
فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال  
من هذه فقلت أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا بأبى هانئ وفي الرواية الأولى فلما  
اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به ثم صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات من الضحى ثم أقبل  
على فقال مرحبا وأهلا بأبى هانئ ما جاء بك فأخبرته الحديث فقال أجرنا من أجرت  
وأمننا من أمنت فلا تقتلنهما وفي البخارى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل في بيتها  
ثم صلى الضحى ثمان ركعات أي ولما ذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه الله عنهما  
قال إني كنت أمر على هذه الآية يسبحن بالعشي والإشراق فأقول أي صلاة صلاة  
الإشراق فهذه صلاة الإشراق وفي لفظ ما عرفت صلاة الإشراق الا الساعة وهذا يدل  
لما أفتى به والد شيخنا الرملي رحمهما الله تعالى أن صلاة الضحى صلاة الإشراق  
خلافًا لما في العباب من أنها غيرها ويحتج للجمع بين هذه الرواية والتي قبلها على  
ثبوت صحتها وبهذه الواقعة قال المحاملي من أئمتنا في كتابه اللباب الذي هو أصل  
التنقيح الذي هو أصل التحرير ومن دخل مكة وأراد ان يصلي الضحى أول يوم اغتسل  
وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وبه الغز فقيل شخص يستحب له  
الاجتسال لصلاة الضحى في مكان خاص  
وعن عائشة رضي الله عنهما ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى  
قط وإني لأسبحها أي أصليها  
وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله ما أخبرني أحد انه رأى النبي صلى الله عليه

وسلم يلصق الضحى الا أم هانئ وهذا ينازع فيه ما يأتي أن صلاة الضحى مما اختص  
بوجوبها صلى الله عليه وسلم  
وأسلمت أم هانئ ذلك اليوم الذي هو يوم الفتح أو وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال  
لها هل عندك من طعام نأكله قالت ليس عندي الا كسر يابسة وأنا استحي ان اقدمها  
إليك فقال هلمي بهن فكسرن في ماء وجاءت بملح فقال هل من آدم فقالت ما عندي  
يا رسول الله إلا شيء من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ثم  
قال نعم الآدم الخل يا أم هانئ لا يقفر بيت فيه خل  
أي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل أهله الآدم فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به  
فجعل يأكل به ويقول نعم الآدم الخل وفي الحديث عن جابر رضي الله تعالى عنهما  
مرفوعا إن الله يوكل بأكل الخل ملكين يستغفران له حتى يفرغ وجاء نعم الآدم الخل  
اللهم بارك في الخل فإنه كان إدام الأنبياء قبلي ولم يقفر بيت فيه خل  
وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بيدي ذات يوم إلى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت فقال هل من غداء  
فقالوا نعم فأتى بثلاثة اقرصة فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين  
يديه وأخذ قرصا فوضعه بين يدي ثم أخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه  
بين يدي ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من آدم فقالوا لا إلا شيء من خل قال هاتوه  
فنعم الآدم الخل وفي رواية فإن الخل نعم الإدام قال جابر رضي الله تعالى عنه فما زلت  
أحب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ما زلت  
أحب الخل منذ سمعتها من جابر  
وصفوان بن أمية استأمن له عمير بن وهب أي قال له يا نبي الله إن صفوان سيد قومي  
قد هرب ليقذفن نفسه في البحر فأمنه فإنك أمنت الأحمر والأسود فقال صلى الله عليه  
وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني أيه يعرف بها أمانك فأعطى صلى الله عليه  
وسلم لعمير عمامته التي دخل بها مكة أي وفي لفظ أعطاه برده أي بعد أن طلب من  
العود فقال لا أعود معك الا ان تأتيني بعلامة أعرفها فقال امكث مكانك حتى آتيك به  
فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده أي بعد أن قال له اعزب عني لا تكلمني  
فقال أي صفوان فذاك أبي وأمي جئتك من عند أفضل

الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن هذا يزعم أنك أمنتني قال صدق فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين فقال أنت بالخيار أربعة أشهر أي ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها أي بالجعرانة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملآنا نعمًا وشاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبي فأسلم كما سيأتي وهند امرأة أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فإنها أسلمت بعد وانما امر صلى الله عليه وسلم بقتلها لأنها مثلت بعمه حمزة رضي الله تعالى عنه يوم أحد ولاكت قلبه كما تقدم

وكعب بن زهير رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد وأنما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحشي رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قتل عمه حمزة رضي الله تعالى عنه يوم أحد وكانت الصحابة احرص شيء على قتله ففر إلى الطائف وقد قدمنا اسلامه استطرادا

قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم الفتح على الصفا يبائع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء يبائعهم على الاسلام أي على شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا أي وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فأخذته الرعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فإنني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريس كانت تأكل القديد أي وكان من جملة من بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعن معاوية رضي الله تعالى عنه لما كان عام الحديبية وقع الإسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت إياك ان تخالف إياك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت إسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر بإسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم

فرحب بي كتبت له أي بعد أن استشار فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال استكتبه فإنه أمين وأردفه النبي صلى الله عليه وسلم يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما

وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب زاد في رواية ومكن له في البلاد

وعن بعض الصحابة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لمعاوية يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والتي تليها ويذكر أنه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وادرجوني في الرداء وأزروني بالإزار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين وقد بشر بمعاوية رضي الله تعالى عنه بعض كهان اليمن وسبب ذلك أن أمه هند كانت قبل أبيه أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن فخلا ذلك البيت يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ثم خرج وكان الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة التي هي هند ولي هاربا وأبصره الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل إلى هند فضربها برجله وقال لها من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت رجلا ولا انتبهت حتى أيقظتني فقال لها الحقني بأبيك وتكلم فيها الناس فقال لها أبوها عتبة يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني نبأك فإن كان الرجل عليك صادقا دسست اليه من يقتله فنقطع عنك المقالة وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فحلفت له أنه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا عدا نرد على الكاهن الفلاني تنكرت حالة هند وتغير وجهها فقال لها

أبوها إني قد أرى ما بك من تنكر الحال وما ذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل أن يشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه عندي ولكني اعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنة أن يسمنى ميسما يكون على سبة في العرب قال إني سوف اختبره من قبل ان ينظر في أمرك فصفر بفرس حتى أدلى ثم أخذ حبة من حنطة فأدخلها في إحليله وأوكأ عليها بسير فلما وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فلما تغذوا قال له عتبة إنا قد جئناك في أمر وإني قد خبأت لك خباء اختبرك به فانظر ما هو قال سمرة في كمرة قال أريد أبين من هذا قال حبة بر في إحليل مهر قال صدقت انظر في أمر هذه النسوة فجعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها ويقول انهضي حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضي غير وسخاء ولا زانية وتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت إليك عني فوالله لأحرصن على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضي الله تعالى عنه الله تعالى عنهم وقد قال له صلى الله عليه وسلم يا معاوية إذا ملكت فأحسن وفي رواية إذا ملكت من أمراستي شيئا فاتق الله واعدل ويؤثر عنه رضي الله تعالى عنه أنه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجوا غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى رضي الله تعالى عنه حتى علا نحيبه كتب إلى عائشة رضي الله تعالى عنها اكتبني لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضي الله تعالى عنها مرة أخرى اما بعد فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان رضي الله تعالى عنه متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعني على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن أي وذلك إسقاط الأجنة زاد في لفظ ولا

تلحقن بأزواجكن غير أولادهم أي ولا تقعدن مع الرجال في خلاء أي لا تجتمع امرأة مع رجل في خلوة ولا تأتين ببهتان تفتريه بين أيديكن وارجلكن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البهتان ان تلحق بزوجها ولدا ليس منه أي ولا يغني عنه الزنا كما أن ذلك لا يغني عن الزنا وقد تحبل ولا يلحقه بأحد ولا تعصين في معروف وجاء أن بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعطيك فيه قال لا تصحن أي وفي لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا وفي لفظ ولا تحلقن شعرا ولا تحرقن قرنا ولا تشقن جييا ولا تدعين بالويل

وجاء هذه النوائح تجعلن يوم القيامة صفيين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلب وجاء تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثناء غرباء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول ويلاه وجاء النائحة إذا لم تنب تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وجاء لا تقبل الملائكة على نائحة وجاء ليس للنساء في اتباع الجنائز من اجر

وجاء أن هنداً قالت له صلى الله عليه وسلم إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال أي لان الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط وإنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله إنني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما اما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك أي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين أو تزني الحرة يا رسول الله ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وفي لفظ هل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر وفي لفظ أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم وفي لفظ ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضي الله تعالى عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفتريه والله إن اتيان البهتان لقيح زاد في لفظ وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصيني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف وفي

لفظ انها أته منتقبة بالأبطح وقالت إني امرأة مؤمنة أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك عبده  
ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بن بنت عتبة فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مرحبا بك

قال بعضهم وفي اسلام أبي سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها أي لأنها  
أسلمت بعده بليلة واحدة وإقرارهما على نكاحهما حجة للشافعي رضي الله تعالى عنه  
ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهي جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت  
فأذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من  
بنى عبد المطلب وقالت له إن مولاتي تعتذر إليك وتقول إن غنمها اليوم لقليل الوالدة  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لكم في غنكم وأكثر والدتها فكثر الله  
ذلك تقول تلك المولاة لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها ما لم نكن نرى قبل وجاءت  
اليه وقالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل على من حرج أن أطعم من  
الذي له عيالنا فقال لها لا عليك ان تطعميهم بالمعروف وفي لفظ إن أبا سفيان رجل  
شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما اخذت منه وهو لا يعلم قال خذي ما  
يكفيك وولدك بالمعروف أي وجاء ان بعض النساء قالت هلم نبايعك يا رسول الله قال  
لا أصافح النساء وانما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة وفي لفظ قولي لألف امرأة  
كقولي لامرأة واحدة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يصافح رسول الله صلى الله  
عليه وسلم امرأة قط وإنما كان يبايعهن بالكلام  
وعن الشعبي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يه ثوب وقيل إنه غمس  
يده في إناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة قال ابن الجوزي والقول  
الأول أثبت

وقد ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم لا في خصوص يوم الفتح على حروف  
المعجم في كتاب التلقيح وتقدم عن أم عطية رضي الله تعالى عنها انها قالت لما قدم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم ارسل إليهن  
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا  
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا وقرا  
إلى قوله تعالى في معروف فقلن

نعم فمد يده من خارج ومددن أيديهن من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحائل والفتنة مأمونة

وقال صلى الله عليه وسلم لعمة العباس اين ابنا أخيك يعني أبا لهب عتبة ومعت لا أراهما قال العباس رضي الله تعالى عنه قد تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيت بهما فدعاهما للإسلام فأسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامها ودعا لهما ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطق بهما حتى اتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له سر ك الله يا رسول الله إني أرى السرور في وجهك قال إني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهدا معي حنينا والطائف ولم يخرجنا من مكة ولم يأتيا المدينة وقلعت عين معتب في حنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ \* (إذا جاء نصر الله والفتح) \* انتهى وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية رضي الله تعالى عنه بقوله

\* واستجاب له بنصر وفتح

\* بعد ذلك الخضراء والغبراء

\* وتوالت للمصطفى الآية الكبرى

\* عليه والغارة الشعواء

\* فإذا ماتا كتابا

\* من الله تلتته كتيبة خضراء

\*

أي أجاب دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع وعن الأول كنى بالخضراء التي هي السماء فقد جاء في حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر انها أشد بياضا من اللين وخضتها من صخرة خضراء تحت الأرض وكنى عن الثاني بالغبراء التي هي الأرض وإنما كانت غبراء لأن جميع طبقاتها من طين مع حصول نصر له صلى الله عليه وسلم على أعاديه وفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وقتلهم وكثرة عدوهم مع التصميم على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وتوالت له عليهم الإغارة المحيطة بهم من سائر الجوانب

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن طلحة رضي الله تعالى عنه فإنه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص قبل الفتح واسلموا كما تقدم واستمر في المدينة إلى أن جاء معه صلى الله عليه وسلم



إلى فتح مكة وبه يرد ما روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه إلى عثمان بن طلحة لأخذ المفتاح فأبى أن يدفعه وقال لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه منه ولوى علي كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح قهرا وفتح الباب وأنه لما نزل قوله تعالى \* (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) \* أمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع له المفتاح متلظفا به فجاءه علي كرم الله وجهه بالمفتاح متلظفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي كرم الله وجهه لأن الله أمرنا برده عليك فأسلم

ثم لما دعا صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء إليه أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده  
ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الأحكام منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح امرأة علي عمتها ولا علي خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة ليال الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح ولا يصام يوم الأضحى ولا يوم الفطر ثم قال يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية \* (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) \* الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون وفي لفظ ماذا تقولون ماذا تظنون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت أي وفي لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على عضادتي الباب ثم قال ماذا تقولون ماذا تظنون أني فاعل فيكم قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وفي لفظ فإني أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطلاق في الأصل الأسير إذا أطلق فخرجوا فكأنما نشروا من فدخلوا في الإسلام

قال وذكر أنه لما فرغ من طوافه أرسل بلالا رضى الله تعالى عنه

إلى عثمان بن طلحة يأتي بمفتاح الكعبة فجاء إلى عثمان فأخبره فقال إنه عند أمي فرجع بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ان المفتاح عند أمه فبعث إليها رسولاً فقالت لا واللوات والعزى لا أدفعه أبداً فقال عثمان يا رسول الله أرسلني أخلصه لك منها فأرسله فجاء إليها فطلبه منها فقالت لا واللوات والعزى لا أوصله إليك أبداً فقال يا أمه ادفعيه إلى فإنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه إن لم تفعلني قتلت أنا وأخي ويأخذه منك غيري فأدخلته حجرتها وقالت أي رجل يدخل يده ههنا أي وقالت له أنشدك الله ان لا يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله قائم ينتظر حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمال من العرق فبينما هو يكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في الدار وعمر رضي الله تعالى عنه رافعا صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بني خذ المفتاح فإن تأخذه أحب إلي من أن تأخذه تيم وعدي أي أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فأخذه عثمان فخرج يمشي حتى إذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المفتاح فحنى عليه وتناوله أي وفي رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فأخذه مني وفتح الكعبة وفي رواية أنه قال له هاك المفتاح بأمانة الله وفي لفظ لما أبت أمه أنه تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه أو لأخرجن هذا السيف من منكب فلما رأت ذلك أعطته إياه فجاء به ففتح عثمان له الباب ويحتاج إلى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى إلى بعض هذه القصة بقوله

\* صرعت قومه حبال بغى  
\* مدها المكر منهم والدهاء  
\* فأتتهم خيل إلى الحرب تختا  
\* ل وللخيل في الوغى خيلاء  
\* قصدت منهم القنا فقوا في الطع  
\* ن منا وما شأنها الايطاء  
\* وأثارت بأرض مكة نقعا  
\* ظن أن الغدو منها عشاء  
\* أحجمت عنده الحجون أكدي  
\* دون اعطائه القليل كداء  
\* ودهت أوجها بها ويوتا  
\* مل منها الاقواء والإكفاء  
\* فدعوا أحلم البرية والعف  
\* و جواب الحليم والإغضاء  
\* ناشدوه القربى التي من قريش

\* قطعها الترات والشحناء  
\*

\* فعفا عفو قادر لم ينغص  
\* ه عليهم بما مضى إغراء  
\* وإذا كان القطع والوصل لله  
\* تساوى التقريب والإقصاء  
\* وسواء عليه فيما أتاه  
\* من سواه الملام والإطراء  
\* ولو أن انتقامه لهوى النفس  
\* س لدامت قطيعة جفاء  
\* فعله كله جميل وهل ين  
\* ضح الا بما حواه الأثناء  
\*

أي القت قومه الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل بغيهم التي مدها المكر والدهاء حالة كون ذلك منهم فبسبب مكرهم أتتهم من قبله خيل تتبختر بها راكبوها إلى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع في الحرب قصدت في أبدانهم الرماح فبسبب قصدها بهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ما عابها الإيطاء أي لم يعدم وجوده فيها والإيطاء في القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى هو معيب على الشاعر لأنه يدل على قصوره والطعنات المتوالية في محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا أظلم الجو حتى ظن أن وقت الغدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بأرض مكة عند فتحها أمسكت عند ذلك الغبار لكثرتة الحجون وهو كداء بالفتح والمد أعلى مكة لكثرة ما أعطاه صلى الله عليه وسلم الناس وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كداء بالضم والمد وهو أسفل مكة وهذه لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره وأهلكت تلك الخيول أوجها من الناس بمكة ممن أباح دمه ومن قاتل وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون إليها مل من تلك البيوت خلوها عن أنس بها والرجوع إليها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم لمن سأله العفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وحلفوه بالقربي التي وصلت إليه من بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة التي قطعتها المقاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم يكدر ذلك العفو منهم إغراء سفهائهم به حالة كون ذلك الإغراء منهما فيما مضى وإذا كان القطع والوصل لله تساوى عند فاعل ذلك التقريب للأقارب والبعداء والإبعاد للأقارب والبعداء والذي تقريبه وإبعاده لله لا لغيره يستوى عنده سبه والمبالغة في مدحه إذا أتاه ذلك من غيره ومن ثم لو كان انتقامه لهوى النفس الأمانة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحمن ودام إبعاده لها كيف



وقد قام لله في أموره كلها فبسبب ذلك أَرْضَى اللهُ تباين منه صلى الله عليه وسلم لأعدائه ووفاء لأوليائه فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل ولا بدع في ذلك إذا ما يسيل مما في الإناء على ظاهره إلا ما كان في تلك الإناء فمن امتلأ قلبه خيرا كانت أفعاله كلها خيرا ومن امتلأ قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا

ثم جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد ومفتاح الكعبة في يده في كفه فقام إليه علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع لنا وفي لفظ اجمع لي الحجابة مع السقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطيتكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس أي وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهي الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم

وفي رواية أن العباس رضي الله تعالى عنه تناول يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم أي منهم علي كرم الله وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء

وقيل نزلت هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها في شأن عثمان ابن طلحة رضي الله تعالى عنه ودفع المفتاح له أي لما أخذه علي كرم الله وجهه وقال يا رسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلي أكرهت وآذيت وأمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه فقد انزل الله في شأنك أي أنزل الله عليه ذلك في جوف الكعبة وقرأ عليه الآية ففعل علي كرم الله وجهه ذلك

وسياق هذه الرواية يدل على أن عليا كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان فلما نزلت الآية أمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح لعثمان والسقاية كما تقدم كانت أحواض من آدم يوضع فيه الماء العذب لسقاية الحاج ويطرح فيها التمر والزبيب في بعض الأوقات

وفي كلام الأزرقي كان لزمزم حوضان حوض بينها وبين الركن يشرب منه وحوض من ورائه للوضوء أي ولعل هذا كان بعد الفتح

والسقاية قام بها العباس رضي الله تعالى عنه بعد موت أبيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد تكلم فيها محمد بن الحنفية مع ابن عباس فقال له ابن عباس مالك ولها نحن أولى بها في الجاهلية والإسلام قام بها العباس بعد موت

أبيه عبد المطلب وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يوم الفتح واستمر المفتاح مع عثمان رضي الله عنه إلي أن اشرف على الموت ولم يعقب دفعه إلى أخيه شيبه ومن ثم عرفت ذريه بالشيبين أي وفي رواية دفع صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إلى عثمان والى شيبه ابن عمه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم

أي وكون شيبه ابن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ ابن حجر الشيبون نسبة إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فأبو طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبه وأتى طلحة بعثمان وفي كلام ابن الجوزي ما يوافق وهو أن عثمان لما هاجر إلى المدينة وأسلم سنة ثمان لم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أي وقد تقدم ثم رجع إلى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفي رسول الله فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى مكة واستمر مقيما بها حتى مات بها في أول خلافة معاوية رضي الله عنه فلم يزل عثمان رضي الله عنه يلي فتح البيت إلى أن اشرف على الموت دفع المفتاح إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة في ولد شيبه وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهي صناعة نبي الله إدريس عليه الصلاة والسلام

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا عثمان بن طلحة وقال له أرني المفتاح فأتاه به فلما بسط يده إليه قال العباس فقال يا رسول الله اجعله لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال صلى الله عليه وسلم أرني المفتاح فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كملته الأولى فكف عثمان يده فقال رسول الله يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني المفتاح فقال هاك بأمانة الله ولعل هذا كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة فيكون طلب العباس رضي الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة وبعده وفي رواية أنه قال له ائتني بالمفتاح قال فأتيته به فأخذه ثم دفعه إلي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم

وفي لفظ غيره إن الله رضي لكم بها في الجاهلية والإسلام إنني لما ادفعتها إليكم ولكن الله دفعها إليكم لا ينزعها منكم الا ظالم وفي رواية لا يظلمكموها الا كافر

ولا مانع ان يكون ذلك بعد ان دفعه علي كرم الله وجهه له بأمره صلى الله عليه وسلم  
وكأنه صلى الله عليه وسلم أحب أن يؤدي الأمانة بيده الشريفة من غير واسطة وقال له  
يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف  
فقال عثمان رضي الله عنه فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال ألم يكن الذي قلت لك  
قال رضي الله عنه فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لي بمكة قبل الهجرة  
وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها في الجاهلية يوم  
الاثنين والخميس فلما اقبل ليدخلها أغلظت عليه ونلت منه وحلم عي ثم قال صلى الله  
عليه وسلم يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت قد  
هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت  
كلمته صلى الله عليه وسلم مني موقعا وظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال صلى الله  
عليه وسلم قال فلما قال لي يوم الفتح ذلك قلت بلى اشهد انك رسول الله  
وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم دخل يؤمئذ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن أي  
للظهر على ظهر الكعبة وأبو سفيان وعتاب بن أسيد في لفظ خالد بن أسيد والحارث  
ابن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أي أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله  
أسيدا أن لا يكون يسمع هذا العبد فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث أما والله لو أعلم  
انه حق لا تبعته أي وفي رواية أنه قال ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ولا  
مانع من وجود الأمرين منه أي وتقدم في عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما  
أذن بلال رضي الله عنه على ظهر الكعبة أيضا أي وقال غير هؤلاء من كفار قريش لقد  
أكرم الله فلانا يعني أباه إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة وفي لفظ  
والله الحدث العظيم أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بيته فقال أبو سفيان لا أقول  
شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال لهم لقد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال أما أنت يا فلان فقد قلت كذا  
وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا فقال أبو سفيان وأما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا  
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على  
هذا أحد معنا فنقول أخبرك  
وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أبي سفيان وهو في المسجد فلما نظر

إليه أبو سفيان قال في نفسه ليت شعري بأي شيء غلبني فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حتى ضرب يده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أشهد أنك رسول الله وصار بعض قریش يستهزئون ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة رضي الله عنه وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدرة بيده الشريفة قال فامتأ قلبى والله إيماننا و يقينا فعلمت أنه روجل الله فالقى عليه صلى الله عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وكان ست عشرة سنة وعقبه بعده يتوراثون الأذان بمكة وتقدم أن أذان أبى محذورة وتعليمه صلى الله عليه وسلم الأذان كان مرجعه من حنين وتقدم طلب تأمل الجمع بينهما

وفي تاريخ الأزرقى أن جويرة بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال علي ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الأحبة ولقد جاء لأبى الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه

وعن الحارث ابن هشام قال لما أجاتني أم هانئ وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جوراها فصار لا أحد يتعرض لي وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فمر علي وأنا جالس فلم يتعرض لي وكنت استحي ان يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته إياي في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كان مثلك يجهل الإسلام

وجاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي أي وقيل عبد الله ابن السائب بن أبى السائب وقيل السائب بن عويمر وقيل قيس بن السائب بن عويمر قال في الاستيعاب وهذا أصح ما قيل في ذلك إن شاء الله تعالى وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم في الجاهلية فقال فأخذ عثمان وغيره يثنون على فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقف صحتها على الإسلام وهي الأعمال المتوقفة على النية التي شرطها الإسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الإسلام

ورأسل سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه ولده عبد الله ليأخذ أمانا منه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد إليه النظر فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغير برا كبيرا فكان سهيل رضي الله تعالى عنه يقبل ويدبر وخرج إلى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو على شركه حتى أسلم بالجعرانة وذكر أن فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا فضالة قال فضالة نعم يا رسول الله قال ما كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله تعالى عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه

قال ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف إلى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إن الله تعالى قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لأحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة أي من صبيحة يوم الفتح إلى العصر غضبا على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له إن الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم

وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقله ثم ودي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته

خزاعة وهو ابن الأقرع الهذلي من بني بكر فإنه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا أي والمشقص ما طال من النصال وعرض قال ابن هشام وبلغني أنه أول قنيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنه تقدم في خبير أنه ودى قتيلا وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا نغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة قال العلماء أي على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره

ولما أسلمت هند رضي الله تعالى عنها عمدت إلى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور

ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا إلى كسر الأصنام التي حول مكة أي لأنهم كانوا اتخذوا مع الكعبة أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم من ذلك كما تقدم العزى وسواع ومناة وسيأتي الكلام على ذلك في السرايا إن شاء الله تعالى أي وفي هذا العام الذي هو عام الفتح كان غزوة أوطاس وأوطاس هو هوازن وحللى صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها ففي صحيح مسلم عن بعض الصحابة لما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة خرجت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة غيطاء وفي لفظ مثل البكرة الغطنطية فعرضنا عليها أنفسنا فقلنا لها هل لك أن يستمتع منك أحدنا فقالت ما تدفعان قلنا بردينا وفي لفظ رداءينا فجعلت تنظر فتراني أجمل من صاحبي وترى برد صاحبي أحسن من بردي فإذا نظرت إلي أعجبته وإذن نظرت إلى برد صاحبي أعجبها فقالت أنت وبردك تكفيني فكنت معها ثلاثا

والحاصل أن نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خبير ثم أبيح يوم الفتح ثم نسخ في أيام الفتح واستمر تحريمه إلى يوم القيامة وكان فيه خلاف في الصدر الأول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وعدم جوازه

قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع الا وان الله حرمها إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا أي لكن في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال استمتعتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وفي رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضي الله تعالى عنه وقد تقدم في غزاة خيبر عن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه لا أعلم شيئا حرم ثم أبيض ثم حرم الا المتعة وهو يدل على أن اباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به وهذا يعارض ما تقدم ان الصحيح انها حرمت في حجة الوداع الا ان يقال يجوز ان تحريمها في حجة الوداع تأكيدا لتحريمها عام الفتح فلا يلزم أن تكن أبيضت بعد تحريمها أكثر من مرة كما يدل عليه إمامنا الشافعي لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها

وقد يقال مراد هذه القائل بعام أوطاس عام الفتح لأن غزاة أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم وما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من جوازها رجع عنه فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع إلى قول الصحابة في تحريم المتعة ونقل عنه رضي الله تعالى عنه انه قام خطيبا يوم عرفة فقال أيها الناس إن المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير والحاصل أن المتعة من الأمور الثلاثة التي نسخت مرتين الثاني لحوم الحمر الأهلية الثالث القبلة كذا في حياة الحيوان

قال واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها صلى الله عليه وسلم في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال إنما جزاء السلف الحمد والأداء أ

أي وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة أي بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته وبهذا الثاني قال أئمتنا ان من أقام بمحل لحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول والخروج ولعل

سبب إقامته المدة المذكورة أنه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في أهل الضعف من أصحابه فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة إلى حنين لحرب هوازن وجاء إليه صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وقد أخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أنه ابنه أي قال إذا قدمت مكة انظر إلى ابن وليدة زمعة فإنه منى فاقبضه إليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة أبي زمعة ولدته على فراشه أي مع كونها فراشا له فنظر صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الولد فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك يا عبد بن زمعة من اجل انه ولد على فراش أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة أحتجبي منه يا سودة لما رأى عليه من شبه عتبة أي فخشى أن يكون ابن خاله فأمرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم يرها حتى لقي الله وفي بعض الروايات احتجبي منه يا سودة فليس لك بأخ وسرقت امرأة فأراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها إلى أسامة بن زيد ابن حارثة رضي الله تعالى عنهم يستشفعون به فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله تعالى عنه وعمره احدى وعشرون سنة أمر مكة وأمره صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه في الكشاف وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله أي وقال ذلك ثلاثا فكان رضي الله تعالى عنه شديدا

على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إنني رأيت فما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديد حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم هذا

وفي تاريخ الأزرقى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أسيدا في الجنة وأني أي كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي رايت ادعوه لي فدعى له فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال يا عتاب أتدري على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا فإن قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن أسيد انه رآه في الجنة ثم يقول عن ولد أسيد إنه الذي رآه في الجنة قلنا لعل عتابا كان شديد الشبة بأبيه فظن صلى الله عليه وسلم عتابا أباه فلما رآه عرف أنه عتاب لا أسيد

وفي كلام سبط ابن الجوزي عتاب بن أسيد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة لما خرج إلى حنين وعمره ثماني عشرة سنة وفي كلام غيره ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم إنما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة إلا أن يقال لا مخالفة ومراده باستتلافه إبقاؤه على ذلك وينبغي ان يكون ما تقدم عن الكشاف من قول أهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استخلفت على أهل الله عتاب بن أسيد إلى آخره بعد ابقائه على استخلافه لما لا يخفى

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده كما تقدم مثل ذلك في أبي جهل ولده عكرمة رضي الله تعالى عنه

ولما ولاه صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له في كل يوم درهما فكان رضي الله تعالى عنه يقول لا اشبع الله بطنا جاع على درهم في كل يوم ويروي انه قام فخطب الناس فقال أيها الناس اجاع الله كبد من جاع على درهم أي له درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما في كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على مكة وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة ولعل الدرهم كل يوم يحرز القدر المذكور أي أربعين أوقية في السنة فلا مخالفة وفي السنن الكبرى للبيهقي وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذي قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر وألقاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش غزوة حنين

اسم موضع قريب من الطائف وفي كلام بعضهم إلى جنب ذي المجاز وهو سوق الجاهلية وتقدم ذكره وفي كلام بعض آخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوزان ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الواقعة في آخر الأمر أي وسببها أنه لما فتح الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوزان وثقيفا فإن أهلها كانوا طغاة عتاة مردة قال قال أئمة المغازي لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض فاشفقوا أي خافوا ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد فرغ لنا فلاناهية أي لا مانع له دوننا والرأي أن يغزونا فحشدوا وبغوا وقالوا وكان اجماع امر الناس إلى مالك بن عوف النصيري أي بالصاد المهملة رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر أي لأنه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أي وقيل قارب المائتين قاله ابن الجوزي وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب أي لأنه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الأسود وكان سن مالك بن عوف إذ ذاك ثلاثين سنة فإنه أسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الأسود وكان سن مالك بن عوف إذ ذاك ثلاثين سنة فأمر الناس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم

دريد بن الصمة فقال دريد للناس بأي واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم محل الخيل وفي لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس والحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاي وبالنون ما غلط من الأرض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء وبالسين المهملة ما صلب من الأرض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب مالي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون أي صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء ويعار بضم المشاة تحت وبالعين المهملة المخففة الداء صوت الشاء أي وخوار البقراي صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال ابن مالك أي وكان توافق معه على أن لا يخالفه فإنه قال له إنك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز أي غالبهم اما قتلا وإما خروجا عن ذل وصغار فقال له لا نخالفك في أمر تراه فقيل له هذا مالك فقال يا مالك اما انك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام مالي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فأنقض به قال أبو ذر أي زجره كما تزجر الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به وهو معنى قول الأصل أي صوت بلسانه في فيه ثم قال له راعي وفي لفظ روعي ضأن والله ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والأموال وقال هل يرد المنهزم شيء إن كانت لك لم ينفعك كعب وكلب قالوا لم يشهدا منهم أحد قال غاب الحد والجد الأول بفتح الحاء المهملة والثاني بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم علا ورفعة ما غابا ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا أطيعك إنك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن قد شرط يعني مالكا أن لا يخالفني فقد خالفني فأنا أرجع إلى أهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها رأي أو ذكر قالوا أطعناك أي ثم جعل النساء فوق الإبل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا الإبل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا وفي لفظ

صفت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم صفت النساء على الإبل ثم صفت الغنم ثم صفت  
النعم ثم قال للناس إذا رأيتموهم شدوا عليهم شدة رجل واحد وبعث عيوننا له أي وهم  
ثلاثة أنفار أرسلهم لينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا وقد تفرقت  
أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا  
أن أصابنا ما ترى وإن أطعنا جعنا بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن العسكر فلم يردده  
ذلك ٤ ومضى على ما يريد

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل إليهم رجلا من أصحابه  
أي وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره ان يدخل فيهم ويسمع منهم أجمعوا  
عليه فدخل فيهم أي ومكث فيهم يوما أو يومين وسمع ثم أتى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فأخبره الخبر أي وجاءه رجل فقال يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم  
حتى طلعت جبل كذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشبابهم اجتمعوا  
إلى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى  
فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر السير إلى هوازن وذكر له صلى الله عليه  
وسلم أن عند صفوان بن أمية ولم يكن اسلم يومئذ بل كان مؤمنا ادراعا وسلاحا فأرسل  
صلى الله عليه وسلم اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان  
أغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك  
قال ليس بهذا بأس وفي رواية الإمام احمد قال صفوان عارية مؤداة فقال صلى الله عليه  
وسلم العارية مؤداة فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح قبل وسأله صلى الله عليه  
وسلم أن يكفيهم حملها ففعل وذكر ان بعض تلك الأدرع ضاع فعرض عليه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أن يضمناها له فقال أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام ارجب  
قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة  
آلاف رمح فقال له كأنني أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين أهأي وتقدم  
أن نوفلا هذا فدى نفسه وكان في اسرى بدر بألف رمح  
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة  
آلاف الذي فتح الله تعالى بهم مكة أي على ما تقدم  
قال بعضهم وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير وهن يرجون

الغنائم ولا يكرهون أن من لم يصدق إيمانه أن الضيعة وفي لفظ أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أي فقد خرج معه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو فلما قربوا من محل العدو صفهم ووضع الأولوية والرايات مع المهاجرين والأنصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه وأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه راية ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضي الله تعالى عنه ولواء الأوس أعطاه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه وفي سيرة الدمياطي وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبائل العرب فيها الأولوية والرايات يحملها رجال منهم وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسنين المهملة والغين المعجمة وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ومروا بشجر سدرة كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها بها فقالت الصحابة رضي الله تعالى عنه الله تعالى عنهم يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام أجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركن سنن من كان قبلكم فلما كان بحنين وانحدورا الوادي أي وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك بإشارة دريد بن الصمة فإنه قال لمالك اجعل لك كميناً يكون لك عوناً إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد أي وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم أي وعن البراء رضي الله تعالى عنه وسأله رجل فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وأما ما روى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً فمنهزماً حال من سلمة لا من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم قط في موطن من المواطن كما تقدم وعن البراء رضي الله عنه كانت هوازن ناساً رماة وإنما حملنا عليهم انكشفوا

فأكببا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى أحد على أحد أي ويقال إن الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أي من كان إسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهمزوا فهم أول من انهزم وتبعهم الناس وعند ذلك قال أبو قتادة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ما شأن الناس قال أمر الله وهذا السياق يدل على أنهم انهزموا مرتين الأولى في أول الأمر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم والذي في الأصل الاقتصار على الأولى وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن أخيه الحارث وربيعه بن الحارث ومعتب ابن عمه أبي لهب وفقئت عينه ولم أقف على أيهما كانت أي ووردت في عد من ثبت معه روايات مختلفة فقليل مائة وقليل ثمانون وقليل اثنا عشر وقليل عشرة وقليل كانوا ثلاثمائة

ولا مخالفة لإمكان الجمع وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله إني عبد الله ورسوله وعن العباس رضي الله عنه كنت آخذنا بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهي الشهباء التي أهداها له فروة بن عمرو الجزامي أي صاحب البلقاء وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة وقليل التي يقال لها دلدل التي أهداها له المقوقس وفي البخاري التي أهداها له ملك أيلة قال بعضهم والأول أثبت ويدل الثاني ما أخرجه أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم دلدل البدى فألزقت بطنها بالأرض الحديث وأبو سفيان ابن الحارث أخذ بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين رأى ما رأى من الناس إلى أين أيها الناس فلما ار الناس يلوون على شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمره يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي لفظ يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالأنصار الذين آووا ونصروا أي وإنما خص صلى الله عليه وسلم العباس بذلك لأنه كان عظيم الصوت

كان صوته يسمع من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانة آخر الليل وهم  
بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية أميال  
وغارت الخيل يوما على المدينة فنأدى واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من عظم  
صوته

وفي لفظ آخر نادى يا أصحاب السمرة يوم الحديدية يا أصحاب سورة البقرة أي  
وخص سورة البقرة بالذكر لأنها أول سورة نزلت في المدينة لأن فيها \* (كم من فئة  
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) \* وفيها \* (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) \* وفيها \*  
(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) \* في لفظ نادى يا أنصار الله وأنصار  
رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لأنهم كانوا صبرا في الحرب أو غلب  
فأجابوا لبيك لبيك وفي لفظ يا لبيك يا لبيك

أي وفي البخاري لما أدبروا عنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنأدى يومئذ  
نداءين التفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك  
ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الأنصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك  
ويجوز أن يكونه هذا بعد نداء العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم وصار الرجل  
يلوي بغيره فلا يقدر على ذلك أي لكثرة الأعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في  
عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بغيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله  
إلا عطفة الإبل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها فلما حهم أخوف عندي على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى إذا انتهى إليه من الناس مائة استقبلوا  
الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القوم وهم يجتلدون أي  
وكان شعارهم كيوم فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم الآن حمى وهو حجارة توحد  
العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الأصل التنور وهذه من الكلمات  
التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب أي وصار  
يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن

عبد المطلب وهذا السياق يدل على أن المائة انتهت اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة ابن النعمان يا حارثة كم ترى الناس الذي ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يا رسول الله مائة فلما كان يوم من الأيام مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد فقال جبريل عليه السلام يا محمد من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان فقال جبريل عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام فلما أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له ما كنت لأظنه الا دحية الكلبي واقفا معك

وفي رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق معه إلا أربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الأيسر ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم إلا قتل

وذكر بعضهم أنه رأى أبا سفيان بن الحارث حينئذ أخذاً بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ما تقدم أن الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وأن أبا سفيان بن الحارث كان أخذاً بركابه صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون أخذاً بزمامها بعد أخذه بركابه صلى الله عليه وسلم

وعن أبي سفيان بن الحارث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتا والله يعلم أنني أريد الموت دونه وهو ينظر إلي فقال له العباس يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت إلي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب وقال الله عليه وسلم في حقه أبو سفيان ابن الحارث من شبان أهل الجنة أو من سيد فتیان أهل الجنة وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب إلى آخره من الشعر لأن شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية بناء على أن مشطور ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافاً للأخفش حيث رد على الخليل في قوله إن الرجز شعر بأنه وقع منه صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور وقد قال الله تعالى\* (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)\*

ورد بأن ما يقع موزونا لا عن قصد لا يقال له شعر ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع زيادة وإنما قال صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لأن العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم إلى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته كما تقدم فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك والفواطم وأخذ من هذا أنه لا باس بالانتساب في موطن الحرب

وذكر الخطابي انه صلى الله عليه وسلم إنما قال أنا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب أيام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها وذكرهم إياها وهي إحدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولني من الحصباء فانخفضت به بغلته حتى كادت بطنها تمس الأرض ثم قبض قبضة من تراب قال بعضهم كأن الله أفقه أي أفهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم أي علمت مراده وفي رواية كما تقدم أنه قال لها يا دلدل البدي فلبدت أي انخفضت وفي رواية قال اربضي دلدل فربضت وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله علي وقيل ابن مسعود رضي الله عنهم فعنه حادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعتك الله فقال ناولني كفا من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شأهت الوجوه أي وفي رواية قال حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما فما خلف الله منهم إنسانا الا ملأت عينيه وفمه ترابا تلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين أي وقال بعضهم ما خيل إلينا الا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا

وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبة شاة أن كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن في آثارهم إذ صاحب بغلة بيضاء وإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شأهت الوجوه ارجعوا فانهمنا

من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت إياها والى رمية صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار  
صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله  
\* رومى الحصى فأقصد جيشا  
\* ما العصا وما الإلقاء  
\*

أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصى فأهلك ذلك الجيش العظيم أي شيء عصا  
موسى عند ذلك الحصى وأي شيء إلقاء موسى عليه السلام لتلك العصا عند إلقاء ذلك  
الحصى شتان ما بينهما فلا يقاس هذه بذلك لأن هذا أعظم لأن انقلاب العصا حية كان  
مشابها لانقلاب حبالهم وعصيتهم حيات لأن ابتلاعها لحبالهم وعصيتهم لم يقهر العدو  
ولم يشتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم وعتوهم على موسى عليه السلام بخلاف هذه  
الحصى فإنه أهلك العدو وشتت شمله

أي وذكر انه عند القتال أنزل الله تعالى قوله يوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن  
عنكم شيئا إلى قوله غفور رحيم

فقد جاء ان بعض أصحابه أي وهو أبو بكر رضي الله عنه كما في سيرة الحافظ  
الدمياطي قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وساءته تلك الكلمة وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى  
كثرة المسلمين وقيل قال ذلك فتى من الأنصار أي وهو سلمة بن الأكوع أو سلامه بن  
وقش

أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه وقال اللهم أنشدك ما وعدتني اللهم لا  
ينبغي لهم أن يظهروا علينا

أي وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن الضحاك قال دعا موسى عليه الصلاة  
والسلام حين توجه إلى فرعون لعنه الله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين  
كنت وتكون وأنت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه  
سنة ولا نوم يا حي يا قيوم

وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في راس رمح طويل  
وهوزان خلفه إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو  
كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل من الأنصار يريدانه فأتى  
على من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل  
فضرب ضرب أطن

قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما في نفوسهم من الضعف ومنهم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه قيل وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزمات في كنانته فقال لا تنتهي هزيمتهم يعني المسلمين دون البحر أي وقال والله غلبت هوزان فقال له صفوان بفيك الكتيب أي الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة إلى مكة وسر بذلك قوم من مكة وأظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب إلى دين آبائها أي وقال آخر أي وهو أخو صفوان لأمه ألا قد بطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أي أسقط أسنانك والله لأن يرني من الربوبية أي يملكني ويدبر أمري رجل من قريش أحب إلي من أن يرني رجل من هوازن وفي رواية مر رجل من قريش على صفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونه أبدا فغضب صفوان رضي الله عنه وقال اتبشرنني بظهور الأعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب إلي من رجل من الأعراب وقال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وكونهم لا يجبرونها أبدا هذا ليس بيدك الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شيء إن أديل عليه اليوم فإن له العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو والله إن عهدك بخلافة لحديث فقال له يا أبا يزيد كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجر الأيضر ولا ينفع

وعن شيبه الحجي رضي الله عنه أي حاجب البيت ويقال لبنيه بنو شيبه وهم حجة البيت كما تقدم أنه كان يحدث عن سبب إسلامه قال ما رايت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه أبائنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار إلى حرب هوزان قلت أسير من قريش إلى هوازن بحنين فعسى أن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها أي ولفظ اليوم أدرك تأري من محمد أي لأن أباه وعمه قتلا يوم أحد قتلها حمزة رضي الله عنه كما تقدم

وأقول لم لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته لا يزداد ذلك الأمر

عندي الا شدة فلما اختلط الناس ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف  
ودنوت منه أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع إلى شواظ من النار  
كالبرق كاد يهلكني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه

وفي رواية لما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد فناداني صلى  
الله عليه وسلم يا شيبه ادن مني فدنوت منه فالتفت إلى وتبسم وعرف الذي أريد منه  
فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبه فوالله لهو كان الساعة إذا  
أحب إلى من سمعي وبصري ونفسي وأذهب الله ما كان في ثم قال صلى الله عليه  
وسلم ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله أعلم إنني أحب أن أقيه بنفسي كل  
شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لأوقعت به السيف فجعلت الزمه فيمن لزنه  
حتى تراجع المسلمون وكرواكرة واحدة وقربت إليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوى  
عليها قائما وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه أي لا يلوى أحد منهم على أحد  
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه واتبعهم المسلمون يقتلونهم  
حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وفي رواية من أقام بينة على قتيل قتله فله  
سلبه

وفي الأصل في غزوة بدر ان المشهور أن قول النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا  
فله سلبه إنما كان يوم حنين واما ما روى أنه قال ذلك يوم بدر ويوم أحد فأكثر ما  
يوجد في رواية من لا يحتج به ومن ثم قال الامام مالك رضي الله عنه لم يبلغني ان  
النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين

وتعقب ما في الأصل بأنه وقع ذلك في غزوة مؤتة كما في مسلم وهي قبل الفتح  
وفي كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول الأمر وإنما تجدد يوم حنين  
للإعلام العام والمناداة لا لمشروعيته

وحدث أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه أستلب وحده عشرين رجلا أي  
قتلهم وأخذ أسلابهم

وقال أبو قتادة رضي الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان وإذا رجل من  
المشركين يريد إعانة المشرك على المسلم فأتيته وضربت يده فقطعتها فاعتقني بيده

الأخرى فوالله ما ارسلني وجدت ريح الموت ولولا أن الدم نزفه لقتلني فسقط وضربته فقتلته وأجهضني القتال من استلابه فلما وضعت الحرب أوزارها قلت يا رسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب واجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يا رسول الله فأرضه عني من سلبه فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لا يرضيه تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله وفي لفظ قال أبو بكر رضي الله عنه أي للنبي صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضييع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والأضييع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أردد عليه سلبه قال أبو قتادة رضي الله عنه فأخذته منه فاشترت بثمنه أي السلب الذي جمعته الذي جمعته بستانا وأدرك ربيعة بن ربيع دريد ابن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة فإذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال أقتلك قال ومن أنت قال انا ربيعة بن ربيع السلمي ثم ضرب بسيفه فلم يغن شيئا فقال له يسخر به بئس ما سلحتك أمك بن خذ سيفي هذا من مؤخرة الرحل ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أحبر ربيعة أمه بقتله فقالت له أما والله لقد اعتق اثنين بل ثلاثا وقالت له ألا تكرمتم عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لا تكرم عن رضا الله ورسوله أي وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضي الله عنه وقيل عبد الله بن قبيع وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنه وهي حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم قالت إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة الا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميضاء فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أي وكان يقال لها العمصياء والرميضاء وهي التي يخرج القذى من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل له لها الرميضاء لرمص كان في عينها وعن ولدها أنس بن مالك رضي الله عنه قال قد مات أبي مالك عنها مشركا ثم خطبها عمي أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الاسلام فأسلم فقالت له إني أتزوجك ولا

آخذ منك صداقا غيره فتزوجها قال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه العميصاء بنت ملحان أم انس بن مالك

وعنه رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل على أحد من النساء إلا أزواجه وإلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها فليل له في ذلك فقال إني ارحمها قتل أخوها معي ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها كأزواجه ولا ينافي انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على غيرها من النساء الأنصار لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الاختلاء بالأجنبية فكان يدخل على أخت أم سليم وهي أم حرام بالراء رضي الله عنها وتفلى له رأسه الشريف وينام عندها ويدخل على الربيع ثم رأته في الامتاع أشار إلى ذلك

وفي مزيل الخفاء أن أم سليم وأختها خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع وعليه فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالأجنبية

وعن أنس رضي الله عنه قال مات ابن لأبي طلحة من أم سليم أي وهو أبو عمير الذي كان صلى الله عليه وسلم يداعبه ويقول أب عمير ما فعل النغير ذكره السيوطي في كتابه تبريد الأكباد

وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه غيره فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بانه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقال ما فعل ابني قالت هو أسكن ما كان فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم ان يمنعوا قال لا قالت فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما في غابر ليلتكما قال فحملت بعبد الله المذكور قالت ولما ولدته حملته وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن في فيه الشريف فلا كهن ثم فغز فالصبي فمجه فيه فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار التمر

وسماه عبد الله أي وجاء لعبد الله هذا الذي جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن ولما أخبر أبو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم قال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني إسرائيل فليل يا رسول الله ما كان من خبرها قال كان في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها امرها بطعام تصنعه ليدعوا عليه الناس ففعل واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يعلبان فوقعا في بئر كانت في الدار فكرهت ان تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أي ابناي قالت هما في البيت وإنما كانت تمسح بشيء من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال أين ابناي قالت هما في البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبري ولما أنهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم أبا عامر الأشعري رضي الله عنه وسيأتي في السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعري رضي الله عنه وسيأتي في السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معسكره قال شيبة فدخل خبائه فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال يا شيبة إلي أراد الله خيرا مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لأحد قط فقلت إني أشهد ان لا إله الا الله وأنك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك أي وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضي الله عنها بابي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فإنهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد كفى وأحسن وعن عائذ بن عمرو قال أصابتنى رمية يوم حنين في جبتهي فسال الدم على وجهي وصدري فسد النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهي وصدري إلى ترقوتي ثم دعاني فصار اثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس وجرح خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ففتل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فلم يضره أي فعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني

على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند إلى مؤخرة رحله لأنه قد اثقل بالجراحة فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فبرئ

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيئاً اسود اقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا نمل أسود مبعوث قد ملا الوادي لم أشك أنها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم

وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله أن سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم أي فعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالاً بيضا على خيل بلق عليها عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض وكتائب لا نستطيع ان نقاتلهم من الرعب منهم ولما وقعت الهزيمة أسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم

وعن شيبه الحجبي قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت إسلاماً ولكن خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش فوالله إني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني لأرى خيلاً بلقا قال يا شيبه إنه لا يراها إلا كافر فضرب بيده صدري ثم قال اللهم أحد شيبه فعل ذلك ثلاثاً فما رفع صلى الله عليه وسلم يدع عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب إلي منه ويحتاج إلى الجمع بينه وبين ما تقدم على تقدير صحتهما

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنائم ان تجمع فجمع ذلك كله واحضره إلى الجعرانة أي بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من أهل الحديث يشددها وسمي المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك وقيل وهي التي نقضت غزلها من بعد قوة فكان بها إلى أن انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من غزوة الطائف وفي هذه الغزوة سمي طلحة بن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

## غزوة الطائف

ولما علم صلى الله عليه وسلم أن مالك بن عوف وجمعا من اشراف قومه لحقوا بالطائف عند انهزامهم أي الطائف بلد كبير كثير الأعناب والنخيل والفاكهة قيل سمي بذلك لأن جبريل عليه السلام طاف بها حين نقلها من الشام إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أي أن الله يرزقهم أي أهل مكة من الثمرات أي وقيل إنهم بنوا حوائطها وطافوا به تحصينا لهم وقيل هي جنة أصحاب الصريم كانوا نواحي صنعاء نقلها جبريل عليه السلام فسار بها إلى مكة وطاف بها حول البيت ثم أنزلها في ذلك المكان أي ويقال له وج سمي ذلك باسم شخص من العماليق أول من نزل به وأن أولئك القوم تحصنوا في حصن به وأدخلوا فيه ما يصلحهم سنة خرج صلى الله عليه وسلم من حنين وتوجه إليهم وترك السبي بالجعرانة أي وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسبي والغنائم إلى الجعرانة مع بديل ابن ورقاء الخزاعي وفي كلام السهيلي وكان سبي حنين ستة آلاف رأس قد ولي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أبا سفيان بن حرب امرهم وجعله أمينا عليهم هذا كلامه أي ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لأن أبا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سيأتي فلا معارضة

أي ومر صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فه فأرسل إليه صلى الله عليه وسلم إما أن تخرج وإما ان نخرب عليك حائطك فأبي أن يخرج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحراقه ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف أي وكان من ثمود قوم صالح أي وقد أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ثم دفن فيه أي بعد أن كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة فلما خرج من الحرم إلى المكان المذكور أصابته النقمة

فعن بعض الصحابة حين خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف

وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابته  
قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث  
وفي العرائس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم لوط أحد قال لا إلا رجل بقي أربعين  
يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر  
ارجع من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله تعالى فرجع فوقف خارجا من الحرم  
أربعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته وخرج من الحرم إلى هذا  
المحل اصابه الحجر فقتله فدفن به  
وأبو رغال هذا هو الذي كان دليلا لأبرهة ليوصله إلى مكة لما مر أبرهة بالطائف وتلقاه  
أهله وأظهروا له الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فأرسلوا أبا رغال  
معه دليلا كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم أية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن  
أنتم نبشتم عنه اصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن وقدم صلى الله  
عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه على مقدمته أي وهي خيل بني سليم  
مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك  
حتى وصل فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا  
شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات  
أي وممن أصيب أبو سفيان بن حرب أصيبت عينه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم  
وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم إن شئت دعوت فردت عينك وإن شئت فالجنة وفي لفظ فعين في الجنة قال  
فالجنة ورمى بها من يده أي وقلعت عينه الثانية في القتال يوم اليرموك عند مقاتلة الرم  
فإن أبا سفيان رضي الله عنه كان في ذلك اليوم يحرض المسلمين على قتال الروم  
والثبات لهم ويقول لهم الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم اللهم هذا يوم من أيامك  
اللهم أنزل نصرك على عبادك وذلك في آخر خلافة الصديق فإن الصديق رضي الله عنه  
توفي وهم في الاستعداد للقتال باليرموك وكان الأمير على العسكر خالد بن الوليد رضي  
الله عنه  
ولما ولي سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل البريد بعزل خالد وولاية أبي عبيدة ابن  
الجراح على العسكر فجاء البريد وقد التحم القتال بين المسلمين والروم واخذته

خيول المسلمين وسألوه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخبر وسلامة وأخبرهم عن امداد  
يجئ إليهم واخفى موت أبي بكر رضي الله تعالى عنه وتأمير أبي عبيدة فأتوا به إلى  
خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فأسر اليه موت أبي بكر وولاية عمر رضي الله  
تعالى عنهما وأخبره بما أخبر به الجند فاستحسن ذلك منه واخذ الكتاب فجعله في  
كنانته وخاف إن هو أظهر ذلك يتخاذل العسكر ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنائم  
ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضي الله تعالى عنه الكتاب إلى  
أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فتولى أبو عبيدة ثم بعث أبو جندل رضي الله  
تعالى عنه بشير إلى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بالتفح على المسلمين  
ولما عزل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة خطب الناس  
وقال إني اعتذر إليكم من خالد بن الوليد إني نزعت وأثبت أبا عبيدة بن الجراح فقام اليه  
عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد وابن عم أم سيدنا عمر فقال والله ما  
عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفاً  
سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وجفوت ابن العم فقال عمر  
رضي الله تعالى عنه إنك قريب القرابة حديث السن غضبت لابن عمك  
ومات ممن خرج بالطائف اثنا عشر رجلاً فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
موضع مسجد الطائف الآن وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب  
رضي الله تعالى عنهما فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة  
مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوماً أي غير يومي الدخول والخروج وهذا هو  
المراد يقول فقهاؤنا لأنه صلى الله عليه وسلم أقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن  
يقصر الصلاة وقيل في مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة  
وعندها أخوها عبد الله ومخنث وإذ المخنث يقول يا عبد الله إن فتح الله عليك  
الطائف غدا فعليك بابنه غيلان فان تقبل بأربع وتدبر بثمان فلما سمعه صلى الله عليه  
وسلم قال لا يدخل هذا عليك وأراد المخنث بالأربع التي تقبل بهن عكنها الأربع التي  
في بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهي الثمانية التي تدبر بهن  
أي وفي الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاخته بنت عمرو

ابن عائذ يقال له ماتع وكان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يرى أنه لا يفتن لشيء من أمر النساء ولا إربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد ويقال لعبد الله أخي أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك ببادية أي رضي الله تعالى عنها فإنه أسلمت وبادية بالياء تحت لا بالنون بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان إذا قامت تثنت وإذا جلست تبنت وإذا تكلمت تغنت وبين رجلها مثل الإناء المكفوء ثم نفر كأنه الأحقوان فقال صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا الخبيث يفتن لما اسمع وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمعنت النظر ما كنت أظن هذا الخبيث يعرف شيئاً من أمر النساء

وفي الأغاني أن هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها وإسكان التحتية بعدها مثناة والهيئة الأحمق المخنث قال لعبد الله بن أمية إن فتح الله عليكم الطائف فاسأل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فإنها رداح شموع نجلاء إن تكلمت تغنت يعني من الغنة وإذا قامت تثنت موردة الخدين منحطة المانتين لقحاء الفخذين مسرولة الساقين كأنها قضيب بان وفي لفظ كأنها حوط بأنه قصفت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذها شيء مخبوء كأنه الإناء المكفوء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت النظر يا عدو الله ثم نفاه من المدينة إلى الحمى وقال لا يدخل على أحد من نسائكم فقبل له صلى الله عليه وسلم إنه يموت جوعاً فأذن له ان يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس

وقيل نفى صلى الله عليه وسلم كلا من ماتع وهيت إلى الحمى فشكيا الحاجة فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان الناس ثم يرجعان إلى مكانهما فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلا المدينة فأخرجهما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلما توفي دخلا المدينة فأخرجهما عمر رضي الله تعالى عنه فلما مات دخلا وغيلان أبو بادية هو الذي أسلم وعنده عشر نسوة فأمره صلى الله عليه وسلم ان يمسك أربعاً ويفارق سائرهن

واختلف الفقهاء في ذلك فقال فقهاء الحجاز يختار أربعاً وقال فقهاء العراق يمسك التي تزوج أولاً ثم تليها إلى الرابعة واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال

وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له أي ولدك أحب إليك فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يعافى والصغير حتى يكبر وكان المخنثون في زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت وماتع وهذم وقيل لهم ذلك لأنه كان في كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا أنهم يأتون الفاحشة الكبرى ويحتمل أن يكون كل من ماتع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال أنه نفاهما وفي البخاري أن القائل لعبد الله ما تقدم هو هيت ويحتمل أن الذي كان معه صلى الله عليه وسلم أحدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر خلط من بعض الرواة فليتأمل

وقال اقبل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ونادى من يبارز فلم يطلع اليه أحد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل إليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا

فإن به من الطعام ما يكفينا سنين فإن أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إليك بأسيفنا جميعا حتى نموت عن آخرنا أه ونصب عليهم المنجنيق أي ورمى به كما في كلام غير واحد من أئمتنا وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام أي ارشده إليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال إنا كنا بأرض فارس نصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا أي ويقال إن سلمان رضي الله تعالى عنه هو الذي عمله بيده وفيه أنه تقدم في خيبر أنه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات إلا أن يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذي بالطائف لأنه يجوز أن يكون الذي وجدوه في خيبر لم يكن معهم في الطائف وتقدم في خيبر انه صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح وسالهم أربعة عشر يوما ولم يخرج أحد منهما هم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على حصن البراء وقد قدمنا أن ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا في غزوة الطائف لأنه يجوز أن يكون مراد هذا البعض لم يرم به الا في غزوة الطائف أي كما أشرنا اليه

وأول من صنع المنجنيق إبليس فإن نمرودا لعنهما الله لما أراد ان يلقي إبراهيم عليهم الصلاة والسلام في النار بني إلى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ولما ألقوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار إلى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون إبراهيم فتمثل

لهم إبليس لعنه الله في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على راس الجبل ووضعوه فيه وألقوه في تلك النار وأول من رمى به في الجاهلية جذيمة الأبرش وهو أول من أوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة وزحفوا بها إلى جدار الحصن ليحرقوه وفي الإمتاع دخلوا تحت دبابتين وكانا من جلود البقر فأرسلت إليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمواهم بالنبل فقتل منهم رجال أي والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الألف موحدة ثم تاء التأنيث وهي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيذبون بها إلى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم أي ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أدعها لله والرحم ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر أي وقيل ثلاثة وعشرون رجلاً ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له أبو بكرة أي وكان عبداً للحارث بن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة قال واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن في أن يأتي ثقيفاً في حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له في ذلك فأتاهم فدخل في حصنهم فقال لهم تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد أي زاد بعضهم ولا تعطوا بأيديكم ولا تتأثروا أي لا يشق عليكم قطع هذا الشجر فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالإسلام ودعوتهم إليه وحذرتهم النار ودلتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت إنما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك أ ه ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف أي فإن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض إلى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن وقال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك فقال لم يؤذن لنا في قتالهم فقال رضي الله تعالى عنه كيف نقبل في قوم لم يأذن الله فيهم وفي لفظ إن خولة قالت يا رسول الله أعطني ان فتح الله عليك

الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارعة بنت عقيل وكانت من أحلى نساء ثقيف فقال لها صلى الله عليه وسلم وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خولة فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة زعمت أنك قلت لها قال قلتها قال أو ما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا قال أو أذن بالرحيل قال بلى واستشار رسول الله بعض الناس أي وهو نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت اخذته وإن تركته لم يضرك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأذن في الناس بالرحيل فقبح الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت الناس جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله ففسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أي تعجبا من سرعة تغير رأيهم لأنهم رأوا أن رأيهم صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا إليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا ارتحلوا واستقبلوا قال قولوا آييون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل يا رسول الله ادع علي ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وأئت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية رحمه الله يشير إلى ذلك بقوله

\* جهلت قومه عليه فأغضى

\* وأخو الحلم دأبه الإغضاء

\* وسع العالمين علما وحلما

\* فهو بحر لم تعيه الأعباء

\*

أي آذاه صلى الله عليه وسلم قومه من قريش وغيرهم فأرخص جفنه حياء وصاحب عدم الانتقام شأنه إرخاء الجفن وسع علمه علوم العالمين من الإنس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو بسبب ذلك بحر واسع لم تتعبه الأحمال الثقيلة ومن جملة من جرح سيدنا عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما رماه بسهم أبو محجن وطاوله ذلك الجرح إي أن مات به في خلافة أبيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا مر عليه أبوه يوم الجمعة وهو يلاعبها وقد صلى الناس فقال عبد الله أو جمع الناس فسمعه أبوه فقال أشغلتك عن

الصلاة لا جرم لا تبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبد الله بسبب طلاقها فاطلع  
عليه أبوه يوما فسمعه يقول أبياتا من جملتها  
\* فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها  
\* ولا مثلها في غير جرم تطلق  
\*

فقال له يا عبد الله راجع عاتكة فقال لأبيه قف بمكانك وكان معه غلام مملوك له فقال  
الغلام أنت حر لوجه الله اشهدا أني قد راجعت عاتكة فلما مات رضي الله تعالى عنه  
رثته بقولها في ابيات  
\* آليت لا تنفك عيني حزينة  
\* عليك ولا ينفك جلدي أغبرا  
\*

ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فلما أعرس بها قال له علي كرم الله  
وجهه أتأذن لي أن أكلم عاتكة فقال لا غيرة عليك كلمها فقال لها علي كرم الله وجهه  
أنت القائلة البيت  
\* آليت لا تنفك عيني قريرة  
\* عليك ولا ينفك جلدي أصفرا  
\*

قالت لما أقل هكذا وبكت وعادت إلى حزنها فقال له عمر رضي الله تعالى عنه يا أبا  
الحسن إلا إفسادها علي فلما قتل عمر رضي الله تعالى عنه رثته بأبيات منها  
\* من لنفس عادها احزانها  
\* ولعين شفها طول السهد  
\* جسد لفف في أكفانه  
\* رحمة الله على ذال الجسد  
\*

\* ثم تزوجها الزبير رضي الله تعالى عنه فلما قتل رثته بأبيات منها تخاطب قاتله  
\* ثكلتك أمك أن قتلت لمسلما  
\* حلت عليك عقوبة المتعمد  
\*

ثم خطبا سيدنا علي كرم الله وجهه فقالت له لم يبق للإسلام غيرك وأنا أنفك لك عن  
القتل ومن ثم قيل في حقها من أراد الشهادة فعليه بعاتكة  
وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك أي وبيننا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف  
إذ غشى سدره في سواد الليل وهو في وسن النوم فانفرجت السدره له نصفين فمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيهما وبقيت منفرجة على حالها أي وعند

انحداره صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع الكتاب الذي كتبه له  
صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى  
الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فأدنوه منه وساق اليه الصدقة

وسأله عن الضالة من الإبل ترد حوضه الذي ملأه لإبله هل له في ذلك من أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء أجر وعند وصوله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة أحصى السبي فكان ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألفا وأربعة آلاف أوقية فضة فأعطى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة أي من أسلم من أهل مكة فكان أولهم أبا سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل وقال ابني يزيد ويقال ويقال له يزيد الخير فأعطاه كذلك وقال ابني معاوية فأعطاه كذلك فأخذ أبو سفيان رضي الله تعالى عنه ثلاثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لأنت كريم في الحرب وفي السلم أي وفي لفظ لقد حاربتك فنعمة المحارب كنت وقد سالمت فنعمة المسالم أنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وأعطى حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها أي وفي الامتاع وسأله حكيم بن حزام مائة من الإبل فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه وقال له يا حكيم هذا المال خضر حلو من أخذه بسخاوة نفس بورك ما فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها أي وقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبيا لا أرزا أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال عمر يا معشر المسلمين إنني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه وأعطى صلى الله عليه وسلم الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثله وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل فقال في ذلك شعرا أي يعاتبه صلى الله عليه وسلم به حيث فضل الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن عليه وهو

\* أتجعل نهبي ونهب العبي

\* د يعني فرسه بين عيينة والأقرع

\* وما كان حصن ولا حابس

\* يفوقان مرداس في مجمع

\* وما كنت دون امرئ منهم

\* ومن تضع اليوم لا يرفع

\*

فأعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة أي وفي رواية أنه قال اقطعوا عني لسانه

وفي الكشف أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى واعطه مائة من الإبل هذا كلامه وحينئذ يتوقف في قولهم فظن ناس أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فأتى به إلى الغنائم وقيل له خذ منها ما شئت فقال إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع لساني بالعطاء فكره أن يأخذ منها شيئا فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة وفي رواية فأتهم له رسول صلى الله عليه وسلم مائة وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو صحيح أيضا لأن بدرا جد حصن أبو أبيه فانتسب تارة إلى أبيه حصن وتارة إلى جد أبيه بدر فإن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ويروى بدل مرداس شيخي بالإفراد يعني والده ويروي بالثنوية يعني والده وجده

وفي كلام بعضهم كانت المؤلفات ثلاثة أصناف صنف يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن أمية وصنف ليثبت إسلامهم كأبي سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والأقرع بن حابس لكن في رواية قيل يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة فقال أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ولكني تألفتها ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه وتقدم أن جعيل هذا كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذي تصور الشيطان بصورته يوم أحد وقال إن محمدا قد مات وجاء إنني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكب في النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم إن من الناس ناسا نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حبان وأعطى صفوان بن أمية ما تقدم ذكره وهو جميع ما في الشعب من غنم وإبل وبقر وكان مملوءا وكان ذلك سببا لإسلامه كما تقدم

أقول في كلام ابن الجوزي رحمه الله اعلم أن من المؤلفات قلوبهم أقواما تؤولفوا في بدء الإسلام ثم تمكن الإسلام في قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفات وإنما ذكرهم العلماء في المؤلفات اعتبارا ببداية أحوالهم وفيهم من لم يعلم منه حسن الإسلام والظاهر بقاؤه على حالة التأليف

ولا يمكن أن يفرق بين من حسن إسلامه وبين من لم يحسن إسلامه لجواز أن يكون

من ظننا به شر أنه على خلاف ذلك إذا الإنسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل إلينا أمره فالواجب أن نظن بكل من نقل عنه الإسلام خيرا وقد جاء عن انس رضي الله عنه قال كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يعطاه من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزي والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح ببسبر وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والله أعلم ولا زال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل ما بين مائة وخمسين من الإبل أي وذلك من الخمس كما سيأتي ثم أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم أي ما بقي منها وهي الأربعة الأخماس الباقية بعد إعطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمتها عليهم أي بعد أن اجتمعوا إليه وصاروا يقولون يا رسول الله أقسم علينا حتى ألجئوه صلى الله عليه وسلم إلى شجرة فاحتطفت رداءه فقال ردوا ردائي أيها الناس فوالله إن كان لي فيه شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كدوداً ثم قام صلى الله عليه وسلم إلى جنب بغيره فأخذ وبره من سنامه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة فجاء شخص من الأنصار بكبة من خيوط شعر وقال يا رسول الله أخذت هذه الكعبة أعمل بها بردعة بغير لي دبر فقال أما نصيبي منها فلك قال أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها وألقاها

ويروى أن عقيلاً كان دفع لامرأته إبرة أخذها من الغنيمة أي فإنها قالت له إني قد علمت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيئاً فليرده حتى الخيط والمخيط فرجع وأخذها منها وألقاها في الغنائم وفي كلام السهيلي أن ابا جهم بن حذيفة العدوي كان على الأنفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء وأخذ من الأنفال زمام شعر فمانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشججه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال أقدني منه فقال خذ مائة ودعه فقال أقدني منه فقال

خذ خمسين ومائة ودعه ليس لك إلا ذلك ولا أقيدك من وال عليك فقومت المائة والخمسون بخمس عشرة فريضة من الإبل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة ولما قسم ما بقي خص كل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة فإن كان فارساً أخذ ثنتي عشرة بعيراً وعشرين ومائة شاة وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم إلا لفرس واحد ومن ثم لم يعط الزبير رضي الله عنه إلا فرس واحد وكان معه أفراس وبه أخذ إمامنا الشافعي رضي الله عنه فقال لا يعطي إلا لفرس واحد وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه الشريف أي حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شيء أحمر يدبغ به الجلد وفي رواية فغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً واحمر وجهه وقال من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى عليه السلام لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر انتهى

ولعل من ذلك أن قارون ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حملة البغي والشر على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلاً على أن ترمي موسى بنفسها واحضر بني إسرائيل واعلمهم بذلك ودعا موسى عليه السلام وقال له إن قومك اجتمعوا فأخرج إليهم لتأمرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام إليهم وقال لهم يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افتري جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه حتى يموت ومن زنى وهو لم ينكح جلدناه مائة جلدة فقال له قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل زعموا أنك فحرت بفلانة فقال ادعها فإن قالت فهو كما قالت فأنت فقال موسى يا فلانة أنشدك بالذي أنزل التوراة أصدق قارون فقالت أما إذا أنشدتني فقد أشهد أنك بريء وأنت رسول الله وإن قارون جعل لي جعلاً على أن أرميك بنفسي وجاءت بخريطين فيهما دراهم عليهما ختمه وقالت للملأ إن قارون أعطاني هاتين وهذا ختمه وأعوذ بالله أن أفترى على الله فنظر القوم إلى ختمه فعلموا صدقها فخر موسى ساجداً فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فإنني أمرت الأرض أن تطيعك فخسف به فهو يتجلجل في الأرض يخسف به في كل يوم مقدار قامة إلى يوم القيامة ولعل من ذلك أيضاً أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فأوحى الله لموسى عليه

السلام أن اختر سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل أنت وهارون واستخلف يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه سالوه أن يريهم الله جهرة ومن ذلك نسبته إلى أنه قتل أخاه هارون عليهما السلام كما تقدم أي وقيل إن قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمي وهو غير ذي الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد فقد جاء أن ذا الخويصرة التميمي وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قد رايت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت قال لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر رضي الله عنه ألا نقتله قيل وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه ألا أضرب عنقه قال الإمام النووي رحمه الله ولا تعارض لان كل واحد منها استأذن فيه أي ففي مسلم فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا ثم أدير فقام إليه خالد رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي قال خالد رضي الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي كرم الله وجهه وهو ياليمن بذهبه في تربتها أي لم تخلص من ترابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الأقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة ابن علاثة وزيد الخير فغضب قريش فقالوا يعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني وفي رواية ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وإن الرجل الذي قال له ما ذكر يحتمل أن يكون واحدا منهما أو من شيعة ذلك الرجل الذي قال له في أحدهما وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوراج وانه صلى الله عليه وسلم قال دعوه

فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس إنني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه أي جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم وفي لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه إلا تلاوة الفم وإنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وشمود أي قتلا متأصلا لعامتهم وفي رواية إذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وبهذا استدل من يقول بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم علي كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أنهم كفار فقال من الكفر فروا فليل أمنافقون فقال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فليل ما هم فقال اصابتهم فتنة فعموا وطموا فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل وحينئذ يكون المراد بالدين وفي وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبيعه رواية بدل الإيمان الإسلام وكان مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذا الخويصرة خرج منه حرقوص المعروف بذي الشدية وهو أول من بوىع من الخوارج بالأمانة

والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وتخليده في النار ويحكمون بأن دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار الكفر ولا يصلون جماعة وسبب مقاتلة سيدنا علي كرم الله وجهه لهم أنهم نقموا عليه التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية في صفين وقالوا لا حكم الا الله وأنت كفرت حيث حكمت الحكيم فإن شهدت على نفسك أنك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكيم واستأنفت التوبة والإيمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع إليك وإن تكن الأخرى فإننا ننابدك على سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين فلما أيس من رجوعهم اليه قاتلهم وحرقوص هذا أول ما رق من الدين وكان رجلا اسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم إن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على راس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض

ولما قاتلهم علي كرم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتى به فإذا هو له  
ثدي كثدي المرأة وفي رواية التمسوه في القتلى فلم يجدوه فقام علي كرم الله وجهه  
بنفسه فطاف في القتلى فأخرجوه من بينهم فكبر علي كرم الله وجهه ثم قال صدق  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول إن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع  
على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فقام إليه عبيدة السلماني فقال يا  
أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له  
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما  
أعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجدوا  
في أنفسهم أي غضبوا حتى كثرت منهم القالة أي وهي القول الرديء أي حتى قال  
بعضهم إن هذا لهو العجب يعطي قريشا وفي لفظ الأفعء والمهاجرين ويتركنا وسيوفنا  
تقطر من دمائهم أي إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وإن غنائمنا ترد  
عليهم وفي رواية إذا كانت شديدة ندعى إليها ويعطى الغنيمة غيرنا وفي رواية سيوفنا  
تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فإن كان من أمر الله صبرنا وإن كان من أمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال  
يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم أي غضبوا لما  
صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما ولم يكن  
في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله  
ما أنا إلا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة أي وهي قبة من آدم أي وفي  
كلام بعضهم أن الحظيرة الزربية التي تجعل للإبل والغنم من الشجر لتقيها من البرد  
والريح ولعل هذا باعتبار الأصل فلا مخالفة فلما اجتمعوا له أتى سعد إليه صلى الله عليه  
وسلم فقال اجتمع لك هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أي فقال لهم أفيكم أحد من غيركم قالوا لا إلا ابن أخت لنا فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إن ابن أخت القوم منهم وفي رواية قال من كان ههنا من غير الأنصار  
فليرجع إلى رحله وذكر بعضهم أن سبب إيراد ابن أخت القوم منهم أنه صلى الله عليه  
وسلم قال لعمر رضي الله عنه اجمع لي من هنا من قريش فجمعهم

له ثم قال تخرج إليهم أم يدخلون قال أخرج فخرج صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش هل فيكم من غيركم قالوا لا إلا ابن أختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش إن أولى الناس المتقون فانظروا لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي انتهى

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الأنصار ما مقال بلغتني عنكم وجدة وجدتموها على في أنفسكم والمقالة كما علمت الكلام الردى والجدة الغضب والمعروف أنه الموجودة ومن ثم قال بعضهم الجدة في المال والموجدة في الغضب ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف بين قلوبكم أي وفي لفظ وكنتم متفارقين فجمعكم الله وفي لفظ يا معشر الأنصار ألم يمن الله عليكم بالإيمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الأسماء أنصار الله وأنصار رسوله قالوا بلى الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا تجيوني يا معشر الأنصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المنة والفضل أي وفي لفظ قالوا يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور ووجدتنا على شفا جرف من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا فافعل ما شئت فأنت يا رسول الله في حل قال إذن والله لو شئتم لقتلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخدولا فنصرناك وطريدا فأوينناك وعائلا فأغينناك أي وخائفا فأمنناك أوي أي إن كان متعديا كما هنا فالأفصح المد وإن كان قاصرا فالأفصح القصر قال تعالى وأويناهما إلى ربوة وقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف قال فقال الأنصار المن لله ورسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ما حديث بلغني عنكم فسكتوا فقال ما حديث بلغني عنكم فقال فقهاء الأنصار أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثا أسنانهم قالوا يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم أي وفي رواية ما الذي بلغني عنكم قالوا هو الذي بلغك لأنهم لا يكذبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني لأعطي رجلا حديثه عهد بكفر أتألفهم أه أي وفي رواية إن قريشا حديثه عهد بجاهلية ومصيبة وإنني أردت أن اجبرهم وأتألفهم أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لغاعة بضم اللام وغينين معجمتين أي شيء قليل من الدنيا ألفت بها

قوما ليسلموا أي ليحسن إسلامهم ويسلم غيرهم تبعالهم ووكلتكم إلى إسلامكم الثابت الذي لا يزلزل ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الأنصار أي لانتسبت إلى المدينة ولو سلك الناش شعبا أي بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بن جبلين وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وفي لفظ فبكي القوم حتى أحضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا أي وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي ليس من المن المذموم في قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار ألا تجيبوني الخ فليتأمل أي وقد جاء في مدح الأنصار اللهم اغفر للأنصار وأبناء ولأزواج الأنصار ولذراري الأنصار الأنصار كرشى وعييتي وإن الناس يكثرون ويقولون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم وفي لفظ آخر اللهم صل على الأنصار وعلى ذرية الأنصار وعلى ذرية ذرية الأنصار وقال للأنصار أنتم شعار والناس دثار أي والشعار الثوب الذي يلي الجسد والذثار الثوب الذي يكون فوق ذلك الثوي فهم ألصق به وأقرب إليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم وقال الأنصار حبههم إيمان وبغضهم نفاق اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء الأنصار ولنساء الأنصار ولنساء أبناء الأنصار ولذراري الأنصار ولذراري ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال تؤذوا الأنصار فمن أذاهم فقد آذاني ومن نصرهم فقد نصرني ومن أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن بغى عليهم فقد بغى على ومن قضى لهم حاجة كنت في حاجته يوم القيامة أسرع إن الله اختار دارهم لإعزاز دينه واختارهم لنبيه أنصارا وقال صلى الله عليه وسلم حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق وقال في الأنصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم أنتم أحب الناس إلي قالها ثلاثا وقال حسان رضي الله عنه في مدح الأنصار

\* سماهم الله أنصارا بنصرهم

\* دين الهدى وعوان الحرب تستعر

\* وسارعوا في سبيل الله واعترفوا

\* للنائبات وما خافوا وما ضجروا

\* انتهى

أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك فعن عمرو بن ثعلبة أنه صلى الله عليه وسلم سبى فاعطى قوما ومنع قوما وقال إنا لنعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن ثعلبة فكان عمرو رضي الله عنه يقول ما يسرني أن لي بها حمر النعم ولما أسرت أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة السماء بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم بمدة ويقال السماء بغير ياء واختلف في اسمها صارت تقول والله إنني أخت صاحبكم ولا يصدقوها فأخذها طائفة من الأنصار حتى أتواها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد إنني أختك قال وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعي إلى الجعرانة تكونين مع قومك فإني أمضي إلى الطائف فرجعت إلى الجعرانة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يا رسول الله إنني أختك أي وأنشدته أبياتا قال وما علامة ذلك بكسر الكاف لأنه خطاب لمؤنث قالت عضة عضضتنيها في ظهري وفي رواية ي وجهي وفي رواية في إبهامي وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ٢ وفي رواية قال لها إن تكوني صادقة فإن بك مني أثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فليتأمل وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه أي ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما أي وقال لها سلى تعطى واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي لرجونا أن يحايينا فاتته فقالت أتعرفني قال ما أنكرك فمن أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك أني حملتك ذات يوم فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها ثم استوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبه لها فما عرفت مكة مثلها ولا امرأة هي أيمن على على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم وقال إن أحببت فعندي محبة مكرمة وإن أحببت أمتعتك وترجعي إلى قومك قالت بلى تمتعني وتردني إلى قومي فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل إن القادمة عليه صلى الله عليه وسلم أمه من الرضاع التي هي حليلة وتقدم الكلام عن ذلك

قال بعضهم وهذا العطاء الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش إنما كان من خمس الخمس الذي هو سهمه صلى الله عليه وسلم لا من أربعة أخماس الغنيمة وإلا لاستأذن الغانمين في ذلك لأنهم ملكوها بحوزهم لها

ثم قدم صلى الله عليه وسلم وفد هوازن وهم أربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير ابن سرد وفي لفظ يكنى بأبي سرد وأبو برقان بالموحدة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أي فقالوا يا رسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك وفي رواية قالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتهم الأمهات والأخوات

والعمات والخالات وهن مخازى الأقوام ونرغب إلى الله وإليك يا رسول الله وقال زهير يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك أي لأن مرضعته صلى الله عليه وسلم حليلة كانت من هوازن أي وقال له أيضا ولو ملحننا أي أرضعنا للحارث بن أبي شمر أي ملك الشام أو للنعمان بن المنذر أي ملك العراق ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده أبياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها منها

\* أمنن علينا رسول الله في كرم  
\* فإنك المرء نرجوه ونتظر  
\* أمنن على نسوة قد كنت ترضعها  
\* إذ فوك مملوءة من مخضها الدرر  
\*

أي الدفعات الكثيرة من اللبن إنا لنشكر للنعماء إن كفرت أي جحدت وفي لفظ  
\* إنا لنشكر آلاء وإن كفرت  
\* وعندنا بعد هذا يوم مدخر  
\* إنا نؤمل عفوا منك نلبسه  
\* هدى البرية أن تعفوا وتنتصر  
\* فألبس العفو من قد كنت ترضعه  
\* من أمهاتك إن العفو مشتهر  
\*

فقال صلى الله عليه وسلم إن أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم أي وفي لفظ البخاري أحب الحديث إلى أصدقه فاختراروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وفي رواية وقد كنت أستأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون أي لأنه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم قد وقعت المقاسم فأمرين أحب إليكم أطلب لكم السبي أم الأموال وإنما قال صلى الله عليه وسلم قد وقعت المقاسم أي لأنه لا يجوز للإمام أن يمن على الأسرى بعد القسم وإنما يمن عليهم



(۹۴)

قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم في يهود خيبر ولا يخفى ان هذا في الرجال دون الذراري فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً أردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم أي وقال لهم فإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا أي بعد أن قال لهم صلى الله عليه وسلم أظهروا إسلامكم وقولوا نحن إخوانكم في الدين فاسأل كالم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد أن اثني على الله بما هو أهله ثم قال اما بعد فإن اخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين وإنني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فيلعل ومن أحب منك أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفى الله علينا فيلعل كذا في البخاري وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قاله وأما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي اسبيه

وفي رواية فمن أحب منكم أن يعطي غيره مكره فيلعل ومن كره ان يعطى ويأخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو كالم فقال المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأقرع بن حابس أما أنا بنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا

وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد عليهم ذلك قرضا علينا بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفى الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساؤهم وأبنائهم ولما فرق صلى الله عليه وسلم النساء نادى مناديه ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداءهن فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وكانت اليهود تزعم أن العزل الموءودة الصغرى فقال رسول الله كذبت اليهود ولو أراد الله ان يخلقه لا يستطع أحد أن يصرفه وجاء لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا وقد جاء في الحديث ما قالت اليهود ففي مسلم وابن ماجة العزل الواد الخفي أي لأن التحرز عن الولد بالعزل كدفته حيا فليتأمل وقد مر الكلام على ذلك مبسوطا

والفريضة البعير الذي يؤخذ في الزكاة لأنه فرض وواجب على رب المال والى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن أشار أصحاب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

\* من فضلا على هوازن إذ

\* كان له قبل ذاك فيهم رباء

\* وأتى السبي فيه أخت الرضاع

\* وضع الكفر قدرها والسبأ

\* فحباها برا توهمت النا

\* س به أنما السبأ هداء

\* بسط المصطفى لها من رداء

\* أي فضل حواه ذاك الرداء

\* فغدت فيه وهي سيده النس

\* وة والسيدات فيه إماء

\*

أي اعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة أمه من الرضاعة التي هي حليلة السعدية وكانوا ستة آلاف أدمي وإنما اعتقهم لأجل انه كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد أي تربيته فيهم ولأجل أن أخته من الرضاعة أتت في ذلك السبي وتلك الأخت صغر كفرها وسبأؤها قدرها الرفيع بأخوته صلى الله عليه وسلم فأعطاها برا وفعل معها معروفا حتى وقع في وهم الحاضرين بسبب ذلك أن سبأها هداء لها بكسر الهاء كالعروس التي تهدي لزوجها ومن بره صلى الله عليه وسلم لها أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه أي شرف لذلك الرداء شرف عظيم لا غاية له بسبب مماسته لجسده الشريف فصارت في ذلك السبي سيده من فيه من النساء وصار السيدات التي فيه بالنسبة إليها إماء وبمثل الجمع بين كون أخته المذكورة هي الشافعة في السبي وقبلت شفاعتها وبين كون السائل فيهم هوازن والأصل اقتصر على سؤال الوفد ورد جميع السبي ولم يتخلف عنه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن أبي ان يردها وقال حين



(96)

أخذها أرى عجوزا إني لأحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها ثم ردها بعد ذلك بعشر من الإبل وقيل بست أخذ ذلك من ولدها بعد أن ساومه فيها مائة من الإبل وقال له ولدها والله ماثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد أي بحزين لفراقها ولا درها بناكد بالنون أي غزير وهو من الأضداد وقيل قائل ذلك له زهير

وقد يقال لا مخالفة لجواز أن زهيرا هو ولدها فقال عيينة خذاها لا بارك الله لك فيها قال وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم دعا على من أبي أن يرد من السبي شيئا أن يبخس أي يكسد فإن ولدها دفع له فيها مائة من الإبل فأبي ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذاها بالمائة فقال لا أدفع الا خمسين فأبي فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذاها بخمسين فقال لا ادفع الاخمسة وعشرين فأبي فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذاها بالخمس والعشرين فقال لا آخذها إلا بعشرة وفي رواية الا بسته فقال له ما تقدم ولما أخذها ولدها قال لعيينة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندي فما فارقها حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف وهو ثوب ابيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم أهل مصر وضم القاف من التغيير في النسب

أي وفي كلام بعضهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياب المتعة فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النضري بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبي أمية وكلمة الوفد في ذلك فقالوا يا رسول الله أولئك سادتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجري السهمان في مال مالك بن عوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وفد هوازن ما فعل مالك بن عوف قالوا يا رسول الله إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فلما بلغ مالكا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه وان ماله وأهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا أن تحبسه ثقيف إذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى أتى الدهناء محلا معروفا ركب راحلته ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه

بالجعرانة وأسلم ورد عليه أهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم عى من اسلم من هوازن فكان لا يقدر على سرح ثقيف إلا أخذه ولا رحل الا ميله وكان رضي الله عنه يرسل بالخميس مما يغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أه  
أي وجاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحل الذي هو الجعرانة وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين لأن المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الأعرابي جبه وهو متضمخ بخلوق أي مصفر لحيته ورأسه وقد أحرم بعمره فقال أفتني يا رسول الله وفي رواية قال له كيف ترى في رجل في رجل أحرم في جبة ما تضمخ بطيب فسكت ساعة ثم نزل عليه الوحي فلما سرى عنه قال أين السائل عن العمرة أخلع عنك الجبة واغسل عنك أثر الخلق وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم ما كنت تصنع في حجك قال كنت أنزع هذه الجبة وأغسل هذه الخلق فقال صلى الله عليه وسلم اصنع في عمرتك ما كنت صانعا في حجك واستند لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الإحرام بما يبقى عند الإحرام والراجح عند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه استحباب ذلك

وجاءه رجل فوقف على رأسه الشريف فقال يا رسول الله إن لي عندك موعدا فقال له صدقت فاحتكم فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التي دلته على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت احزم حكما منك حين حكمها أن تردني شابة وأدل معك الجنة كذا ذكره الغزالي رحمه الله قال السخاوي وهذا أخرجه ابن حبان والحاكم وصحح إسناده وفيه نظر كما قال العراقي وهذا أصل في عدم إخلاف الوعد بالخير ونقل الإمام النووي رحمه الله ان جماعة ذهبوا إلى وجوب الوفاء بذلك ووجهه السبكي رحمه الله بأن إخلاف الوعد كذب والكذب حرام وترك الحرام واجب وذكر الغزالي رحمه الله أن إخلاف الوعد لا يكون كذبا الا إذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء  
أي ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا قال لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة

وأحرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ودخل مكة ليلا واستمر يلبي حتى استلم الحجر ثم رجع من ليلته وأصبح بها كبائت وفي لفظ أصبح بمكة كبائت وفيه نظر ولم يسق هديا في هذه العمرة وحلق رأسه وكان الحالق رأسه الشرف ابا هند الحجام وقيل أبو خراش بن أمية الذي حلق رأسه صلى الله عليه وسلم في الحديبية وأتى بأعمال العمرة بعد أن أقام بالجعرانة ثلاثة عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا غزوة تبوك

بعدم الصرف للعلمية والتأنيث ووقع في البخاري صرفها نظرا للموضع أي ويقال لها غزوة العسيرة ويقال لها الفاضحة لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين ففي شهر رجب سنة تسع أي بلا خلاف ووقع في البخاري أنها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو غلط من النساخ بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء المحل المعروف أي وذكر بعضهم ان سبب ذلك ان متنصرة العرب كتبت إلى هرقل إن هذا الرجل الذي قدخرج يدعى النبوة هلك وأصابته أصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهاز معه أربعين ألفا أي ولم يكن لذلك حقيقة أي وإنما ذلك شيء قيل لمن يبلغ ذلك للمسلمين ليرجف به وكان ذلك في عسرة في الناس وجذب في البلاد أي وشدة من نحو الحر وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم أي وكونه عند طيب الثمار يؤيد قول عروة بن الزبير إن خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان في زمن الخريف ولا ينافي ذلك وجود الحر في ذلك الزمن لأن أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وورى غيرها إلا ما كان من غزوة تبوك لبعث المشقة وشدة الزمن أي وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم وأمر الناس بالجهاز أي وبعث إلى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله

أي أكد عليهم في طلب ذلك وهي آخر عزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها قال فإنه جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية

أي وفي كلام بعضهم أنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم أرض عن عثمان فإني عنه راض

أي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ان لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرني

وجاء رضي الله تعالى عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيديه ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا أه

وفي رواية جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيديه ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها أي ولعل هذه العشرة الآلاف هي التي جهز بها العشرة آلاف إنسان وإنما أي العشرة غير الألف التي صبها في حجره صلى الله عليه وسلم

وأنفق غير عثمان أيضا من أهل الغنى قال وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيئا قال النصف الثاني وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بمائة أوقية أي ومن قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما كانا خزنتين من خزائن الله في الأرض ينفقان في طاعة الله تعالى وجاء العباس رضي الله تعالى عنه بمال كثير وكذا طلحة رضي الله تعالى عنه وبعث النساء رضي الله تعالى عنهن بكل

ما يقدرن عليه من خليهن وتصدق عاصم بن عدي رضي الله تعالى عنه بسبعين وسقا من تمر أه معناه صلى الله عليه وسلم جمع أي سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يتحملونه أي يسألونه أن يحملهم فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم به وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون أي ما يحملهم ومن ثم قيل لهم البكاءون ومنهم العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه ولم يذكره القاضي البيضاوي في السبعة وحمل العباس رضي الله تعالى عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضي الله تعالى عنه بعد الجيش الذي جهز ثلاثة أي وحمل يا ميز بن عمرو النضري اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل واحد منهما صاعين من تمر وعدهم مغلطاى ثمانية عشر

وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري قال أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم عى شي وفي رواية والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فرجعت حزينا إلى أصحابي من منع النبي ومن مخافة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه حيث حلف على أن لا يحملهم قال فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم ألبث الا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي اين عبد الله ابن قيس فأجبتة قال أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما أتيتة قال خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها إلى أصحابك زاد بعضهم فعند ذلك قال بعضهم لبعض إغلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حملناه على يمين الغلق وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا بارك لنا في ذلك فاتوه فذكروه فقال عليه الصلاة السلام أنا ما حملتكم الله حملكم ثم قال إني لا أحلف يمينا فارى غيرها خيرا منا إلا كفرت عن يمني وأتيت الذي هو خير أي فهو صلى الله عليه وسلم إنما حلف أن لا يتكلف لهؤلاء حملا بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم حملا فلا حنث وفيه أن هذا لا يناسب قوله إني لا أحلف إلى آخره

وأجيب بأن هذه استثبات قاعدة لا تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم حنث في يمينه بل خرج الكلام على تقدير كأنه قال لو حنثت في يمني حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك شرعا واسعا بل ندبا راجحا ويؤيده أنه لم ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن هذه اليمين وحينئذ يحتاج إلى الجمع بين هذا وما قبله

وقد يقال إن حمل العباس رضي الله تعالى عنه اثنين منهم إلى آخره كان قبل وجود هذه الأبعرة الستة أو يدعي أن هؤلاء غير من تقدم فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا أي وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل بزيادة ألفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله تعالى عنه على ما هو المشهور وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وهو أثبت عندنا وقيل سباع بن عرفطة أي وقيل ابن أم مكتوم وقيل علي بن أبي طالب قال ابن عبد البر وهو الأثبت هذا كلامه وفي كلام ابن إسحاق وخلف عليا كرم الله وجهه على أهله وأمره بالإقامة فيهم وتخلف عنه عبد الله بن أبي ابن سلول ومن كان من المنافقين بعد أن خرج بهم وعسكر عبد الله بن أبي علي ثنية الوداع أي أسفل منها لأن معسكره صلى الله عليه وسلم كان على ثنية الوداع وكان عسكر بعد الله بن أبي أسفل منه قال ابن إسحاق رحمه الله وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين أي والتعبير عن ذلك بالزعم واضح لأنه يبعد أن يكون عسكر عبد الله مساويا لعسكره صلى الله عليه وسلم فضلا عن كونه أكثر منه فليتأمل وقال عند تخلفه يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد أي مالا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب والله لكأنني انظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال يقول ذلك إرحاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه أي وقيل للروم بنو الأصفر لأنهم ولد روم بن العيص بن إسحاق نبي الله عليه السلام وكان يسمى الأصفر لصفرة به

فقد ذكر العلماء باخبار القدماء ان العيص تزوج بنت عمه إسماعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقبل له الأصفر وقيل الصفرة كانت بأبيه العيص ولما ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم العظمى للزبير رضي الله عنه ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير رضي الله عنه وراية الخزرج إلى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية أي لبعضهم راية وبعضهم لواء وكان قد اجتمع جمع من المنافقين أي في بيت سويلم اليهودي فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الأصفر

أي وهم الروك كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانهم يعني الصحابة غدا مقرنون في الجبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضرب بالسيوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لعمار بن ياسر رضي الله عنه أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بل قلت كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا إنما كان نحوض ونلعب فانزل الله تعالى \* (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نحوض ونلعب) \* وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر قال يا رسول الله أو تأذن لي أي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله تعالى \* (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) \* الآية وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الأصفر نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فأنزل الله تعالى الآية \* (ألا في الفتنة سقطوا) \* أي التي هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تحقب أي تردف خلفك من بنات بني الأصفر فقال ما تقدم وعند ذلك لأمه ولده عبد الله رضي الله عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لأنت أشد علي من محمد وفي رواية أن الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن أعينك بمالي فانزل الله تعالى \* (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) \* وتقدم أنه لم يبايع بيعة الرضوان وتقدم أنه تاب من النفاق وحسنت توبته وأنه صلى الله عليه وسلم قال لبني ساعدة من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال واي داء أدوأ من البخل قالوا يا رسول الله من سيدنا فقال بشر بن البراء بن معرور وفي رواية سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح وذكر ابن عبد البر ان النفس أميل إلى الأول ومات الجد بن قيس في خلافة عثمان رضي الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فأنزل الله تعالى \* (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) \* أي يعلمون \* (وجاء المعذرون) \* أي وهم الضعفاء والمقلون من

الاعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذي كذبوا الله ورسوله

قال السهيلي وأهل التفسير يقولون إن آخر براءة نزل قبل أولها وإن أول ما نزل منها \* (انفروا خفافا وثقالا) \* قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب شغل وغير ذي شغل وقيل ركبانا ورجالة ثم نزل أولها في نبد كل ذي عهد إلى صاحبه كما تقدم

وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا ينهم في إسلامه

ولما خلف صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه ارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك أخذ علي كرم الله وجهه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون أنك ما خلفتني إلا استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاحلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا بنى بعدي أي فإن موسى عليه السلام حين توجه إلى ميقات ربه استخلف هارون عليه السلام في قومه فرجع علي إلى المدينة

وعن علي كرم الله وجهه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وخلف جعفرًا في أهله فقال جعفر والله لا أتخلف عنك فخلفني فقلت يا رسول الله أتخلفني إلى شيء تقول قريش أليس يقولون ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه وأخرى ابتغى الفضل من الله لأنني سمعت الله يقول ولا يطئون موطنًا يغيظ الكفار الآية فقال اما قولك ان تقول قريش ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا إني سامر وإني كاهن وغي كذاب وأما قولك تبتغي الفضل من الله فلك أبي أسوة أي حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام أي ولم يتخلف عنه علي كرم الله وجهه في مشهد من المشاهد الا في هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذه من النص التفصيلي على خلافة علي كرم الله وجهه

قالوا لأنه جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي كرم الله وجهه من النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لما صح الاستثناء أي استثناء النبوة بقوله إلا أنه لا نبي بعدي ومما ثبت لهارون من موسى عليه السلام استحقاقه للخلافة عنه لو عاش بعده أي دون النبوة

ورد بأن هذ الحديث غير صحيح كما قاله الأمدي وعلى تسليم صحته بل صحته هي الثابتة لأنه في الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وكل من الراضة والشيعة لا يراه حجة في الإمامة وعلى تسليم أنه حجة فلا عموم له بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث أن عليا كرم الله وجهه خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أهله خاصة مدة غيبته بتبوك كما أن هارون كان خليفة عن موسى في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة فعلى تسليم أنه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم في مرار أخرى غير علي فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة وصار بعد مسيره صلى يتخلى عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى الله عليه وسلم أبو خيثمة ولما أن سار صلى الله عليه وسلم أياما دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشيتين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردتا فيها ماء وهياتا طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر إلى امرأته وماصنعتا فقال رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيا وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيتا لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحة فارتحل واخذ سيفه ورمحه كما في الكشاف أي ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب في طريق يطلب رسول الله فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال خيثمة لعمير إن لي ذنبا فلا عليك ان تتخلف عن حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا ركب مقبل فقال رسول الله كن أبا خيثمة فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ اقبل يسلم على الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم اخبر رسول صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله خيرا ودعا له بخير أي وأولى كلمة تهديد وتوعد ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجي ثوبه على رأسه واسحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم أي لأن البكاء يتبعه التفكير والاعتبار فكأنه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع نقمته إلى مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس ان يشربوا من مائها شيئا وان لا يتوضئوا به للصلاة وأن لا يعجن به عجين وان لا يحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وان العجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الإبل وان الطبيخ الذي طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا ثم ارتحل بالناس أي لا زال سائرا حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة أي وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس في تلك الليلة على أن يخرج واحد منهم وحده بل معه صاحبه شخص وحده لحاجته فحنق وخرج اخر كذلك في طلب بعير له ند فاحتمله الريح حتى ألقته بجبل طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهيكم ان يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ثم دعا للذي حنق فشفي والذي ألقته الريح بجبل طيء فأرسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد ابن بشر فكان يطوف في أصحابه بن علي العسكر ثم أصبح الناس ولا ماء معهم أي وحصل لهم من العطش ما كاد يقع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر إبلهم ليشقوا اكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى إن الرجل لينحر بعير فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم أي قال له أبو بكر يا رسول الله قد

عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم فدعا أي ورفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون إليه قال وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من الأنصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال إنما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى \* (وتجعلون رزقكم) \* أي بدل شكر رزقكم \* (أنكم تكذبون) \* أي حيث تنسوبه للأنواء وقيل إنه قال له ويحك هل بعد هذه شيء قال سحابة مارة انتهى وفي لفظ أنهم لما شكوا إليه صلى الله عليه وسلم شدة العطش قال لعلي لو استسقيت لكم فسقيتم قاتم هذه بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضا ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغرف بقدحه ويقول هذه نوء فلان فنزلت الآية

وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة إن محمدا يزعم أنه بني وأنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم إن رجلا يقول كذا وكذا وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها أنها في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاءوا بها أي وتقدم له صلى الله عليه وسلم نظير هذا في غزوة بني المصطلق التي هي المريسيع ولا بعد في تعدد الواقعة ويحتمل أن يكون من خلط بعض الرواة

ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء إلى رحله فقال لمن به والله لعجب في شيء حدثناه رسول صلى الله عليه وسلم عن مقاله قائل اخبره الله عنه وذكر المقالة فقال له بعض من في رحله هذه المقالة قالها فلان يعني شخصا في رحله أيضا قالها قبل ان تأتي بيسير فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما اشعر أي عدو الله اخرج من رحلي ولا تصحبني فيقال إنه تاب ويقال إنه لم يزل منها بشر حتى هلك وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الإعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل أي وقبل مجيئه قالوا له يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره

فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه

ولما اشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشي فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم إنه يموت وحده فقد مات رضي الله عنه وحده بالربذة لما أخرجه عثمان رضي الله عنه إليها

اي فإنه بعد موت أبي بكر رضي الله عنه خرج من المدينة إلى الشام فلما ولي عثمان رضي الله عنه شكاه معاوية رضي الله عنه إليه فإنه كان يغلظ على معاوية في بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضي الله عنه من الشام ثم أسكنه بالربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند موته ان غسلاني وكفنانني ثم اجعلاني على قارعة الطريق فأول من يمر بكم قولاً له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات رضي الله عنه فعلا به ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها فقام إليهم الغلام وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فوارواه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره

أي وفي الحقائق عن أم ذر قالت لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا بد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكي وابشري فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وإني أنا الذي أموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت وفي رواية ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق فقالت قد ذهب الحاج وتقعطت السبل فقال انظري فقالت كنت اشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ثم ارجع إليه فأمرضه فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على

روأحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فاسرعوا إلى ووضعوا السياط في نحورها يستقبلوا إلي فقالوا مالك يا أمة الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال أبشروا فإنكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث وقال والله لو كان لي أو لها ما يسعني كفنا ما كفنت الا فيه وإني أنشدكم الله والإسلام لا يكفني منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أو نقيبا ولم يكن منهم أحد سلم من ذلك إلا فتى من الأنصار فقال والله لم أصب مما ذكرت شيئا أن أكفئك في ردائي هذا وثوبين معي من غزل أمي فمات فكفنه الفتى الأنصاري ودفنه في النفر الذين معه

أقول يحتاج إلى الجمع بين هذا وما تقدم وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد ان كفن بكفن الأنصاري ولا ينافي ذلك ما تقدم من قول الراوي فلما مات فعلا أي زوجته وغلماه ذلك أي غسله وتكفينه ولا ينافي ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه أعينونا على دفنه ولا ينافي ذلك قول الراوي هنا ودفنه أي للفتى الأنصاري في النفر الذين معه لأن ذلك يقال إذا اشتركوا مع غيرهم في ذلك

وأبو ذر رضي الله عنه اسمه جندب وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع بالحق وقد قال في حقه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر وكان رضي الله عنه من الأقدمين في الإسلام قال ابن عبد البر كان خامس رجل أسلم فليتأمل وقال صلى الله عليه وسلم أبو ذر في أمتي شبيهه عيسى ابن مريم في زهده وبعضهم يرويه من ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر وغلى وجود ما أخبر عن أبي ذر من أنه يموت وحده أشار الإمام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله  
\* وعاش أبو ذر كما قلت وحده  
\* ومات وحيدا في بلاده بعيدة  
\*

قال وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لما كنا فيما بني الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فأنتهى صلى الله عليه

وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته أه أي ولعل هذا لا ينافي ما تقدم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره ابا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر أي في فرض موته لأن المراد صلاة كاملة أو تكرر الصلاة هذا

وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكى القاضي عياض رحمه الله انه لا يجوز لأحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره

وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل

ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاعترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت

قال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك أي وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم إنكم لتأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى وأمر مناديا ينادى بذلك فجئناها فإذا العين مثل الشراك تبض من مائها وقد سبق إليها رجلان أي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك وفي رواية سبق إليها أربعة من المنافقين ثم إنهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها سهاما

دفعها صلى الله عليه وسلم لهم فجاشت بالماء والى ذلك أشار الإمام السبكي رحمه  
الله تعالى في تائيته بقوله  
\* فيوما بوقع النيل جئت بشر بهم  
\* ويوما بوقع الوبل جدت بسقية  
\*

وحينئذ أي وحين إذ ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط  
الاعتراض بأن وقع النبل لم يكن بتبوك وإنما كان بالحديبية على أن الذي بالحديبية إنما  
هو غرز سهم واحد لا سهام فليتأمل  
ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذا يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا  
ملئ جنانا أي بستانين وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم قال أنا رايت ذلك  
الموضع كله حوالي تلك العين جنانا حضرة نضرة  
وقبل قدومهم تبوك نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كادت  
الشمس قيد رمح أي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال أكلاً لنا الفجر فاسند  
بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه قال ألم أقل لك يا بلال أكلاً لنا الفجر وفي رواية أن  
بلالا رضي الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا فقال له رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك أي وفي  
لفظ أخذ بنفسه الذي اخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق إن الشيطان  
صار يهدئ بلالا للنوم كما يهدئ الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به النبي  
الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله فانتقل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وتقدم في خيبر أي في غزوة وادي  
القرى فإنها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان وسار صلى الله  
عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك  
وفي منصرفه من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله وهو  
قافل من تبوك وأنا معه إذ خفق خفقه هو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه  
فدعتمه فانتبه فقال من هذا فقلت أبو قتادة يا رسول الله خفت أن تسقط فدعمتك فقال  
حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها

فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في التعريس فقلت ما شئت يا رسول الله فقال انظر من خلفك فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيئوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوا فعرسنا

وفي رواية قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا إلى جنبه فنعمس فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأولتين حتى كاد يسقط فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله نبيه وهذا تقدم في منصرفه من خيبر ولا مانع من التعدد ويحتمل أن هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي احفظ علينا ميضأتك وفي رواية ازدهر بها يا أبا قتادة فسيكون لها نبأ الحديث وفي رواية مايقظنا الاحر الشمس فقلنا إنا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من الإداوة التي هي الميضأة فضل فقال يا أبا قتادة احتفظ بما في الإداوة واحتفظ بالركوة فإن لهما شأنًا فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس وفي لفظ إن عمر رضي الله عنه هو الذي أيقظ النبي صلى الله عليه وسلم بالتكبير أقول ظاهر هذه الرواية انهم صلوا بمحلهم ولم ينتقلوا وفي رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذي أصابتكم فيه الغفلة وفي لفظ ارتحلوا فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان

وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها فما أيقظنا إلا حر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأننا لا ندري ما يحدث له صلى الله عليه وسلم في نومه أي من الوحي فكانوا يخافون من إيقاظه قطع الوحي كما تقدم في غزوة بني المصطلق فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما أصاب الناس أي من فوات صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية إن الصديق رضي الله عنه استيقظ أولاً ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم أي من فوات صلاة الصبح قال لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وهذا كما نرى فيه التصريح بأن هاتين اليقظتين وقعتا في غزوة تبوك الأولى عند ذهابهم لها والثانية عند منصرفهم منها

وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابة وبعد أن صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس إلى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا رسول الله بتفريطنا في صلاتنا قال أما لكم في أسوة حسنة ثم قال ليس في النوم تفريط إنما التفريط علم من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى

وفي فتح الباري اختلف في تعيين هذا السفر ففي مسلم أنه كان في رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة وفي أبي داود أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلاً فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا الحديث وفي مصنف عبد الرزاق أن ذلك كان بطريق تبوك

وقد اختلف العلماء هل كان ذلك أي نومهم عن صلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الأصيلي رحمه الله بأن القصة واحدة وتعقبه القاضي عياض رحمه الله بأن قصة أبي قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين ومما يدل على تعدد القصة اختلاف مواطنها

وفي الطبراني قصة شبيهة بقصة عمران وأن الذي كلام لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما أيقظني الا حر الشمس فجئت أدنى القوم فايقظته وأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فليتأمل وتقدم على الإمتاع قال عطاء بن يسار إن ذلك كان بتبوك وهذا لا يصح وإلا فالآثار الصحاح على خلاف مقولة مسندة ثابتة والله أعلم

واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد قالت له أتنام قبل أن توتر قال تنام عيني ولا ينام قلبي

وأجيب عنه باجوبه حسنها أن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم لا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر

ومن الأجوبة أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي أن يكون هذا الثاني أغلب أحواله وإن كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثله في ذلك ويكون قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أي غالبا ويكون هذا حاله دائما وأبدا إذا كان متوضئا لقولهم إنه لا ينقض وضوؤه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفي جعله العين محلا للنوم نظر لأن العين إنما هي محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب

قال الحافظ السيوطي وكون القلب محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبي لأنه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي لفظ ارتحلوا فإن هذا واد به الشيطان بأنه يقتضى تسلط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الظاهر أن وجود الشيطان هو السبب في النوم عن الصلاة وأجيب بأنه على تسليم ذلك فإن تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره ففي بعض الروايات كما تقدم إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدا الصبي حتى نام

ثم لحق صلى الله عليه وسلم بالجيش وقبل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لأصحابه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم وأطاعوا أبا بكر وعمر ورشدوا وذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا

بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على غير ماء بفلاة من الأرض لأماء بها عند زوال الشمس وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقطع عطشا فدعا رسول صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب الميضاة قيل هو ذيار رسول الله قال جئني بميضاة فجاه بها وفيها شيء من ماء وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرج ما في الإداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس أي على ما تقدم ومن الإبل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا وواضح أن هذه العطشة غير المتقدمة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم انه لما حصل للقوم العطس ارسل صلى الله عليه وسلم نفرا ويقال عليا والزبير يستعرضون الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء ماء فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشترؤا منها بما عز وهان واثتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان إذا بالمرأة ومعها السقاء وفي رواية إذا نحن بامرأة سادلة رجلها بين مزادتين فسألوهما في الماء فقالت أنا وأهلي أحوج اليه منكم فسألوهما أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابئ وخير الأشياء أنى لا آتية فشدها وثاقا وأتوا بها إلى رسول الله فقال لهم خلوا عنها وفي رواية قلنا لها أي الماء قالت أهاه أهاه لا حالكم بينكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذنين لنا في الماء ولتصيين ماءك كما جئت به فقالت شأنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم إناء الا ملاءوه ورووا إبلهم وخيلهم وبقي في الميضاة ثلثاها والميضاة هي الإداوة لأنها يتوضأ منها وفي الدلائل للبيهقي فجعل في إناء من زادتها ثم قال فيه ما شاء الله ان يقول زاد في رواية ثم مضمض ثم رد الماء في المزادتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي ثم أمر الناس أن يملئوا آنتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمي والله ما رزأنا من مائك شيئا ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا

والعزالي جمع عزلاء والعزلاء هي التي تجعل في فم القربة لينزل فيها الماء من الراوية وهي المرادة بالمزادة وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثلاثة لأن الثانية وضع على صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضاة وهذه وضع يده في الميضاة بعد ان لم يجدوا في الميضاة شيئا

وفي رواية أن تلك المرأة أخبرته أنها مؤتمة أي لها صبيان أيتام فقال هاتوا ما عندكم فجمعنا من كسر وتمروصرتها صرة ثم قال لها اذهبي فأطعمي هذا عيالك

وفي رواية أيتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا قالت حبسني أنني رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا احصى ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند أهلها ثم أقبلت في ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأسلموا

وفي مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبنها فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله فيها بالبركة لعل الله أن فعلت فتى الظهر ولكن أدعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعلها في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتي بكف ذره ويحیی الآخر بكف من تمر ويحیی الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله بالبركة ثم قال لهم خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملئوه وأكلوا حتى شعبوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزة الحديدية أي ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وأسقاهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة إنفاقة على العسكر رضي الله عنهم

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن

فنظرت إلى النحي وقد قل ما فيه وهيأت النبي صلى الله عليه وسلم طعاما ووضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت بخير النحي فقممت فأخذت رأسه بيدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى لو تركته لسال الوادي سمنا وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رايت في يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده الشريفة على التمرات وقال كلوا بسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعاً وخمسين ثمرة أعدها عدا ونواها في يدي الأخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعتنا ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فإنه لا يأكل منها أحد الا نهل شبعاً فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليهن ثم قال كلوا بسم الله فأكلنا حتى شبعتنا وإنما لعشرة ثم رفعنا أيدينا وإذا التمرات كما هي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن استحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد إلى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاماً فولى وهو يلو كهن

وأناه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث ابن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء تأنيث أجرب يمد ويقصر قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة وأهل ميناء وأهدي يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم برداً فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على إعطاء الجزية أي بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم وكتب له صلى الله عليه وسلم ولأهل أيلة كتاباً صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله لحينه بن رؤية وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحوز ماله دون نفسه وإنه لطيبة لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر

وكتب صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين وصالح صلى الله عليه وسلم أهل ميناء على ربع ثمارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رأيت ونحن بتبوك شعلة من نار في ناحية العسكر أي ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطي رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده صلى الله عليه وسلم بأنه كان موجودا قبل البعثة فقد ذكر العسكري رحمه الله في الأوائل أن أول من أوقده جزيمة الأبرش أي وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر وورد في حديث أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد ألفت في المسألة تأليفا سميته مسامرة الشموع في ضوء الشموع قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فاتبعتهما أنظر إليها فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات وإذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدلاناه وهو يقول أدليا إلى أحاكم فأدليا إليه فلما هياه لشقه قال اللهم قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود يا ليتني كنت صاحب الحفرة أي والبقاد بموحدة ككتاب الكساء المخطط الغليظ لأنه لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فاتزر بواحد وارتدى بالآخر وقدم المدينة وأسلم وقرأ قرآنا كثيرا وكان اسمه عبد العزي فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك خرج معه وقال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فقال صلى الله عليه وسلم أئتني بلحاء شجرة أي بقشرها فأتاه بذلك قربه على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يا رسول الله ليس هذا ما أردت قال إنك إذا أخذتكم الحمى فقتلتكم فأنت شهيد فأخذته الحمى بعد الإقامة بتبوك أياما ومات بها أي وهذا هو المشهور وروى عن الأدرع الأسلمي وكان في حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة احرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل ميت فقيل هذا عبد الله ذو البجادين توفي بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

ارفقوا به رفق الله بكم فإنه كان يحب الله ورسوله قال ابن الأثير وهذا حدث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه وتقدم  
وعن الحافظ السيوطي رحمه الله لما ذكر انه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد دل ذلك على إباحة استعماله أي الشمع ولا يعد استعماله إسرافا مع قيام غيره من الأدهان مقامه  
وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وفي سيرة الحافظ الدمياطي عشرين ليلة يصلي ولم يجاوز تبوك ويحتاج أئمتنا إلى الجواب عن ذلك على تقدير صحته  
قال وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزتها فقال له عمر رضي الله تعالى عنه إن كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقال يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفرعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا هذا تصريح بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة ولا حصل فيها غنيمة وبه يرد ما ذكره الزمخشري في فضائل العشرة أنه صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد يقسم غنائم تبوك فدفع لكل واحد سهمًا ودفع لعلي كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة بن الأكوع وقال يا رسول الله أوحى نزل من السماء أم أمر من نفسك فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله هل رأيتم في ميامنكم صاحب الفرس الأغر المحجل والعمامة الخضراء بها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربية قد حمل بها على الميمنة فأزالها قالوا نعم قال هو جبريل عليه الصلاة والسلام وإنه امرني أن ادفع سهمه لعلي فقال زائدة حبذا سهم مسهم وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل والنساء حباله الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر له ومن يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله أستغفر الله لي ولكم وأهدي له صلى الله عليه وسلم بعض أهل الكتاب جنة فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يسقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيئاً فقال من سبقنا إلى هذا الماء فقيل له فلان  
 وفلان وفلان فقال أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتبه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم  
 نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل فصار يصب في يده ما شاء الله أن  
 يصب ثم نضحته ومسح بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء أن يدعو به  
 فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقي منكم أحد لتسمعن بهذا الوادي  
 وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أي وهذا خلاف عين تبوك الذي تقدم له صلى الله  
 عليه وسلم فيها ما يشبه هذا وقوله يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة ان ترى ههنا ملئ  
 جنانا إلى آخره لأن تلك العين كانت بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك  
 قال واجتمع رأي من كان معه صلى الله عليه وسلم من المنافقين وهم اثنا عشر رجلاً  
 وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلاً على أن ينكثوا برسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في العقبة التي بين تبوك والمدينة فقالوا إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في  
 الوادي فأخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا  
 يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لك وأوسع فسلك الناس بطن الوادي  
 وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا  
 وسلكوا العقبة وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ان يأخذ  
 بزمام الناقة يقودها وأمر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما  
 أن يسوق من خلفه  
 وفي الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أقود به وعمار بن ياسر يسوقه أو أنا أسوقه وعمار يقوده أي يتناوبان ذلك فيينا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت  
 ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة إليهم وقد رأى غضب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال إليكم إليكم يا  
 أعداء الله فإنه هو بقوم ملثمين وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا  
 مدبرين فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع على مكرهم به فانحطوا من  
 العقبة مسرعين إلى بطن

الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليل مظلمة وعن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول لما سقط متاع النبي صلى الله عليه وسلم وأردت جمعة نور لي في أصابعي الخمس فأضأت حتى جمعت ما سقط حتى ما بقي من المناع شيء وفي لفظ أن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال لا قال إنهم مكروا ليسيروا معي في العقبة فيزحموني فيطرحوني منها ان الله أخبرني بهم وبمكرهم وسأخبر كما بهم واكتماهم فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إليه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال أتدري ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا فإن أحببت بين بأسمائهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برء وسهم فقال صلى الله عليه وسلم إنني أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر فأنزل الله تعالى \* (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) \* الآية وأنزل الله تعالى \* (وهموا بما لم ينالوا) \* ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارمهم بالدبيلة هي سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم انتهى أي وفي لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلكه

وفي الإمتاع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو بتبوك إلى نخلة فجاء شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه وفي رواية وهو على حمار فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فصار مقعدا وكان يقال لحذيفة رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوحى إليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فأخذت بزمامها

وجئت إلى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنختها ثم جلست عندها حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بها فقال من هذا قلت حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنني مسر إليك سرا فلا تذكره إنني نهيت أن أصلي على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من خلافته إذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة رضي الله تعالى عنه فقاده إلى الصلاة عليه فإن مشى معه حذيفة صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنه وإن انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه

وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافه إن بالمدينة لأقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حسبهم العذر ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار أي وقال البكري أظن أن الرء سقطت من بين الهمزة والواو أي اروان منسوب إلى البئر المشهورة

وحين نزل صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسجد الضرار فأنزل الله تعالى \* (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) \* الآية أي لإضرار أهل قباء أي فإن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نصلي في مربوط حمار لا لعمر الله أي لأنه كان لا مرأة كانت تربط فيه حمارها ولكننا بنينا مسجدا ونرسل إلى رسول الله فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على إخواننا وكان المسلمون في تلك الناحية كلهم يصلي في مسجد قباء جماعة فلما بنى هذا المسجد فصرف عن مسجد قباء جماعة وصلوا بذلك المسجد فكان به تفريق للمؤمنين فكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به أي وقال إن أبا عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الأمر لهم ببناؤه فقال لهم ابنوا لي مسجدا واستمدوا ما استطعتم من قوة فإنني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة وانهم لما فرغوا من بنائهم ارسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم ويصلي فيه كما صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فهم أن يأتيهم فأنزل الله تعالى الآية وفي رواية أتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله قد

بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية وإنا نحب أنا تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة قال إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل من السفر وسأله إتيان المسجد جاءه الخبر من السماء فأمر جماعة منهم وحشى قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأحرقوه واهدموه على أصحابه ففعل به ذلك قال وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهدم إلى الأرض وأعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن أرقم رضي الله تعالى عنه يجعله بيت فلم يولد في ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها الدخان ولعل هذا أي جعله بيتا كان بعد أن أمر صلى الله عليه وسلم أن يتخذة محلا لإلقاء الكناساة والجيفة

وفي الكشف أن مجمع بن حارثة كان إمامهم في مسجد الضرارا فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في خلافته أن يأذن لمجمع بن حارثة أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صلت بهم والله يعلم إني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئاً للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرءون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بهم ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة أسكننيها ربي تنفى خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ولما رأى صلى الله عليه وسلم جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما في ذلك في غزوة أحد وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاه النساء والصبيان يقلن

\* طلع البدر علينا

\* من ثنيات الوداع

\* وجب الشكر علينا

\* ما دعا لله داع

\*

قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره علماءنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا أنه عند مقدمة المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فأعرض

عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه انتهى  
 أي وعن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة تبوك جهد  
 الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم  
 يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم في مضيق والناس فيه فنفخ في الظهر وقال اللهم  
 احمل عليها في سبيلها فإنك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس في البر  
 والبحر فزال ما بها من الإعياء وما دخلنا الا وهي تنازعنا أزمتهما  
 وجاء أن حية عارضتهم في الطريق عظيمة الخلقه فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون إليها ثم  
 التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدررون  
 من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلى  
 يستمعون القرآن أي بنحلة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وتقدم الكلام  
 عليه فرأى عليه من الحق حين ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببليده أن يسلم عليه  
 وها هو يقرؤكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله  
 وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين  
 رجلا وتخلف عنه أيضا كعب بن مالك وكان من الخزرج مرارة بن الربيع وهلال بن  
 أمية وكانا من الأوس فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم منهم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله واستغفر لهم وأما الثلاثة فعن  
 كعب بن مالك الخزرجي رضي الله تعالى عنه أنه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم  
 وسلمت عليه تبسم المغضب وقال لي تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال ما  
 خلفك فصدفته وقلت والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني  
 حين تخلفت عنك وفي رواية قلت يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا  
 لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن  
 حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن  
 حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن  
 حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله ما كان لي من عذر فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال  
 الرجال

الآخران وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا ممن شهد بدرا وهما من الأوس مثل قول كعب فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فمكثا في بيوتهما يبيكان وأما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يكلمه أحد منهم قال ولما طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه والله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار قال بينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق أي جعل الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان أي وهو الحارث بن أبي شمر أو جبلة بن الأيهم وكان الكتاب ملفوفا في قطعة من الحرير فإذا فيه أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فيممت أي قصدت به التنور فسجرت به أي القيته فيها أي والأنباط قوم يسكنون البطائح بين العراقيين قال حتى إذا مضت أربعون ليلة جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل صلى الله عليه وسلم إلي صاحبي أي وهما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا يقربك قالت والله إنه ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما ما كان إلى يومه هذا قال كعب فقال بعض أهلي قال في النور الظاهر أن القائل له امرأة لأن النساء لم يدخلن في النهي لأن في الحديث ونهى المسلمين وهذه الخطاب لا يدخل فيه النساء فدل على أن المراد الرجال قالت لو أستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت  
 خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما كان صلاة  
 الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن  
 مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن أي أعم  
 بتوبة الله علينا فلما جاءني الرجل الذي سمعت صوته يبشرنى أي وهو حمزة بن عمرو  
 الأوسي نزعته له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله لا أملك غيها يومئذ واستعرت أي  
 من أبي قتادة رضي الله عنه ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا أي جماعة جماعة يهتفونني بالتوبة يقولون ليهنئك توبة  
 الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس  
 فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من  
 المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان آخى بينهما حين  
 قدم المدينة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق  
 وجهه من السرور وكان صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر فلما  
 جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال أبشر بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك  
 قلت أمن عندك يا رسول الله أم عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يا  
 رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك أي وكان المبشر لهلال بن  
 أمية أسعد بن أسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة أو سلامة بن وقش  
 أي وفي البخاري عن كعب رضي الله عنه فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه  
 وسلم حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة  
 وكانت أم سلمة رضي الله عنها محسنة في شأني معينة في أمري فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال إذن  
 يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا وانزل الله تعالى قد تاب الله على النبي  
 والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة إلى قوله وكونوا مع الصادقين وقال  
 في حق من اعتذر له صلى الله عليه وسلم \* (سيحلفون بالله لكم) \* إلى قوله \* (فإن  
 الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) \*

واستشكل نزول الوحي بالقرآن في بيت أم سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة رضي الله عنها ما نزل على الوحي في فراش امرأة غيرها وأجاب بعضهم بأنه يجوز أن يكون ما تقدم في حق عائشة كان قبل هذه القصة أو أن الذي خصت به عائشة رضي الله عنها نزول الوحي في خصوص الفراش لا في البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى \* (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) \* الآية قال كانوا عشرة أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهما أنفسهم بسواري المسجد منهم أبو لبابة فلما مر بهم رسول الله قال من هؤلاء قالوا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتغدرهم قال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فأنزل الله تعالى \* (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) \* الآية فعند ذلك أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاءوا بأموالهم وقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى \* (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) \* إلى قوله \* (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) \* وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري وتقدم أن أبا لبابة رضي الله عنه ربط نفسه ببعض سواري المسجد في قصة بني قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه وقد ذكره ابن إسحاق فليتأمل ذلك

ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك وجد عويمرا العجلاني رضي الله عنه امرأته حبلى أي وهي خولة بنت عمه قيس فلا عن بينهما صلى الله عليه وسلم أي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك بن سحماء ابن عمه وقال وجدته على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله إني رايت شريكا على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر ودعا صلى الله عليه وسلم بالمرأة التي هي خولة وقال لها اتقي الله ولا تخبريني إلا بما صنعت قالت يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه يأتي وشريكا يطيل السهر ويتحدث حملته الغيرة على أن قال ما قال فدعا شريكا

وقال له ما تقول فقال مثل قول المرأة فأنزل الله تعالى \* (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم) \* الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالصلاة جماعة فلما صلى العصر أي وقد نودي بذلك واجتمع الناس قال لعويمر قم فقام وقال أشهد الله إن خولة لزاتنية وإني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله إني رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله إني ما قربتها منذ أربعة اشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالعودة وقال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد الله ما أنا زانية وإن عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إني لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله إنه ما رأني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة إن غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما أي قال له لا سبيل لك عليها وهو دليل لإمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه القائل إن الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن

وما جاء في بعض الروايات أنه طلقها ثلاثا قبل أن يأمره صلى الله عليه وسلم أي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على أنه ظن أن التلاعن لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لا سبيل لك عليها أي لا ملك لك عليها فلا يقع طلاقك ثم قال له صلى الله عليه وسلم إن جاء الولد

على صفة كذا فعويمر صادق وإن جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التي تصدق عويمرا فكان الولد ينسب إلى أمه وفي البخاري أن عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فتقتلونه أم كيف يصنع سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره النبي صلى الله عليه وسلم تلك المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة وعابها أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسألة التي لا يحتاج

إليها أي التي لم يكن وقعت لا سيما إن كان فيها هتك ستر مسلم أو مسلمة قال عويمر رضي الله عنه لم يكن وقع له مثل ذلك حينئذ ثم اتفق له وقوع ذلك بعد فقال عويمر والله لا انتهى حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاءه عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا إن تكلم جلدتموه وإن قتله قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فائت بها أي وذلك بعد أن ذكر له عويمر قصته

وفي رواية وقد قضى فيك وفي امرأتك فتلاعنا وفيه أن هلال بن أمية أحد المتخلفين عن تبوك قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء أو كانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة زاد في رواية أوحد في ظهره فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا يتكلف يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول وإلا فحد في ظهره فقال هلال والذي بعثك بالحق إنني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام أي بعد أن قال صلى الله عليه وسلم اللهم افتح أي بين لنا الحكم فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فجاءت وتلاعنا وعند الخامسة تلكأت ونكصت حتى ظن أنها ترجع أي لأنه صلى الله عليه وسلم قال لها إنها أي اللعنة موجبة أي للعذاب في الآخرة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ثم قالت جاءت به كذا فهو لهلال وإن جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الوصف الذي ذكر أنه يكون لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما سبق من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن وجمهور العلماء على أن سب نزول آية اللعان قصة هلال بن أمية وأنه أول لعان وقع في الإسلام وذهب جمع إلى أن سب نزولها قصة عويمر العجلاني لقوله صلى الله عليه وسلم قد

أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا وأجيب بأن معناه لما نزل في قصة هلال لأن ذلك عام في جميع الناس

قال الإمام النووي رحمه الله ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا فلعلهما سألا في وقتين متقاربين أي وقال صلى الله عليه وسلم في كل اللهم افتح فنزلت هذه الآية فيهما وسبق هلال باللعان فكان أول من لاعن

وفي مسلم أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقنته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال سعد بلى والذي أكرمك بالحق وفي رواية كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله باليف وفي لفظ لضربته بالسيف من غير صفح أي بل أضربه بحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اسمعوا إلى ما يقول سيدكم وليس ذلك من سعد رضي الله عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وإنما هو إخبار عن حاله ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني فأخبر صلى الله عليه وسلم عن سعد بأنه غيور وأنه صلى الله عليه وسلم أغير منه وأن الله غير منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء في الحديث لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل مبشرين ومنذرين ولا أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة ليكثر سؤال العباد إياها والثناء منهم عليه

وفي تفسير الفخر الرازي رحمه الله لا شخص أغير من الله وبه استدل على جواز إطلاق الشخص على الله تعالى

وفي الحلية لأبي نعيم رحمه الله عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال كنت فاعلا به شرا ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عمر أرأيت لو وجدت رجلا أي مع زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقراً صلى الله عليه وسلم\* (والذين يرمون أزواجهم)\* الآية

وفي الأم لإمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه أن رجلا من أهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله فرفع الأمر إلى معاوية رضي الله تعالى عنه فأشكل على معاوية القضاء فها فكتب معاوية إلى أبي موسى الأشعري رضي الله

تعالى عنه أن يسأل عن ذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاستخبر علي أبا موسى عن القصة فأخبره أبو موسى ت أن معاوية كتب إليه في ذلك فقال علي كرم الله وجهه أنا أبو الحسن إن لم يأت بأربعة شهداء قتلناه فليتأمل

وفي الخصائص الكبرى أن في غزوة تبوك اجتمع صلى الله عليه وسلم بإلياس فعن أنس رضي الله تعالى عنه سمعتا صوتا يقول اللهم اجعلني من أمة محمد الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبي صل يا أنس انظر ما هذا الصوت قال أنس رضي الله تعالى عنه فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما رأني قال أنت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه واقراه السلام وقل له أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا معه حتى إذا كنت منه قريبا تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت أنا فتحدثنا طويلا فنزل عليما من السماء شيء شبه السفره ودعاني فأكلت معهما قليلا فإذا فيها كمأة ورمان وحوث وتمر وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر إلى بياض ثوبه فيها قال الحافظ ابن كثير هذا حدث موضوع مخالف للآحاديث الصحيحين وهذا مما يستدرك به علي الحاكم الصحاح من وجوه وأطال في بيان ذلك والعجيب من الحاكم كيف يستدركه علي الصحيحين وهذا مما يستدرك به علي الحاكم

وفي النور لم يجرى في حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بإلياس وفي الجامع الصغير إلياس أخو الخضر وفي تفسير البغوي أربعة من الأنبياء احياء إلى يوم البعث اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس أي وإلياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان في السماء إدريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام

وعن ابن إسحاق الخضر من ولد فارس وإلياس من بني إسرائيل أي وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم أنهما أخوان لجواز أن يكونا أخوين لأم

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أن الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام ولو

كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله اجتماعه به صلى الله عليه وسلم

وفي الخصائص الكبرى عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال خرجت ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم أحمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس ضع الطهور وأت هذا فقل له ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما بعثه به وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به من الحق فأتيته فقلت له فقال مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنت أحق أن آتية اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام فلما وليت سمعته يقول اللهم اجلعي من هذه الأمة المرحومة المتاب عليها قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الإسناد سقيم المتن ولم يرسل الخضر عليه الصلاة والسلام نبينا صلى الله عليه وسلم لم يلقه

قال السيوطي في اللآلئ قلت قد أخرج هذا الحديث الطبراني في الأوسط وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الإصابة قد جاء من وجهين وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام والمراد بالشرعية الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم بالباطن

وقد نص العلماء على أن غالب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها ومن ثم أنكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر صلى الله عليه وسلم في قتله الغلام بقوله \* (لقد جئت شيئا نكرا) \* فقال له الخضر عليه الصلاة والسلام \* (وما فعلته عن أمري) \* ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام إنني على علم من عند الله لا ينبغي لك أن تعلمه أي تعمل به لأنك لست مأمورا بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغي لي أن أعلمه أي لا ينبغي لي أن اعمل به لأنني لست مأمورا بالعمل به

وفي تفسير أبي حيان والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أمور

أوحيت إليه أي ليعمل بها وعلم موسى عليه الصلاة والسلام الحكم بالظاهر أي دون  
بالحكم بالباطن

ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر في أغلب أحواله وحكم بالباطن أي في  
بعضها بدليل قتله صلى الله عليه وسلم للسارق وللمصلي لما اطلع على باطن أمرهما  
وعلم منها ما يوجب القتل

وقد ذكر بعض السلف رحمه الله أن الخضر إلى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وأن الذين  
يموتون فجأة هو الذي يقتلهم فإن صح ذلك فهو في هذه الأمة بطريق النيابة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام صار من أتباعه صلى الله عليه وسلم كما  
أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما ينزل يحكم بشريعته عنه لأنه من أتباعه

وفيه أن عيسى عليه الصلاة والسلام اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا  
ببيت المقدس فهو صحابي وجاء في حديث مطعون فيه أي عن ابن عباس رضي الله  
تعالى عنهما أن الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام يجتمعان في كل عام أي في  
الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله  
لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما يكون من  
نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما  
من قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات عوفي من السرقة والحرق والغرق ومن  
السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب  
وعن علي كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب  
الأسباط والله أعلم

باب سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه

لا يخفى أن ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزوة وما خلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية إن كان طائفة اثنين فأكثر فإن كان واحدا قيل له بعث وربما سمعوا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة وكما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو في الأصل كثير وبما سموا الاثنين فأكثر بعثنا ومنه قول الأصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم أنه لا فرق في ذلك بين أن يكون إرسال ذلك لقتال أو لغير قتال كتجسس الأخبار أو لتعليمهم الشرائع كما في بئر معونة والرجيع أو للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقبه بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتي

والسرية في الأصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود إليه خرجت ليلا أو نهارا وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية هي التي تخرج نهارا وهي من مائة إلى خمسمائة وقيل إلى أربعمائة أي وفي القاموس السرية من خمس أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلاثمائة أو أربعمائة إلى ثمانمائة يقال له بنسر بالنون فإن زاد على لك إلى أربعة آلاف قيل له جيش أي وقيل الجيش من ألف إلى أربعة آلاف فإن زاد على ذلك قي له جحفل وجيش جرار أي إلى اثني عشر ألفا والبعث في الأصل الطائفة تخرج من السرية ثم تعود إليها وهو من عشرة إلى أربعين يقال له حفيرة ومن أربعين إلى ثلاثمائة يقال له معتقب وما زاد على ذلك يسمى حمزة قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله خير الأصحاب أربعة وخير السريا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما هزم قوم بلغوا اثني عشر ألفا من قلة إذا صدقوا وصبروا أي فلا يرد أنهمزم القدر المذكور يوم حنين قال في الأصل وكانت سراياه صلى الله

عليه وسلم التي بعث بها سبعا وأربعين سرية وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب قال الشمس الشامي والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين أ هـ

أي وكان صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبي أي مالم يقتل كالنساء ولا قتلوا وفي رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة وهذا عند العمدة فلا ينافي أنه يجوز الإغارة على المشركين ليلا وإن لزم على ذلك قتل الصبيان والنساء والشيوخ فقد روى الشيخان سئل صلى الله عليه وسلم عن المشركين يبيتون أي يغار عليهم ليلا فيصييون من نسائهم وذرايرهم فقال هم منهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ولا سمع ولا طاعة في معصية الله وكان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم ان يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل

من جملة وصيته صلى الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى رضي الله تعالى عنهما إلى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تختلفا سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الأنصار وفيه نظر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث من الأنصار الا بعد ان غزا بهم بدرأ أي وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة وعقد له صلى الله

عليه وسلم لواء أبيض وهو أول لواء عقد في الإسلام حملة أبو مرثد بتفتح الميم وإسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضي الله تعالى عنه ليعترض عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل لعنه الله في ثلاثمائة رجل وقيل في مائة وثلاثين فصار رضي الله تعالى عنه إلى أن وصل سيف البحر أي بكسر السين المهملة واسكان المثناة تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادق العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين فأطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال ولما عاد حمزة رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر بأي بان مجديا حجز بينهم وانهم رأوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم في مجدي إنه ميمون النقيبة أي مبارك النفس مبارك الأمر وقال سعيد أورشيد الأمر أي أموره ناجحة ولم يقع له إسلام أي وفي الإمتاع وقد رهط مجدي على النبي صلى الله عليه وسلم فكساهم سرية عبيدة بن الحارث بن عبد الطلب رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وعقد له لواء أبيض وحملة مسطح بن أثاثة رضي الله تعالى عنه ليعترض عيرا لقريش وكان رئيسهم أبا سفيان وقيل عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص في مائتي رجل فوافوا العير ببطن رابغ أي ويقل له ودان هل فلم يكن بينهم إلا المناوشة برمي السهام أي فلم يسلوا السيف ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه فكان سهمه أول سهم رمى به في الإسلام أي كما أن سيف الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه أول سيف سل في الإسلام ففي كلام ابن الجوزي أول من سل سيفا في سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر أن سعدا رضي الله تعالى عنه تقدم أصحابه ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما مامنهما سهم إلا ويجرح إنسانا أو دابة أي لو رمى به لصدق رمية وشدة مساعدة رضي الله تعالى عنه ثم انصرف الفريقان فإن المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهمزوا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو أي الذي

يقال له ابن الأسود وعيينة بن غزوان فإنهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم إلى المسلمين فعلم أن سرية عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وقي قيل بل هي قبلها وكلام الأصل يشعر به ويؤيده قول ابن إسحاق كانت راية عبيدة بن الحارث فيما بلغنا أول راية عقدت في الإسلام قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف أن بعث حمزة وبعث عبيدة رضي الله تعالى عنهما كانا معا أي في يوم واحد في محل واحد أي وشيئهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا كما في ذخائر العقبى فاشتبه الأمر فمن قائل يقول إن راية حمزة رضي الله تعالى عنه أول راية عقدت في الإسلام وأن بعثه أول البعث ومن لكن يشكل على ذلك أن خروج حمزة كل على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم وبما ذكر أن بعثهما معا إلى آخره يرد ما أجاب به بعضهم عن هذا الإشكال بأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا وتأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية أشهر لأمر يقتضي ذلك هذا كلامه إلا أن يقال يجوز أن يكون المراد ببعثهما معا أمرهما بالخروج وأن المراد بتشيئهما جميعا أن كلا منهما وقع له التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضي أن يكون ذلك في وقت واحد تأمل

وفي هذا إطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة أنهما متردافان وتقدم أنه لم يحدث له اسم الراية إلا في خبير أو وكانوا لا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية وما هنا يرده

وفي كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض كما في حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما زاد أبو هريرة رضي الله تعالى عنه مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه

إلى الخرار

بفتح الخاء المعجمة وراءين مهملتين وفي النور بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء

الأولى

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس تسعة اشهر من الهجرة سعد بن أبي وقاص في عشرين من المهاجرين أي وقيل ثمانية وعقد له لواء أبيض حملة المقداد بن عمرو قال والخرار واد يتوصل منه إلى الجحفة وقد عهد إليه أن لا يجاوزه ليعترض عير لقريش تمر بهم فخرجوا يمشون على اقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور في صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالأمس فانصرفوا راجعين إلى المدينة أ ه

وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الأولى وفي السيرة الشامية الباب السادس في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه إلى الخرار وساق ما تقدم وقال بعده الباب التاسع في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه روى الإمام احمد عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت جهينة فقالوا له إنك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فاسلموا وبعثنا صلى الله عليه وسلم ولا نكون مائة وكان ذلك في رجب أي من السنة الثانية وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغير على حي من كنانة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره وقال بعض آخر لا نقيم ههنا وقلت انا في أناس معي بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا إلى العير وانطلق بعض أصحابنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان محمرا وجه فقال جئتم متفرقين وإنما أهلك من قبلكم الفرقة لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش أميرا فأمره علينا لنذهب إلى جهة نخلة بين مكة والطائف

سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه  
إلى بطن نخلة

قال لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الأخيرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح وجدته واقفا عند بابه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه فدفع إليه الكتاب وقال له قد استعملتك على هؤلاء نفر أه أي وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فلما ذهب لينطلق بكى صبيانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين أي فهو أول من تسمى في الإسلام بأمرير المؤمنين ثم بعده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا ينافي ذلك قول بعضهم أول من تسمى في الإسلام بأمرير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أو أن هذا أمير جميع المؤمنين وذلك أمير من معه من المؤمنين خاصة

فقد جاء أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يكتب أولا من خليفة أبي بكر فاتفق أن عمر رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عامل العراق أن يبعث إليه برجلين جلدين يسألهما عن أهل العراق فبعث إليه بعبد بن ربيعة وعدي بن حاتم الطائي فقلما استأذن لنا على أمير المسجد فوجدا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فقلما استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدالك في هذا الاسم فأخبره الخبر وقال أنت الأمير ونحن المؤمنون فأول من سماه بذلك عبد بن ربيعة وعدي بن حاتم وقيل أول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين فقد كتب رضي الله تعالى عنه بذلك إلى نيل مصر فإن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور العجم دخل إليه أهل مصر وقالوا له أيها الأمير إذا كان أحد عشر ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبيها وجعلنا عليها من الثياب والحلي ما يكون ثم

ألقيناها في هذا النيل أي ليجري فقال لهم عمرو رضي الله تعالى عنه إن هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا مدة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالجلاء منها فكتب عمرو بذلك إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فكتب إليه كتابا وكتب بطاقة في داخل الكتاب وقال في الكتاب قد بعثت إليك بطاقة في داخل الكتاب فالحقها في نيل مصر فلما قدم الكتاب أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله هو الذي يجريك فأسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم وكان أولئك النفر ثمانية أي وقيل اثني عشر من المهاجرين يعتقد كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن أبي وقاص وعيينة بن غزوان وكانا يعتقدان بعيرا ومنهم واقد ابن عبد الله ومنهم عكاشة بن محصن وامر صلى الله عليه وسلم عبد الله أن لا ينظر في ذلك الكتاب حتى يسير يومين أي قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه أي على السير معه أي وقد عقد له صلى الله عليه وسلم راية قال ابن الجوزي أول راية عقدت في الإسلام راية عبد الله بن جحش أي بناء على أن الراية غير اللواء وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بأن اسم الراية إنما وجد في خبير

قال ابن الجوزي رحمه الله وهو أول أمير أمر في الإسلام وفيه أنه مخالف لما سبق إلا أن يريد أن من سمي أمير المؤمنين فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فأت حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكره أحدا من أصحابك على السير معك أي ولفظ الكتاب سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لأمري حتى تأتي بطن نخلة فترصد غير قريش وتعلم لنا أخبارهم فلما قرا الكتاب على أصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى أي وجعل البخاري دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله ليقراه ويعمل به فيه دليلا على صحة الراوية بالمناولة وهي ان الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن له أن يحدث عنه بما فيه

وممن قال بصحة المناولة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه روى إسماعيل بن صالح عنه أنه أخرج لهم كتابا مشدودة وقال لهم هذه كتبي صححتها ورويتها فارووها عني فقال له إسماعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم

وفي لفظ أن عيد الله رضي الله تعالى عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة أي بعد أن استرجع ثم أعلم أصحابه وقال لهم من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فمأض إلى آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا لم يتخلف منهم أحد حتى إذا كانوا ببحران بفتح الموحدة وبضمها وسكون الحاء المهملة موضع أضل سعد بن أبي وقاص وعيينة بن غزوان بغيرهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ومن عداهما معه حتى نزل بنلخة فمرت عير لقريش أي تحمل زبيبا وأدما أي جلودا من الطائف وأمتعة للتجارة في تلك العير عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله وأصحابه وتخوفوا منهما فاشرف عليهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه أي وتراعى لهم ليظنوا أنهم عمارا فيطمئنوا أي وذلك بإرشاد عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه فإنه قال لهم إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فلما رأوا رأسه محلوقا قالوا عمار أي هؤلاء معتمرون لا بأس عليكم منهم وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب أي وقيل أول يوم منه

ويدل للأول ما جاء ان عبد اله تشاور مع أصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض إن تركتموهم في هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم في هذا اليوم تقتلوهم في الشهر الحرام أي وكان ذلك قبل أن يحل القتال في الشهر الحرام فإن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان معمولا به من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لأهل مكة فإن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة أن يجعل الله أفئدة من الناس تهوي إليهم لمصلحتهم ومعاشهم وجعل الأشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن فليأمن الحجاج فيها ورادين لمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين

نصف الشهر للإقبال ونصفه الآخر للإياب لأن العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوماً ذكره السهيلي ولم يزل تحريم القتال في تلك الأشهر الحرم إلى صدر الإسلام وذلك قبل نزول براءة فإن براءة كان فيها نبد العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم وأن لا يحتج مشرك وإباحة القتال في الأشهر الحرم أي مع بقاء حرمتها فإنها لم تنسخ قال تعالى \* (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) \* فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وإنما نسخ حرمة القتال فيها خلافاً لما نقل عن عطاء من أن حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ ويدل للثاني ما في الكشاف وكان ذلك اليوم أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادي الآخرة فتردد القوم وهابوا الإقدام ثم شجعوا أنفسهم عليهم ثم أجمع رأيهم على قتل من لم يقدر على أسره أي وأخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان والحكم فهما أول أسير أسره المسلمون وأفلت بتفح الهزمة باقي القوم أي وجاء الخبر لأهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب أي بناء على ما تقدم واستاق عبد الله وأصحابه رضي الله

تعالى عنهم العير حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وأبى أن يستلم العير والأسيرين فسقط بالبناء للمجهول في أيديهم أي ندموا وعنفهم إخوانهم من المسلمين وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال أي وصارت قريش تعير بذلك من مكة من المسلمين يقولون لهم يا معشر الصباة قد استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وزادوا في التشنيع والتعير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون القتيل عمرو الحضرمي والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب أي حضرت الحرب ووقدت الحرب فكان ذلك الفأل عليه لعنهم الله وضاق الأمر على عبد الله وأصحابه رضي الله تعالى عنهم فأنزل الله تعالى \* (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) \* أي عظيم الوزر \* (وصد عن سبيل الله) \* أي ومنع للناس عن دين الله \* (وكفر به) \* أي بالله \* (والمسجد الحرام) \* أي ومنع للناس عن مكة \* (وإخراج أهله منه) \* وهم

النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منه من \* (أكبر عند الله) \* أعظم وزرا \* (والفتنة) \* الشرك أي الذي أنتم عليه أو حملكم من أسلم على الكفر بالتعذيب له \* (أكبر من القتل) \* لكم فيه أي صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله و إخراجكم من مكة وأنتم أهلها وفتنة من أسلم بحيث يريد عن الإسلام ويرجع إلى الكفر أكبر من قتل من قتلتم منهم ففرج عن عبد الله وأصحابه رضي الله تعالى عنهم أي وهذا كما ترى يدل على أنهم قتلوا مع علمهم بأن ذلك اليوم من رجب وضعف ما تقدم عن الكشاف الموافق لما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب محمد كانوا يظنون أن ذلك اليوم آخر جمادي وكان أول رجب ولم يشعروا أي لأن جمادي يجوز أن يكون ناقصا وفيه أنه لو كان الأمر كذلك لا عتذر عبد الله وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بذلك

وجاء أن المسلمين اختلفوا في ذلك اليوم فمن قائل منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقمتوه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشمتمت عليه ويذكر أنه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي أي أعطي ديتة ويضعفه ما تقدم في غزوة بدر من أن أخاه طلب ثأره وكان ذلك سببا لإثارة الحرب وأن عتبة بن ربيعة أراد أن يتحمل ديتة ويتحمل جميع ما أخذ من العير وأن تكف قريش عن القتال وحينئذ تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين وطمع وطمع عبد الله وأصحابه في حصول الأجر وسألوا رسول الله فأنزل الله تعالى \* (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) \* أي فقد أثبت لهم الجهاد في سبيل الله

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه أي جعل خمسة لله وأربعة أخماسه للجيش

وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسة مع غنائم بدر وقيل إن عبد الله هو الذي خمسها أي فإنه رضي الله تعالى عنه قال لأصحابه إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فأخرج خمس ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي عزلها له وقسم سائرهما بين أصحابه رضي الله عنهم وحينئذ يكون ما تقدم من قوله وأبي ان يتسلم العير الظاهر في أن العير لم تقسم المراد خمس تلك العير وهو أول غنيمة خمست في الإلام أي قبل فرضه ثم فرض على ما صنع عبد الله رضي الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر

في الاستيعاب وعبد الله بن جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل أن يفرض الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس\* (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه)\* الآية وإنما كان قبل ذلك المربع هذا كلامه والمربع ربع الغنيمة وتقدم أن الفئ والغنيمة يطلق أحدهما على الآخر وفي كلام فقهاءنا أن الغنيمة كانت في صدر الإسلام له صلى الله عليه وسلم خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميمس

وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء عثمان والحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعيينة ابن غزوان فإننا نخشاكم عليهما فإن قتلتموهما نقتل صاحبكم فإن سعدا عينية رضي الله عنهما لم يحضرا الواقعة بسبب التماسهما بغيرهما وقد مكثا في طلبه أياما ثم قدما فأفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسيرين أي كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا

أي وعن المقداد أراد أميرنا يعني عبد الله بن جحش أن يقتل الحكم فقلت دعه فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا بعث وفي الأصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطي سرية عمير بن عدي الخطمي الضرير إلى عصماء

أي بالمد بنت مروان اليهودية وكانت متزوجة في بني خطمة وكان زوجها مرثد ابن زيد بن حصين الأنصاري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدي الخطمي وهو أول من أسلم من بني خطمة إلى قتل عصماء بنت مروان لأنها كانت تسب الإسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم في شعر لها وتحرض عليه فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبي ترضعه فمسها بيده ونحى الصبي عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي

صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان فقال نعم فهل على في ذلك من شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان أي الأمر في قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التي لم تسمع إلا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد جمع غالبها في النور في هذا المحل قال وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا بالبصير لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال انظروا إلى هذا الأعمى الذي يسري في طاعة الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الأعمى ولكن البصير

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما قال ألا رجل يكفيننا هذه يعني عصماء بنت مروان فقال عمير بن عدي أنا لها فأتاها وكانت تمارة أي تبيع التمر فقال لها أعندك أجود من هذا التمر لتمر بين يديها قالت نعم فدخلت إلى البيت وانكبث لتأخذ شيئا من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم يشعر بأحد فضرب رأسها حتى قتلها فليتأمل هذا مع ما قبله

ثم إن عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته نظر إليه فقال له أقتلت ابنة مروان قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أجبتهم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله فانظروا إلى عمير فلما رجع عمير إلى منزل بني خطمة وجد بنينا في جماعة يدفونها فقالوا يا عمير أنت قتلتها قال نعم فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون والذي نفسي بيده لو قلتكم بأجمعكم ما قالت لأضربنكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة وكان يخفى إسلامه من أسلم منهم لكن جاء في رواية أنها كانت تلقى خرق الحيز في مسجد بني خطمة فليتأمل

وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما أهدر دم عصماء نذر عمير إن رد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة سالما ليقتلنها فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة عدا عليها عمير رضي الله تعالى عنه فقتلها وفي كلام السهيلي رحمه الله أن الذي قتل عصماء بعلاها وقد يقال لا مخالفة لأن عميرا رضي الله عنه جاز أن يكون كان بعلاها قبل مرثد بن زياد

وذكر في الاستيعاب في ترجمة عمير رضي الله عنه أنه قتل أخته لسبها رسول الله ولم  
يسمها

أقول الظاهر أنها غير عصماء لأن نسب عصماء غير نسب عدي إلا ان يقال إنها أخته  
لأمه ويبعده ما تقدم من أنه كان زوجها لها والله أعلم وبعث وفي الأصل تبعا لشيخه  
الحافظ الدمياطي

سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك

أي والعفك بفتح العين المهملة وبالفاء وبالکاف أي الحمق أي أبي الحمق اليهودي  
قال صلى الله عليه وسلم يوما من لي بهذا الخبيث يعني أبا عفك أي من ينتدب إلى قتله  
وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض الناس على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ويعيبه في شعر له فقال سالم بن عمير رضي الله عنه أي وهو أحد  
البكائين وقد شهد بدرًا على نذر ان أقتل ابا عفك أو أموت دونه فطلب له غرة أي غفلة  
فلما كانت ليلة صائفة أي شديدة الحر نام أبو عفك بفناء بيته أي خارجه فعلم بذلك  
سالم رضي الله عنه فاقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف  
في فراشه وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب فقام إلى أبي عفك ناس  
من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن إسحاق قدم هذه البعث  
على بعث عمير

سرية عبد الله بن مسلمة رضي الله عنه

إلى كعب بن الأشرف الأوسي

أي فإن الله أصاب دما في الجاهلية فأني المدينة فحالف بني النضير فشرّف منهم  
وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة وكان  
شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطى أخبار اليهود ويصلهم  
فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فجاءه أخبار يهود من بني قينقاع وبني  
قريظة لأخذ صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل يعني النبي صلى  
الله عليه وسلم قالوا هو الذي كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيئا فقال لهم قد حرمت  
كثيرا من

الخير فارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق في مالي كثيرة فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا إليه قالوا له أنا أعجلناك فيما أخبرناك به ولما استثبتنا علمنا أننا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئا من ماله وهذا نزل فيه قوله تعالى \* (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما) \* استودعه شخص دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي وفي الكشف وفروعه أنها نزلت في فنحاص بن عازوراء وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة

ولما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما مبشرين لأهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان وأسرف فلان وفلان من أشرف قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس والله إن كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها أن كما تقدم فلما يتقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه وينشد الأشعار ويكي من قتل ببدر من أشرف قريش فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت ثم رجع إلى المدينة أي بعد أن لم يجد من يأوى رحله بمكة أي لأنه لما قدم مكة وضع رحله عند المطلب بن وادعة وأكرمته زوجة المطلب وهي عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته فلما بلغهما هجاء حسان ألقته رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودي وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله عنهما وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله أي يقال إنه خرج في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبي سفيان فقال لهم أبو سفيان إنكم أهل الكتاب ومحمد صاحب الكتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا فأنزل الله تعالى \* (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) \* أي وحالفهم عند استار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة للمدينة فلما وصل إلى المدينة وصار يشب بنساء المسلمين أي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن

أي وقيل إن كعب بن الأشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أن يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطعام فإذا حضر يفتكون به ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمره بعد أن جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستره بجناحه حتى خرج فلما فقدوا تفرقوا ولا مانع من تعدد الأسباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف وفي لفظ من لنا بابن الأشرف فقد استعلن بعدواتنا وهجائنا أي وفي رواية إنه يؤذي الله ورسوله وفي أخرى فإنه قد آذانا بشعره وقوي المشركين علينا أي فإن أبا سفيان قال لكعب فإنك تقرا الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب إلى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن نحر للحجيج الكوماء ونقسيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب لعنة الله أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فقال صلى الله عليه وسلم من لي بقتل ابن الأشرف فقال محمد بن مسلمة الأوسي أنا لك به يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خالي لأن محمد بن مسلمة ابن أخته أنا أقتله واجمع أي عزم على ذلك هو وأربعة أي من الأوس عباد بن بشر وأبو نائلة وكان رضي الله عنه أخا لكعب بن الأشرف من الرضاعة والحارث بن عيسى والحارث بن أوس ومكث محمد بن مسلمة رضي الله عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا ما تقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر ثم قال يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي نذكر ما نتوصل به إليه من الحيلة وحيث كان المناسب أن يقول لا بد لنا أن نقول أي نخترع ما نحتال به عليه فقال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فأباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لأنه من خدع الحرب كما تقدم

وقيل إنه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم إلى كعب أبو نائلة رضي الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشد شعرا ثم قال ويحك يا ابن الأشرف إنني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكنتم عني قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الأنفس أي

وسألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل وسائر ما عندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه فقال كعب لقد كنت أخبرتكم يا ابن مسلمة أن الأمر سيصبر إلى ما تقول أي ثم قال له كعب أصدقني ما الذي تريدون في أمره قال خذلانه والتنحي عنه قال شر تبين بان لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل فقال أبو نائلة وقيل محمد بن مسلمة كما في رواية صحيحة

قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان كلا منهما قال له إني أريد ان تبيني وأصحابي طعاما ونرهنك ونوثق لك فقال اترهنوني أبناءكم وفي رواية نساءكم قال أردت أن تفضحنا نرهنك من الحلقة أي السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة ما فيه وفاء وقد أردت أن آتيك بأصحابي أراد أبو نائلة رضي الله عنه أن لا ينكر كعب السلاح إذا جاء به هو وأصحابه فقال إن في الحلقة لوفاء أي وفي البخاري قال أرهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد في رواية ولا نأمنك عليهن وأي امرأة تمتنع منك لجمالك فإنك تعجب النساء قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن يوسف قالوا هذا عار علينا ولكنما نرهنك اللامة أي السلاح فرجع أبو نائلة رضي الله عنه إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين إلى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته أي وأمر عليهم محمد بن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فأقبلوا رضي الله عنهم حتى انتهوا إلى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضي الله عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيته أي طرفها وقالت إنك امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال أبو نائلة لو وجدني قائما لا يوقظني فقالت والله إني لأعرف في صوته الشر أي وفي البخاري فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فإنني أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم وفي مسلم كأنه صوت دم أي صوت طالب دم قال إنما هو ابن أختي محمد بن مسلمة ورضيعة أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب كذا في البخاري وفي مسلم إنما هو محمد ورضيعة قيل وصوابه إنما هو محمد ورضيعة أبو نائلة

فقد ذكر أهل العلم أن أبا نائلة رضي الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أي وهو ينفح منه ريح طيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ثم تماشوا ثم إن أبا نائلة رضي الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده وقال ما رأيت طيبا أعطر من هذا الطيب أي فقال وكيف عندي أعطر نساء العرب وأكل العرب وفي لفظ وأجمل بدل أكمل وهي أشبه فقال له يا أبا سعيد أدن مني رأسك أشمه وأمسح به عيني ووجهي ثم مشوا ساعة ثم عاد في ذلك أي في أن يتكلموا بما يتوصلون به إليه من الحيلة فأذن الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا أي وقع بعضها على بعض ولصق عدو الله بأبي نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن وإلا وعليه نار قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع أي ولما صاح اللعين صاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود فأخذوا عل غير طريق الصحابة ففاتوهم قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه وأصيب الحارث بن أوس من بعض أسيافنا في رجله ورأسه ونزف به الدم فتخلف عنا أي وناداهم اقرءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام فعطفوا عليه واحتملوه وفي رواية تخلف عن أصحابه فافتقدوه ورجعوا إليه فاحتلموه قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فجننا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا وأخبرناه بقتل عدونا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه قال وفي رواية أنهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشدون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تلك الليلة فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف أنهم قد قتلوا عدو الله وخرج إلى باب المسجد فجاءوا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله أي وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعة من التحريض عليه وأذنيه المسلمين فزادوا خوفا

سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه

لقتل أبي رافع

سلام بالتخفيف ابن أبي الحقيق علي وزن نصير بالتصغير وبالحاء المهملة الخزرجي أي وفي البخاري أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال له سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر وكان تاجر أهل الحجاز

لما قتلت الأوس أي عبد الله بن مسلمة وأبو نائلة ومن تقدم معهما كعب بن الأشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الأشرف في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق أي لأنه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي وعن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق لأن الأوس والخزرج كانا يتنافسان فيم يقرب إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم لا تفعل الأوس شيئاً من ذلك إلا فعلت الخزرج نظيره وبالعكس ويقولون والله لا يذهبون بهذا فتيلنا علينا في الإسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله ابن أنيس وأبو قتادة واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عتيك وأمرهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فخرجوا حتى أتوا خيبر فتسوردا دار أبي رافع ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله وكان أبو رافع في عليّة لها درجة أي سلم من الخشب من محل يصعد عليه إلى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى قاموا على باب تلك العلية فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا ناس من العرب نلتمس الميرة وفي لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فأدخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليها باب الحجره ووجدوه وهو على فراشه ما دلهم عليه في الظلمة إلا بياضة كأنه قبطية فابتدروه بأسيافهم ووضع عبد الله بن أنيس رضي الله

عنه سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى انفذه وهو يقول قطني قطني أي يكفيني يكفيني وعند ذلك صاحت المرأة قال بعضهم ولما صاحت المرأة جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهى رسول صلى الله عليه وسلم فيكف يده قال وفي رواية أن المرأة لما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه بأسيافنا وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سئ البصر فوقع من الدرجة فوثبت رجله وثبا شديدا أي جرحت جرحا شديدا وفي لفظ قد انكسرت ساقه وفي آخر فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لأن الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا

وأما قول ابن إسحاق رحمه الله فوثبت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهشامية فوثبت يده وقيل رجله

وقد يقال لا مانع من حصولهما قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه أي وذلك المحل من أفئنتهم التي يلقون فيها كناستهم وفي لفظ أنهم كمنوا في نهر من عيونهم حتى سكن الطلب

وقد يقال لا مخالفة لأنهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يلطبونهم أي وفي لفظ فخرج الحارث في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران حتى إذا أيسوا رجعوا إلى عدو الله فكتفوه وهو بينهم وجود بنفسه فقال بعضنا لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات فقال رجل منهم أنا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي

أي وعلى الرواية الآتية انه أكذبها ثم أقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاضت وإله يهود أي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كان ألد إلى نفسي منها ثم جئت وأخبرت أصحابي واحتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا إلى رسول صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا اخرج الليلة حتى اعلم أنني قتلته أولا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال

أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلق يحجل إلى أصحابه وقال قد قتل الله أبا رافع فاسرعوا وليتأمل هذا مع ما قبله وقوله أنعى هو بتفتح العين وقيل الصواب انعوا والنعي خبر الموت والأسم الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب إذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وصار يذكر أوصافه ومآثره وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق يحجل إلى أصحابه وكونهم حملوه لأنه يجوز أن يكون عند وقوعه وحصول ما تقدم له لم يحس بالألم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل ومن ثم جاء في بعض الروايات فقمت أمشي ما بي قلبة أي علة مهلكة فلما وصل إلى أصحابه وعاد عليه المشي أحس بالألم فحملة أصحابه وهذا السياق يدل على أن الذي قتله عبد الله ابن عتيك وحده وهو ما في البخاري وفي رواية أن الذي كسرت رجله أبو قتادة لأنهم لما قتلوه وخرجوا نسي أبو قتادة قوسه فرجع إليها وأخذها فأصيبت رجله فشدّها بعمامته ولحق بأصحابه وكانوا يتناوبون حملة حتى قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها فبرئت أي وقال لما رأنا أفلحت الوجوه قلنا أفلح أفلح وجهك يا رسول الله وأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا ادعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجنناه بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام قال والثابت في الصحيح كما علمت أن عبد الله بن عتيك هو الذي انفرد بقتله وان عدو الله كان يحصن بأرض الحجاز ولا منافاة لان خبير من الحجاز أي من قراه وريفه فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم قال عبد الله لأصحابه اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني ان أدخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ناداه بذلك كما ينادي الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن أنه من أهل الحصن إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن فلما أغلق الباب علق المفاتيح قال ثم أخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده فلما ذهب عنه أهل سمره سعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته على من داخله حتى انتهيت إليه فإذا هو في بيت ظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربتته بالسيف فما أغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت أي وعند ذلك قالت له

امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك الويل إن رجلا في البيت ضربني بالسيف فعمدت إليه فضربتة أخرى فلم تغن شيئا فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتي وإذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سميت صوت العظم ثم جئت إلى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامتي فانطلقت إلى أصحابي وقلت النجاة قد قتل الله أبا رافع فانتهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكأني لم أشتها قط وعادت كأحسن ما كانت انتهى أبي وهذا ما في البخاري وفيه في رواية أخرى أن ابن عتيك قال لما وضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى اتيت السلم أي الذي صعدت فيه أريد أن أنزل فأسقطت منه فانخلعت رجلي فعصبتها فأتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فغني لا أبرح حتى اسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح سعد الناعية فقال أنعي أبا رافع فقمتم أمشي ما بي قلبة فأدركت أصحابي قبل ان يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته

وفي سيرة الحافظ الدمياطي أنهم مكثوا في ذلك المحل استخفوا فيه يومين حتى سكن عنهم الطلب وينبغي النظر إلى وجه الجمع بينا ما ذكر سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى القردة بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة وقيل بكسرهما وسكون الراء وقدمه في الأصل على الأول اسم ماء

وسبها أن قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التي كانوا يسلكونها إلى الشام من على بدر فسلكوا طريقا أخرى من جهة العراق فخرج غير لهم فيه أموال كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر وفي ذلك العير من اشراف قريش أبو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عب العزي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

زيد بن حارثة في مائة راكب وهي أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا فصادف تلك العير على ذلك الماء فأصاب العير وأفلت القوم وأسروا دليلهم وقدم زيد رضي الله عنه بتك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخسّمها فبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم وأتى بذلك الأسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له إن تسلّم تترك أي من القتل فأسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه بعد ذلك

سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة أرضعتها ثوية كما تقدم إلى قطن أي وهو جبل وقيل ماء من مياه بني أسد وسببها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابني خويلد قد صار في قومهما ومن أطاعهما إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اخبره بذلك رجل من طيء قد المدينة لزيارة بنت أخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة المذكور وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن يتلاقى عليك جموعهم فأغذ السير أي بفتح الهمزة والغين المشددة والذال المعجمتين أي أسرع ونكب أي بفتح الكاف المخففة عدل عن سيف الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليستبق الاخبار فانتهى إلى ماء من مياههم فأغار على سرح لهم وأسروا ثلاثة من الرعاة وأفلت سائرهم ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان أغارتا في طلب النعم والشاء والرجال فأصابوا إبلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة قال وقيل إنه أخرج صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان يباح له أخذ الصفي وهو ما يختاره أو يختاره له أمير السرية قبل القسمة من الفئ أو الغنيمة من جارية أو غيرها كما تقدم واخرج الخمس ثم قسم ما بقي بين أصحابه فأصاب كل إنسان سبعة أبعرة أي وطليحة هذا كان يعد بألف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم في بعض الوفود وأسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفي رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم أسلم بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وحسن إسلامه وحج في زمن عمر رضي الله عنه ولم يعرف لأخيه سلمة إسلام بعث عبد الله ابن أنيس إلى سفیان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن سفیان المذكورة قد جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ليقتله فقال صفه لي يا رسول الله فقال إذا رايت هبته وفرقت أي خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى إنك تجدله قشعريرة إذا رأيت فقل عبد الله فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول أي ما أتوصل به اليه من الحيلة فأذن لي أي قال لي قل ما بدا لك أي وقال انتسب إلى خزاعة قال عبد الله بن أنيس فسرت حتى إذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشي أي متوكئا على عصا يهد الأرض ووراءه الأحابيش أي أخلاط الناس ممن انضم إليه فعرفته بنحت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنني هبته وكنت لا أهاب الرجال فقلت صدق الله ورسوله أي وكان وقت العصر فخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة يشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أوميء برأسي فلما انتهيت إليه قال لي من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فحئت لأكون معك قال أجل إنني لأجمع له فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثي أي وكان فيما حدثته به أن قلت له عجبت لما احدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم فقال لي إنه لم يلق أحد يشبهني ولا يحسن قتاله فلما انتهى إلى خبائة وتفرق عنه صحابه قال لي يا أخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا اغتررت فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا في الجبل وصيرت العنكبوت أي نسجت على وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل أتوارى النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما رأني قال قد أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري فدفع لي عصا وقال تحضر بهذه في الجنة أي توكأ عليها فإن المتحصرين في الجنة قليل فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله ان يدخلوها في كفنه يجعلوها بين جلده

وكفنه ففعلوا أي وفي القاموس ذو المنصورة أي كمكنسة بكسر الميم عبد الله بن أنيس

وهذه القصة وقصة كعب بن الأشرف ترد على الزهري قوله لم يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس إلى المدينة قط وحمل إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه رأس فكره ذلك وأول من حملت إليه الرؤوس عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وفيه أنه لما قتل الحسين وجماعة من أهل بيته بعث ابن زياد قبحة الله برءوسهم إلى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضي الله عنهما لم يبايع بالخلافة إلا بعد موت يزيد ومضى مدة خلافة ابنه معاوية رضي الله عنه الذي خلع نفسه وهي أربعون يوما ولعل إرسال رأس الحسين ومن معه كان قبل رأس عبد الله بن أبي الحمق فلا ينفأفي قول ابن الجوزي أول رأس حمل في الإسلام أي من المسلمين رأس عبد الله بن أبي الحمق وذلك أنه لدغ فمات فخشيت الرسل أن تتهم فقطعوا رأسه فحملوه ثم رأيت ابن الجوزي قال قال ابن حبيب نصب معاوية رضي الله عنه رأس عمرو بن أبي الحمق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين رضي الله عنه وقول الزهري إلى المدينة لا يخالف ما في النور ما تقدم في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تلك الرؤوس لم تحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على أن فيه أنه لم يحمل إليه ذلك اليوم إلا رأس أبي جهل على ما تقدم سرية الرجيع

وفي الأصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيوناً إلى مكة يتجسسون أخبار قريش ليأتوه بها وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه ويقال له ابن أبي الأفلح بالفاء وقيل أمر عليم مرثد الغنوي رضي الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه ومرثد بفتح الميم وإسكان الراء وبالمثلثة والغنوي بغين معجمة أي وكان مرثد هذا يحمل الأسرى ليلاً من مكة حتى يأتي بهم المدينة فوعد رجلاً من الأسرى بمكة أن يحمله قال فجئت به حتى انتهيت به إلى حائط من حيطان مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلي في جانب الحائط فلما أنتهت إلي عرفنتني قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحباً وأهلاً هلم تبت عندنا الليلة فقلت يا عناق إن الله حرم الزنا فدللت

علي فخرج في اثري ثمانية رجال فتواريت في كهف الخندمة فجاءوا حتى وقفوا على رأسي فأعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت إلى محل فككت عنه قيده ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم أن أنكح عناق فأمسك عني حتى نزلت الآية \* (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) \*

فدعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها علي ثم قال لي لا تتزوجها وفي قطعة التفسير للجلال المحلي أن الآية نزلت في بغايا المشركين لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله \* (وأنكحوا الأيامى منكم) \* الآية

وفيه أن عند فقهاءنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الأوثان وإن لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدي وخبيب تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثناة وقد تسكن ثم نون مفتوحه ثم تاء تأنيث مقلوب من الندثة والندث استرخاء اللحم فخرجوا رضي الله عنهم أي يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى إذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل لقيهم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس وجاء برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقومه وهم بنو لحيان فإنهم ذكروا لهم فنفروا إليهم فيما يقرب من مائة رام أي ولا يخالف ما في الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا نوى تمر أكلوه في منزل نزله أي فإن منهم امرأة كانت ترعى غنما فرأت النوى فقالت هذه تمر يثرب فصاحت في قومها أتيتم فتبعوهم إلى أن وجدوهم في المحل المذكور فلما أحسوا بهم لجئوا إلى موضع من جبل هناك أي صعدوا إليه فأحاطوا بهم وقالوا لهم أنزلوا ولكم العهد أن لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم رضي الله تعالى عنه أما أنا فلا أنزل على ذمة أي أمان وعند كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما أي وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد أبياتا منها

\* الموت حق والحياة باطل

\* وكل ما قضى الإله نازل

\* بالمرء والمرء إليه آيل

\*

ولا زال يرميهم حتى فئت نبله ثم طاعنهم حتى انكسرت رمحه ثم سل سيفه

وقال اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحمي لحمي آخره ونزل إليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضي الله تعالى عنهم فلما أمسكهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله وقال هذا أول الغدر أي ترك الوفاء بعهد الله والله لا أصحابكم إن لي بهؤلاء يعني القتلى أسوة فعالجوه فأبى أن يصحبهم أي فقتلوه كما في الصحيح وقيل صحبتهم إلى أن كانوا بمر ظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد أي ودخلوا بهما مكة في شهر القعدة فباعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة أي وقيل بيع كل بخمسين من الإبل أي وقيل بيع خبيب بأمة سوداء فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا قيل لأنه قتل الحارث يوم بدر كما في البخاري وتعقب بأن المعروف عندهم قيل لأنه قاتل الحارث يوم بدر إنما هو خبيب بن إساف الخزرجي أي وقيل القاتل له علي كرم الله وجهه وخبيب بن عدي هذا أوسي لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازي أي وقيل في هذا يوم بدر كما في البخاري وتعقب بأن المعروف عندهم أن قاتل الحارث يوم بدر إنما هو خبيب بن إساف الخزرجي أي وقيل القاتل له علي كرم الله وجهه وخبيب بن عدي هذا أوسي لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازي أي وقيل في هذا تضعيف الحديث الصحيح ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر أنه لزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدي الحارث بن عامر ما كان لاعتناء آل الحارث بشرائه وقتله به معنى إلا أن يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الأنصار وابتاع زيدا صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك ليقبله بأبيه فحبسوهما إلى أن تنقضي الأشهر الحرم واستعار خبيب رضي الله تعالى عنه فإنه وهو محبوس موسى من بنت الحارث وفي الصحيح من بعض بنات الحارث ليستحد بها أي يحلق بها عانته فدرج لها ابن صغير وهي غافلة عنه حتى أتى إلي خبيب رضي الله تعالى عنه فأجلسه خبيب رضي الله تعالى عنه على فخذه والموسى بيده فلما رأت ابنتها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله تعالى عنه فقال أتخشين أن اقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لأنه خطاب للمؤنث

وروى أنه رضي الله عنه أخذ بيد الغلام وقال هل أمكن الله منكم فقالت المرأة ما كان هذا ظني بك فرمى لها بالموسى وقال إنما كنت مازحا ما كنت لأعدر وفي السيرة الشامية أن تلك المرأة قالت قال لي تعني خبيبا رضي الله تعالى عنه حين حضره القتل ابعتي إلي بحديدة أتطهر بها للقتل أي وقد كان رضي الله تعالى عنه قال

لها إذا أرادوا قتل فأذنيني فلما أردوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة قالت فأعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له ادخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله لما دخل عليه الغلام قلت والله أصاب الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلي ثم خلي سبيله ويقال إن الغلام ابنها أي ويرشد إليه قول حبيب رضي الله تعالى عنه ما خافت أمك

وكانت بنت الحارث تقول والله ما رأيت أسيرا خيرا من حبيب قالت والله لقد وجدته يوما أي وقد طلعت عليه من شق الباب يأكل قطفًا من عنب في يده أي مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة وفي رواية ولا أعلم في أرض الله عنبا يؤكل أي واستدل أئمتنا بقصة حبيب هذه على أنه يستحب لمن اشرف على الموت أن يتعهد نفسه بتقليم أظفاره وأخذ شعر شاربه وإبطه وعانته ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأقره فلما انقضت الأشهر الحرم بانقضاء المحرم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل فلما قدم للقتل قال لهم دعوني أصل ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال لم والله لولا أن تحبسوا أن ما بي من جزع لزدت ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم أحدا أي الكفار وقد قتلوا في الخندق متفرقين

قال ذكر انهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد فلما انتهوا به إلى التنعيم أمروا بخشبة طويله فحفروا لها فلما انتهوا بخبيب إليها وبعد صلاته للركعتين صلبوه على تلك الخشبة أي ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره إلى الأطراف ثم قالوا له ارجع عن الإسلام نخل سبيلك وإن لم ترجع لنقتلك قال إن قتلي في سبيل الله لقليل اللهم إنه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام وبلغه ما يصنع بنا

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي فسمعناه يقول وعليه السلام

ورحمة الله وبركاته فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئني من خبيب السلام خبيب قتلته قريش وقد جاء أن المشركين دعوا أربعين ولدا ممن قتل آباؤهم يوم بدر فأعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه ووكلوا بتلك الخشبة أربعين رجلا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما في إنزال خبيب عن خشبته وفي لفظ قال صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فجاءا فوجدا أربعين رجلا لكنهم سكارى نيام فأنزلاه وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته وحمله الزبير رضي الله تعالى عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فشعر بهما المشركون أي وكانوا سبعين رجلا فبتعوهما فلما لحقوا بهما قذفه الزبير رضي الله تعالى عنه فابتلعتة الأرض أه ومن ثم قيل له بليغ الأرض أي وكشف الزبير رضي الله تعالى عنه العمامة عن رأسه وقال لهم انا الزبير بن العوام وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يذبان عن شبلهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما

وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال له جبريل يا محمد إن الملائكة تباهي بهذين الرجلين من أصحابك فنزل فيهما \* (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) \* الآية وتقدم أنه قيل إنها نزلت في علي كرم الله وجهه لما نام على فراشة صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه إلى الغار وقيل إنها نزلت في حق صهيب لما أراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله أو كله كما تقدم

ورأيت بعضهم هنا قال إنها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لما أخذ المشركون ليعذبه فقال لهم إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أو من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتدعوني وديني ففعلوا

وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أن عمرو بن أمية هو الذي أنزل خبيبا فعنه رضي الله تعالى عنه قال جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها فحللته فوقع إلى الأرض ثم التفت فلم

أر خبيبا ابتعلته الأرض وهذا وهو الموافق لما في السيرة الهشامية وأن ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والأنصار لقتل أبي سفيان بن حرب كما سيأتي إن شاء الله تعالى أي كان خبيب رضي الله تعالى عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة أي الكعبة فقال اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلك فحول الله وجهه نحوها فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم خبيب رضي الله تعالى عنه فقال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فألقى أبو سفيان بنفسه إلى الأرض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضي الله تعالى عنه لأنهم كانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زال عنه أي لم تصبه تلك الدعوة

وقد ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سعد بن عامر رضي الله تعالى عنه على بعض أجناد الشام فقبل له إنه مصاب يلحقه غشى فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ليس معك الا ما أرى فقال له وما أكثر من هذا يا أمير المؤمنين مزودي أضع فيه زادي وعكازي أحمل به ذلك وقدحي آكل فيه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه أبك لمم فقال لا فقال فما غشية بلغني أنها تصيبك فقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط الا غشى علي فزاده ذلك عند عمر رضي الله تعالى عنهما خيرا ووعظ عمر فقال له من يقدر على ذلك فقال أنت يا أمير المؤمنين إنما هو أن يقال فتطاع فقال له عمر رضي الله تعالى عنه إرجع إلى عمك فأبى وناشده الإغفاء فأعفاه وكان خبيب رضي الله تعالى عنه هو الذي سن لكل مسلم قتل صبورا الصلاة أي لأنه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك عنه فاستحسنه فكان سنة وهذا يدل على أن واقعة زيد ابن حارثة رضي الله تعالى عنهما متأخرة عن قصة خبيب رضي الله تعالى عنه لكن في النور والمعروف أن زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن طويل وفي الينبوع أن قصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما كانت قبل الهجرة أي وكان ابن سيرين رحمه الله إذا سئل عن الركعتين قبل القتل قال صلاهما خبيب رضي الله تعالى عنه وحجروهما فاضلان ويعني حجر بن عدي رضي الله تعالى عنه فإن

زيادا والي العراق من قبل معاوية رضي الله تعالى عنه وشى به إلى معاوية فأمر معاوية بإحضاره فلما قدم على معاوية قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية رضي الله تعالى عنه أو أمير المؤمنين أنا أضربوا عنقه فلما قدم للقتل قال ادعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين ثم قال رضي الله تعالى عنه لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتها ثم قتل هو وخمسة من أصحابه

ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه وجاء المدينة زائرا استأذن على عائشة رضي الله تعالى عنها فأذنت له فلما قعد قالت له أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال إنما قتلهم من شهد عليهم

وقصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما رواها الليث بن سعد قال بلغني أن زيد ابن حارثة اكرى بغلا من رجل بالطائف فمال به ذلك الرجل إلى خربة وقال له إنزل فنزل زيد رضي الله تعالى عنه فإذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين أي لأنه رأى أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا وهذا يدل على أن القتلى كلهم كانوا مسلمين قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيئا فرجع إلي فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فإذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوق ميتا ثم قال لي لما دعوت الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية يا أرحم الراحمين كنت في السماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك

أقول وقد وقع مثل ذلك لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار يكنى ابا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقية لص مقنع في السلاح فقال له ضع ما معك فإني قاتلك فقال ما تريد من دمي فشأنك والمال فقال أما المال فلي ولست أريد إلا دمك فقال ذرني أصلي أربع ركعات فقال ما شئت فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة فقال يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك

أن تكفيني شر هذا اللص يا ميغث أغثنني وكرر ذلك ثلاث مرات فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة وضعها من أدنى فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله ثم أقبل إلي أبي معلق فقال قم من أنت بأبي أنت وأمي فلقد أغلثني الله بك اليوم أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكرون فسألت الله تعالى أن يوليني قتله قال أنس رضي الله تعالى عنه من فعل ذلك استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب

أي وقد وقع نظير هذه المسألة أي من حيث إقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو أنهم كانوا يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشر إلى الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصلهما وحده ثم يدخل مع القوم في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله تعالى عنه فقال لا أجده صلى الله عليه وسلم على حال أبدا إلا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام ففضى ما عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أي وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا

وأخرج صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه زيدا رضي الله تعالى عنه إلى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فلما قدم للقتل قال له أبو سفيان رضي الله تعالى عنه أنشدك بالله يا زيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك والله ما أحب أ محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني لخالص في أهلي فقال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله تعالى عنه أي فإنهم لما وضعوا السلاح في خبيب رضي الله تعالى عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يؤذى بشوكة في قدمه ثم قتله ذلك المولى أي طعنه برمح في صدره حتى أنفذه من ظهره وقيل رمي بالنبل وأردوا فتنته عن دينه فلم يزد إلا إيمانا ولما قتل عاصم رضي الله تعالى عنه الذي أمير هذه السرية على ما تقدم أرادت

هذيل أخذ رأسه لبيعوه من سلافة وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار وكلاهم بعضهم يقتضي أنها أسلمت بعد فإن عاصما هذا كما تقدم قتل يوم أحد ولديها كلاهما أشعره سهما وكل يأتي إليها بعد إصابته بالسهم ويضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت إن قدرت على رأسه لتشرين في قحفه الخمر وجعلت لم يجيء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهي الزنابير بينهم وبين عاصم رضي الله تعالى عنه كلما قدموا على قحفه طارت وفي وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي أي سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث أراد الله فسمي حمى الدبر وبعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم في طلب جسده أو شيء منه يعرفونه أي ليمثلوا به لأنه قتل عظيما من عظمائهم قال الحافظ ابن حجر لعله عقبه بن أبي معيط فإن عاصما قتله صبيرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انصرفوا من بدر أي كما تقدم قال وكأن قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم أو شعروا بذلك ورجوا أن الزنابير تركته أي ولم يشعروا بأن السيل أخذه أه أي وقد كان عاصم رضي الله تعالى عنه دعا الله أن لا يمس مشركا ولا يمس مشرك في حياته وتقدم هنا أنه دعا الله أن يحمي لحمه فاستجاب الله له فلم يحصل له ذلك لا في حياته ولا بعد موته أي وفي كلام بعضهم لما نذر عاصم أن لا يمس مشركا ووفي بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين إياه فصار عاصم معصوما هذا وقيل إن هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش وإنما خرجوا مع رهط من عضل والقارة وهما بطنان من بني الهون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام فبعث صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم معهم أولئك نفر فساروا حتى إذا كانوا على الرجيع استصرخصوا عليهم هذيل فلم يشعروا إلا والرجال بأيديهم السيوف فدعوهم فأخذوا أسيافهم ليقتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فأبوا الحديث والحافظ الدمياطي رحمه الله اقتصر على هذا الثاني وأن أميرهم كان مرثدا الغنوي رضي الله

تعالى عنه فقال سرية مرثد الغنوي إلى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاما الحديث لكنه في سياق القصة قال وأمر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضي الله تعالى عنهما وأخر هذه السرية عن السرية بعدها التي هي سرية القراء إلى بئر معونة  
سرية القراء رضي الله تعالى عنهم  
إلى بئر معونة

لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة أي ويقال له ملاعب الرماح وهو رأس بني عامر أي ويقال له أيضا أبو براء بالمدلاغير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله أي وأهدي إليه صلى الله عليه وسلم ترسين وراحتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية من مشرك وفي رواية نهيت عن عطايا المشركين

أقول وفي كلام السهيلي أنه أهدى إليه فرسا وأرسل إليه إنني قد أصابني وجع فابعث إلى بشيء أتداوى به فأرسل إليه صلى الله عليه وسلم بعكة غسل وأمره أن يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين قال السهيلي والزبد مشتق من الزبد لأنه نهى عن مداهنتهم واللين لهم كما أن المداهنة مشتقة من الدهن فرجع المعنى إلى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل أن يكون قبله وهو الأقرب والله أعلم  
فلما قدم عليه أبو عامر عرضي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام أي وقال إنني أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا أي ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عدده في الصحابة ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد أي وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنالهم جاروهم في جوارى وعهدي فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك وخرج أبو البراء إلى ناحية نجد وأخبرهم أنه قد أجاز أصحاب محمد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضي الله تعالى عنه في أربعين وقيل في سبعين وعليه اقتصر

الحافظ الدميّاطي أي لأنه الذي في صحيح البخاري وقيل في ثلاثين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين

أي وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القيل وهم وأنه يمكن الجمع بين كونهم سبعين وكونهم أربعين بأن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا أتباعا ويقال لهؤلاء القراء أي لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا في ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن أهلهم أنهم في المسجد ويظن أهل المسجد أنهم في أهاليهم حتى إذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاءوا بذلك إلى حجر النبي صلى الله عليه وسلم

وفي كلام بعضهم أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لأصحاب الصفة

وقد يقال لا منافاة لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا أخرى أو بعضهم يفعل أحد الأمرين وبعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه

وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم والحرّة أرضى فيها حجارة سود فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء المهملة والراء ابن ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله أي وهو راس بني سليم وفي لفظ سيد بني عامر وابن أخي أبي براء عامر بن مالك كما تقدم فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله أي بعد أن قال يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم فآمنوا بالله ورسوله فجاء إليه رجل من خلفه فطعنه بالرمح في جنبه حتى نفذ من جنبه الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم استصرخ عليهم أي استغاث بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا إنا لا نخفر بأبي براء أي لا نزيل خفارته وتنقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم قال الحافظ الدميّاطي عصية ورعلا وذكون زاد بعضهم وبني لحيان قال بعضهم وليس في محله

أقول كان قائله سري إلى ه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم جمع بني لحيان في الدعاء عليهم مع من ذكر قلبه وسيأتي أنه إنما جمعهم معهم لأن خبر أصحاب الرجيع وأصحاب

بئر معنة جاءه صلى الله عليه وسلم في يوم واحد وبنو ولحيان أصحاب الرجيع فدعا عليهم دعاء واحدا والله أعلم فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التي هي عصية ورعل وذكوان أجابوه إلى ذلك ثم خرجوا حتى أحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم إلا كعب بن زيد رضي الله تعالى عنه فإنه بقي به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك حتى قتل يوم الخندق شهيدا وإلا عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه ورجلا آخر كانا في سرح القوم ولما أحاطوا بهم قالوا اللهم إنا لا نجد من يبلغ رسولاك عنا السلام غيرك فاقرأه منا السلام فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقال وعليهم السلام

أي وفي لفظ أنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السماء قام صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن إخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وإنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه ورضي عنا ربنا وفي لفظ فرضي عنا وأرضانا فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا عنه ورضي عنهم

وذكر انس رضي الله عنه أن ذلك أي قولهم المذكور كان قرآنا يتلى ثم نسخت تلاوته أي فصار ليس له حكم القرآن من التعبد بتلاوته وأنه لا يمسه إلا الطاهر ولا يتلى في صلاة إلى غير ذلك من أحكام القرآن

ولما رأى عمرو بن أمية والرجل الذي معه الطير تحوم على محل أصحابهما أي وكانا في رعاية إبل القوم كما تقدم قالا والله إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا ينظران فإذا القوم في دمائمهم وإذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الرجل الذي مع عمرو ماذا ترى فقال أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال له لكني ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو فأقبلا فلقيا القوم فقتل ذلك الرجل وأسر عمرو فأخبرهم أنه من مضر فأخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو حتى جاء إلى ظل فجلس فيه فأقبل رجلان حتى نزلا به معه فسألتهما فأخبراه انهما من بني عامر وفي لفظ من بني سليم وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو يرى أي يظن أنه قد أصاب بهما ثارا من بني عامر فلما قدم عمرو

على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر وأخبره بقتل الرجلين فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي لأدفعن ديتهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا ولما بلغ أبا براء أن عامر بن الطفيل ولد أخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل أي الذي هو ابن عمه قطعنه بالرمح فوقع في فخذه ووقع عن فرسه وقال إن أنا مت فدمي لعمي يعني أبا براء وإن أعش فسأرى رأي أي وفي لفظ نظرت في أمري وفي الإصابة أن ربيعة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيعسل عن أبي هذه العذرة أن أضرب عامر بن الطفيل ضربة أو طعنة قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة أشواه منها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر بن الطفيل اقتص فقال قد عفوت أي وعقب ذلك مات أبو براء أسفا على ما صنع به ابن أخيه عامر بن الطفيل من إزالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمض من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في الوفود في وفد بني عامر أي وقال بعضهم قد أخطأ المستغفري في عده صحابيا ولما قتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه رفع إلى السماء فلما رأى قاتله ذلك أسلم أي وهو جبار بن سلمى أي لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه وسلم أي لما بلغه قتل عامر بن فهيرة إن الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة أي في الأرض أي بناء على أنه لما رفع إلى السماء وضع كما في البخاري فقد جاء أن عامر بن الطفيل قال لعمر بن أمية رضي الله تعالى عنه وأشار إلى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنني لأنظر إلى السماء وبين الأرض ثم وضع وفي بعض الروايات أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ أي فلم يوجد فيرون أن الملائكة رفعتهم وظهرها أن الملائكة لم تضعه في الأرض بل رفعتهم أي ويؤيده أن عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمر بن أمية رضي الله تعالى عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا ما اسم هذا ثم قال له هل من أصحابك من ليس فيهم قال نعم ما رايت فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قال له عامر

أي رجل هو فيكم قال من أفضلنا وأولى أي ومن أولى المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رأيته رفع إلى السماء وعن انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا أقول وفي رواية الشيخين قنت شهرا أي متتابعا يدعو على قاتلي أصحاب بئر معونة أي بعد الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الأخيرة وحينئذ يكون المراد بالصباح اليوم وليلته وذكر بعض أصحابنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما في قنوت الصبح وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في قنوت الصبح واستدل أصحابنا على استحباب القنوت للنازلة في سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلي أصحاب بئر معونة وفي بعض السير فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم في صلاة الغداة وفي لفظ يدعو في الصبح وذلك بدء القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان وقد سئل الجلال السيوطي هل دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من قتل أصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور أو كان الدعاء هو قنوته فأجاب رحمه الله بأنه لم يقف على شيء من الأحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء قال بل ظاهر الأحاديث أنه اقتصر على الدعاء أي فيكون قنوته هو الدعاء وهو الموافق لقول أصحابنا ويستحب القنوت في اعتدال آخره صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات أي باقها للنازلة وهو اللهم اهدنا الخ في أن أُل في القنوت للعهد والله أعلم وفي رواية أنه يدعو على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين أي بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لأنه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما في وقت واحد كما تقدم وأدمج البخاري رحمه بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما في الزمن أي ففيه مكث رسول صلى الله عليه وسلم يدعو على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان أي وهو يقتضي أنهما شيء واحد ليس كذلك وقد علمت أن بني لحيان قتلوا أصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا أصحاب بئر معونة والله سبحانه وتعالى أعلم

سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء  
بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو بكر من كلاب  
بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى القرطاء في ثلاثين راكبا أي وأمره أن  
يسير إلى الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فصار الليل وكمن النهار قال  
وصادف في طريقه ركباننا نازلين فأرسل إليهم رجلا من أصحابه يسأل من هم فذهب  
الرجل ثم رجع إليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا ثم أمهلهم حتى عطنوا أي بركوا  
الإبل حول الماء أغار عليهم فقتل نفرا منهم أي عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما  
وشاء ولم يتعرض للظعن أي للنساء انتهى ثم انطلق حتى إذا كان بموضع يطعله على  
بني كبر بعث عابد بن بشير إليهم وخرج محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه في  
أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاه ثم انحدر رضي الله  
تعالى عنه إلى المدينة فحمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وعدل الجزور  
بعشرة من الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة وأخذت تلك  
السرية ثمامة بن أثال الحنفي من بني حنيفة أي سيد أهل اليمامة وهم لا يعرفونه وجي  
به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال  
الحنفي فأحسنوا إسهاره أي قيده فربط بسارية من سواري المسجد  
قال وقيل إن هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير في  
المدينة وقد كان جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند رسولا مسيلمة وأراد  
اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه أن يمكنه منه فأخذ وجيء به إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فربط بسارية من سواري المسجد فدخل صلى الله عليه وسلم على أهله  
فقال اجتمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر له صلى الله عليه وسلم بناقة  
يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا من كفايته أي وجاء إليه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ثمام هل أمكن الله منك فقال قد كان  
ذلك يا محمد وصار رسول الله يأتية فيقول ما عندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندي  
خير إن تقتل تقتل ذا كرم وفي لفظ ذا دم وإن تعف تعف عن شاكر

وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ففعل ذلك معه ثلاثة أيام قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فجعلنا أيها المساكين أي أصحاب الصفة نقول نبينا صلى الله عليه وسلم ما يصنع بدم ثمامة والله لأأكله جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة وفي الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم أكلة لحم من جزور أحب إلي من دم ثمامة ثم أمر به فأطلق ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث قال أطلقوا ثمامة فقد عفوت عنك يا ثمامة فأطلق فانطق إلى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر ثيابه ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أي وهذا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على أنه يستحب لمن أسلم أن يغتسل لإسلامه ثم رأيت بعض متأخري أصحابنا أجاب بأنه أسلم أولا ثم لما اغتسل أظهر إسلامه

وفي الاستيعاب فأسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتسل كما في رواية أخرى أنه قال يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلي من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد إلي ثم شهد شهادة الحق فلما أمسى جيء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب اللقحة الا يسيرا فعجب المسلمون قال وقال يا رسول الله إني خرجت معتمرا وفي لفظ في الصحيح فإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فأمره أن يعتمر فلما قدم بطن مكة لبي فكان أول من دخل مكة ملبيا فأخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا أنت صبوت يا ثمامة قال أسلمت وتبعت خير دين محمد والله لا يصل إليكم حبة من حنطة أي من الإمامة من أرض اليمن وكانت ريفا لأهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فإنكم تحتاجون إلى الإمامة فخلوا سبيله فخرج ثمامة إلى الإمامة فممنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا حتى أضربهم الجوع وأكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى على النار كما تقدم فكتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع إنك تأمر بصلة الرحم وإنك قطعت أرحامنا فكتب

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة رضي الله تعالى عنه أن يخلي بينهم وبين  
الجمل وفي لفظ خل بين قومي وبين ميرتهم ففعل فأنزل الله تعالى \* (ولقد أخذناهم  
بالعذاب) \* الآية هذا

والذي في الاستيعاب أن ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركون خبره فقالوا يا ثمامة  
صوت وتركت دين أبائك قال لا أدري ما تقولون إلا أني أقسمت برب هذه البنية يعني  
الكعبة لا يصل إليكم من الإمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من آخركم  
وكانت ميرة قريش ومنافعهم من الإمامة ثم خرج رضي الله تعالى عنه فمنع عنهم ما  
كان يأتي منها فلما أضرب بهم ذلك كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحث عليها وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا  
فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل فكتب إليه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أن خل بين قومي وبين ميرتهم

ولما عجب المسلمون من أكله بعد إسلامه رضي الله تعالى عنه لكونه دون أكله قبل  
إسلامه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار  
في معي كافر وأكل آخر النهار في معي مسلم إن الكافر ليأكل في سبعة أمعاء وإن  
المسلم يأكل في معي واحد انتهى

أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه الغفاري رضي الله تعالى عنه فإنه  
أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فأكثر ثم أكل معه وقد أسلم فأقل فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء  
ولعل المراد بالأكل ما يشمل الشرب ثم رأيت في الجامع الصغير إن الكافر ليشرب في  
سبعة أمعاء والمسلم يشرب في معي واحد والمراد أنه يأكل ويشرب مثل الذي يأكل  
ويشرب في سبعة أمعاء

وكان رضي الله تعالى عنه مقيما بالإمامة ولما ارتد أهل الإمامة ثبت ثمامة في قومه  
على الإسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله ويقول لهم إياكم وأمرا مظلم لا  
نور فيه وإنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

سرية عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه إلى الغمر بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبني أسد أي جمع من بني أسد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله تعالى عنه في أربعين رجلا منهم ثابت بن أرقم رضي الله تعالى عنه وقيل إن ثابتا رضي الله تعالى عنه هو الذي كان الأمير على هذه السرية فخرج يسرع في السير إلى أن وصل إلى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا في دارهم أحدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى أثرا فأخبر أنه رأى أثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس فقال وأين الناس لقد لحقوا بعليات بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه أحدهم بسوط في يده فقال تؤمنوني على دمي وأطلعكم على نعم لبني عم له لم يعلموا بمسيركم إليهم قالوا نعم فأمنوه فانطلقوا معه فأمعن أي بالغ في الطلب حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا الله لتصدقنا أو لنضربن عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا المحل فلما طلعوا منه وجدوا نعمًا رواتع فأغاروا عليها فاستاقوها فإذا هي مائة بعير وشردت الأعراب في كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا إلى المدينة بتلك الإبل وأطلقوا الرجل الذي أمنوه والله أعلم

سرية محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه لذي القصة بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر لبني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة بذئ القصة فورد عليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة وأصحابه وأمهلوهم حتى ناموا وأحدقوا بهم أي فما شعروا إلا وقد خالطهم القوم فوثب محمد بن مسلمة فصاح في أصحابه السلاح فوثبا وتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوه من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد وأصحابه زجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضي الله تعالى عنه يسترجع تحرك له فأخذه وحمله

إلى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدروا بها إلى المدينة

سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه  
إلى ذي القصة أيضا

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه في أربعين رجلا إلى من بذى القصة فإنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأسروا رجلا واحدا وأخذوا نعما من نعمهم ورثة أي ثيابا خلقة من متاعهم وقدموا بذلك إلى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم رجل فتركه صلى الله عليه وسلم

سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه  
إلى بني سليم بالجموح

بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل  
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فأصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فأصابوا في تلك المحلة إبلا وشاء وأسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك إلى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع أميال  
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ليعترضها وكان فيها أبو العاص بن الربيع وقدم به

وبتلك العير المدينة فاستجار أبو العاص بزوجه زينب رضي الله تعالى عنها فأجارته ونادت في الناس حين صلى الله عليه وسلم الفجر أي دخل في الصلاة هو وأصحابه فقالت أيها الناس إنني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لما سلم واقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذي نفسي بيده ما علمت بشء من هذا أي ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد أجرنا من أجرت قال وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أذنهم أي وفي الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها والملائكة والناس أجمعين ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها فسألته أن يرد على أبي العاص ما اخذ منه فأجابها إلى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له أي لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين أي كما تقدم في الحديبية

وبعث صلى الله عليه وسلم للسرية فقال لهم إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك وغن أبيتهم فهو فيء الله الذي فاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرد عليه فرد عليه ما أخذ منه وهذا السياق يدل على أن ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع الهدنة لأن بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لا يخلص إليك لأن تحريم نكاح المؤمنات على المشركين إنما كان في الحديبية

وقد ذكر بعضهم أن ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهري وتبعه ابن عقبة رحمهما الله تعالى أن الذين أخذوا هذا العير وأسروا من فيها أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما رضي الله تعالى عنهم لأنهم كانوا في مدة صلح الحديبية من شأنهم أن كل أخذوا هذه العير خلوا سبيل أبي العاص لكونه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضي الله تعالى عنها وسلم فاستجار بها فأجارته ثم كلمها في أصحابه الذين أسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

في ذلك فخطب الناس وقال إنا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وإنه قد اقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو نصير واسروهم وأخذوا ما كان معهم وأن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير وأصحابهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا الأسرى وردوا عليهم كل شيء حتى العقال وصوب في الهدى هذا الذي ذكره الزهري أي لما علمت أن مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبنته زينب ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له لأن تحريم نكاح المؤمنات على المشركين إنما كان بعد الحديبية

وذكر أن المسلمين قالوا لأبي العاص يا أبا العاص إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لأنه يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئسما أمرتوني أفتتح ديني بغدرة أي بالغدر وعدم الوفاء ثم ذهب أبو العاص إلى أهل مكة فأدى كل ذي حق حقه ثم قام فقال يا أهل مكة هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه هل وفيت ذمتي فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما فقال إني أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبد ورسوله والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا خشية أن تظنوا أنني إنما أردت ان آكل أموالكم

ثم خرج حتى قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها على النكاح الأول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى

أقول وفي رواية بعد سنتين والمتبادر ان السنة أو السنتين من إسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من أنه لا بد أن يجتمع الزوجان في الإسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذي هذا حديث ليس بإسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه وفي كلام بعض الحفاظ يمكن أن يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من إسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد بنته

زينب على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا في إسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح إنما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح ٢ الأول وقال ابن عبد البر حديث أنه صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الأول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الأصول وإن صح الأول أريد به على الصداق الأول وهو حمل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر الحديث إنه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخاري وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطني والبيهقي وغيرهم هذا كلامه

وفي كون زينب رضي الله تعالى عنها كانت مشتركة وأسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم يقل من إسلامها نظر لأنها اتبعت ما بعث به أبوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها

لا يقال فحيث كانت مسلمة فكيف زوجها من أبي العاص وهو كافر لأننا نقول على فرض أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى \* (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) \* لأن تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على أن ابن سعد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له في الجاهلية أي قبل البعثة والله أعلم

سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما

إلى بني ثعلبة

أي بالطرف ككتف اسم ماء

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى بني ثعلبة في خمسة عشرة رجلا أي بالطرف فأصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطي على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لأنهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار إليهم فصبح زيد رضي الله تعالى عنه بالنعم والشاء المدينة أي وقد خرجوا في طلبه فأعجزهم وكان شعارهم الذي يتعارفون به في ظلمة الليل أمت أمت

سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى جذام محل يقال له حسمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين على وزن فعلى وهو موضع وراء وادي القرى يقال إن الطوفان أقام بذلك المحل بعد نضوبه أي ذهابه ثمانين سنة وسببها أن دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أي وكان صلى الله عليه وسلم وجهه إليه كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة أو أنه أرسله إليه بغير كتاب وإلا فأرساله إليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لأنه كان بعد الحديبية ولم وصل رضي الله تعالى عنه إليه أجازة بمال وكساء فأقبل بذلك إلى أن وصل ذلك المحل فلقى الهنيد وابنه في ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوه عليه إلا ثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بني الضبيب أي ممن أسلم منهم فنفروا إليهم واستنقذوا لدحية رضي الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية وكان زيد رضي الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة فأقبل حتى هجم على القوم أي على الهنيد وابنه من كان معهم من الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبي مائة من النساء والصبيان قال ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضي الله تعالى عنه ركبوا وجاءوا إلى زيد وقال له رجل منهم إنا قوم مسلمون فقال له زيدا اقرا أم الكتاب فقرأها ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يا رسول الله لنا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف أصنع بالقتلى فقال أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا رجلا لزيد رضي الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يأمر زيدا أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم أي فقال علي يا رسول الله إن زيدا لا يطيعني فقال خذ سيفي هذا فأخذه وتوجه فلقى علي كرم الله وجهه رجلا أرسله زيد رضي الله تعالى عنه مبشرا على ناقاة من إبل القوم فردها علي كرم الله وجهه على القوم وأردفه خلفه ولقي

زيدا فأبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء فليرده فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كافة كل ما أخذوه انتهى

أقول وهذا السياق يدل على أن جميع ما أخذه من النعم والشاء والسبي كان لمن أسلم من جذام من بني الضبيب وإن بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفي ذلك من البعد ما لا يخفى والله أعلم  
سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق

رضي الله عنه لبني فزارة كما في صحيح بوادي القرى  
عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه إلى فزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشنينا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أي وهي أم قرفة عليها قشع من آدم أي فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر فنفلني أبو بكر رضي الله عنه ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك أي أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك يقال ذلك في مقام المدح والتعجب أي وقد كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هي لك يا رسول الله فبعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين

وفي لفظ فدى بها أسيرا كان في قريش من المسلمين كذا ذكر الأصل أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأنه الذي في مسلم وذكر في الأصل قبل ذلك عن ابن إسحاق وابن سعد أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وأنه لقي بني فزارة وأصيب بها ناس من

أصحابه وانفلت زيد من بين القتلى أي احتمال جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بني فزارة فلما عوفي أرسله صلى الله عليه وسلم إليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة في شرف من قومها وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل في العزة فتقول لو كنت أعز من أم قرفة فأمر زيد بن حارثة أن تقتل أم قرفة أي لأنها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم

وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم اغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم إنه خبر منكر فربط برجليها حبلين ثم ربطا إلى بعيرين وزجرهما أي وقيل إلى فرسين فركضا فشقها نصفين وقرفة ولدها هذا الذي تكنى به قتله النبي صلى الله عليه وسلم وبقيّة أولادها قتلوا مع أهل الردة في خلافة الصديق فلا خير فيها ولا في بنيتها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وذكر له صلى الله عليه وسلم جمالها فقال صلى الله عليه وسلم لابن الأكوع يا سلمة ما جارية أصبتها قال يا رسول الله جارية رجوت أن أفدي بها امرأة منا في بني فزارة فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا فعرف سلمة انه صلى الله عليه وسلم يريد لها فوهبها له فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب ابن عمرو بن عائذ بمكة وكان أحد الأشراف فولدت له عبد الرحمن بن حزن وإنما قيل لحزن خاله لأن فاطمة أم أبي النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لأبيه وفي لفظ بنت عمرو بن عائذ وفي كلام السهيلي أن رواية الفداء لمن كان أسيرا بمكة أصح من رواية أنه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن

وجمع الشمس الشامي بين الروايتين حيث قال يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الأكوع فيهما ذلك أي إحداهما لأبي بكر والأخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك أن في سرية أبي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بنت أم قرفة إلى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين أي وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى

أقول في هذا الجمع نظر لأنه يقتضى أن أم قرفة تعددت وأن كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الأكوع أسرهما وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه وفي ذلك بعد إلا أن يقال لا تعدد لأم قرفة وتسمية المرأة في سرية أبي بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه أن بعضهم أوردوها ولم يسم المرأة أم قرفة بل قال فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوف مرتين في يومين فقال يا سلمة هبني المرأة فقلت هي لك فبعث بها إلى مكة ففدي بها ناسا كانا أسرى بمكة ثم لا يخفى أن ما ذكره الأصل عن ابن إسحاق وابن سعد من أنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة إلى وادي القرى أي غازيا لبني فزارة وأنه لقيهم وأصيب بها ناس من أصحابه وأفلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ما ذكره عن ابن سعد مما يقتضي ان زيد بن حارثة في هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وانه لم يرسل لبني فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه

والمذكور عن ابن سعد ما نصه قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه أي فظنوا أنهم قد قتلوا وأخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزوة بني فزارة فلما خلص من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية لهم وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج بهم دليل من بني فزارة وقد نزر بهم القوم فكانوا يجعلون له ناظورا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف على وجه الطريق الذي يرون أن المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فإذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم في هذه الليلة فلما كان زيد ابن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة أخطأ بهم الدليل الفزاري طريقهم فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ فعابنوا الحاضر من بني فزارة فحمدوا خطأهم فكمن لهم في الليل حتى أصبحوا فأحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر أصحابه إلى آخر ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء إليه صلى الله عليه وسلم وقرع عليه الباب فخرج

إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به

وحينئذ يشكل قوله في الأصل ثبت عن ابن سعد أن لزيد بن حارثة سريتين بوادي القرى إحداهما في رجب والأخرى في رمضان فإنه بظاهره يقتضي أنه أرسل غازيا المرتين لبني فزارة بوادي القرى

وقد علمت أن كلام ابن سعد يدل على أن زيد بن حارثة في السرية الأولى إنما كان تاجرا اجتاز ببني فزارة بوادي القرى فقاتلوه هو وأصحابه وأخذوا معهم

ثم رأيت الأصل تبع في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضي الله تعالى عنه أميرا ثم قال سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بناحية وادي القى في رمضان وفيه ما علمت

ثم لا يخفى أن في هذا إطلاق السرية على الطائفة التي خرجت للتجارة ولا يختص ذلك بمن خرج للقتال أو لتجسس الأخبار وقد تقدم

سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل

بضم الدال المهملة وبفتحتها وأنكره ابن دريد لبني كلب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فأقعدته بين يديه وعممه بيده قال أي بعد أن قال له تجهز فإني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد إن شاء الله تعالى ثم امره أن يسري من الليل إلى دومة الجندل في سبعمائة وعسكروا خارج المدينة

فلما كانت وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وكان عليه عمامة من كرايبس أي غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوها من لك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرف

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذها يا ابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أي لا تخن في المغنم ولا تغدر أي لا تترك الوفاء ولا تقتل وليدا وفي رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تنكثوا ولا تملوا ولا تقتلوا وليدا أي صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم له إذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن ابن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام وهم يأبون ويقولون لا نعطي إلا السيف وفي اليوم الثالث أسلم رأسهم وملكهم الأصبع بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا قال في النور لم أجد أحدا ترجمه والظاهر أنه ما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي واسلم معه ناس كثير من قومه وأقر من أقام على كفره بإعطاء الجزية أي وأرسل رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك وأنه يريد أن يتزوج فيهم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزوج بنت الأصبع أي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبني بها عندهم وقدم بها المدينة وهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي أول كلبية نكحها قرشي ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهي في العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه

قال وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أنه قال سرت لأسمع وصية رسول الله لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فإذا فتى من الأنصار أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا ثم قال وأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك الأكياس ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلت بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن إنه لن تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا

وما نقض قوم عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ ما كان في أيديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله إلا جعل الله تعالى بأسهم بينهم وفي رواية إلا ألبسهم الله شيئا وأذاق بعضهم بأس بعض

وفي الأصل ذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه لدومة الجندل في سرية زاد في السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتي

سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى مدين قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه وهي تجاه تبوك فأصاب سبيا وفرقوا في بيعهم بين الأمهات والأولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ييكون فقال مالهم فقيل يا رسول الله فرق بينهم أي بين الأمهات والأولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبعوهم الا جميعا

قال في الأصل وكان مع زيد رضي الله تعالى عنه في هذه السرية ضميرة مولى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وكذا اخوه رضي الله تعالى عنه وأخ له وهو تابع في ذلك لابن هشام ورد بان مولى علي هذا الذي هو ضميرة لم يذكر في كتب الصحابة وكذا اخوه

سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى بني سعد بن بكر بفدك وهي قرية بينها وبين المدينة ست ليال أي وفي لفظ ثلاث مراحل وهي خراب الآن وفي الصحاح فدك قرية بخيبر

وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن لمبنى سعد جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر وأن يجعلوا لهم تمر خيبر أي ما يوجد من غلتها فبعث إليهم عليا كرم الله وجهه في مائة رجل فصار الليل وكمن النهار إلى أن نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم أي فقال لا علم لي فشدوا عليه فأقر أنه عين أي جاسوس لهم وقال

أخبركم على أن تؤمنوني فأمنوه فدلهم فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بغير وألفي شاة  
وهربت بنو سعد بالظعن فعزل علي كرم الله وجهه صفي رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لقوحا أي حلوبا قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح  
الذال المهملة لسرعة سيرها ومنه في الدعاء إليك نسعى ونحفد ثم عزل الخمس وقسم  
الباقى على أصحابه

أقول قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضى بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر  
أو عند إرادة ذلك وفيه مالا يخفى لما تقدم والله أعلم  
سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أسير

بضم الهمزة وفتح السين يقال أسير بن رزام اليهودي بخيبر  
لما قتل الله أبا رافع بن سلام بن أبي الحقيق عظيم يهود خيبر كما تقدم أمروا عليهم  
أسير بن رزام قال ولما أمروه عليهم قال لهم إني صانع بمحمد مالم يصنعه أصحابي  
فقالوا له وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت  
وكان ذلك قبل فتح خيبر انتهى

فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه إليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرا يسأل  
عن خبر أسير وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره  
فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد  
الله ابن رواحة رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن عتيك فقدموا على أسير فقالوا  
نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا  
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن  
إليك فطمع في ذلك أي واستشار يهود في ذلك فأشاروا عليه بعدم الخروج وقالوا ما  
كان محمد ليستعمل رجلا من بني إسرائيل قال بلى قد مل الحرب  
قال في النور هذا الكلام لانياسب أن يقال قبل فتح خيبر فالذي يظهر أنها بعد فتح خيبر

وأقول يجوز أن يكون المراد باستعماله على خير المصالحة وترك القتال ومن ثم أجاب بقوله إنه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب والله أعلم

فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من يهود مع كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله بن أنيس كنت رديفا لأسير فكأن أسيرا ندم على خروجه معنا فأهوى بيده إلى سيفي ففطنت بفتح الطاء له وقلت أغدر عدو الله أغدر عدو الله ثلاثا فضربته بالسيف فأطحت عامة فخذة فسقط وكان بيده مخدش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم إلا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه إلا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق في شجتي فلم تقح علي ولم تؤذني قال وفي رواية زيادة على ذلك وهي قطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فإنك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه انتهى

أقول تقدم نظير ذلك لعبد الله بن أنيس هذا لما أرسله صلى الله عليه وسلم لقتل سفيان ابن خالد الهذلي وجاء برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن هذا وهم من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة أي أعطاه صلى الله عليه وسلم عصاه أولا في تلك وأعطاه أخرى ثانيا في هذه وجعل العصا بين جلده وكفنه ولا مانع منه لكن ربما تشوف النفس للسؤال عن حكمة تكرير ذلك لعبد الله بن أنيس وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله أعلم

سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس رضي الله عنهما بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل ما في الأنصار حريس بالسين المهملة إلا لحريش فإنه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر إلى أبي سفيان بن حرب بمكة ليغتالاه

وسببها أن أبا سفيان رضي الله عنه قال لنفر من قريش ألا أحد يغتال لنا محمدا فإنه يمشي في الأسواق وحده فأتاه رجل من الأعراب وقال يعني نفسه قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا فإذا أنت فديتني خرجت إليه حتى أغتاله

فإن معي خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر وإني عارف بالطريق فقال له أنت صاحبنا فأعطاه بغيرا ونفقة وقال له اطو أمرك وخرج ليلا إلى أن قدم المدينة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الأشهل فعقل راحلته وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال إن هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخلة إزاره أي بحاشيته من داخل فإذا بالخنجر فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقني قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله فأسلم أي وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أطلعت على ما هممت به فعلمت أنك على الحق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومن تقدم معه إلى أبي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب عن عدي رضي الله عنه وصلبه على الخشبة

ومضى عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه لأنه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو بخير واشتدوا في طلبه قال وفي رواية لما قدما مكة حبسا جملتهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه يا عمرو ولو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبا سفيان فقال عمرو إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق أي وإن القوم إذا تعشوا جلسوا على أفئنتهم فقال كلا إن شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب أبي سفيان فلقيني رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي فهربت أنا وصاحبي انتهى أي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله أي قتل ذلك الرجل عمرو فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي إن رأنا صاح بنا فخرجت إليه ومعني خنجرا عدده لأبي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة اسمع أهل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه بآخر رمق

فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس الذين يحرسون خشية حبيب بن عدي رضي الله تعالى فقال أحدهم لولا أن عمرو بن أمية بالمدينة لقلت إنه هذا الماشي فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتدبت أنا وصاحبي فخرجوا وراءنا فألقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا في السيرة الهشامية وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير والمقداد لإنزاله وأن الزبير أنزله فابتلغته الأرض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من أن الذي أنزله عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه فيحتاج إلى الجمع على تقدير صحة الروايتين ويقال عمرا قتل رجلا آخر سمعه يقول

\* ولست بمسلم ما دمت حيا

\* ولست أيدن دين المسلمينا \*

ولقي رجلين بعثتهما قريش إلى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل بخير رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك سرية سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليه الأكثرون ومن ثم اقتصر عليه الحافظ الدمياطي أي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بأن إسلام جرير بن عبد الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين إلى العرنيين وسببها أنها قدم على رسول صلى الله عليه وسلم نفر أي ثمانية من عرينة وقيل أربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون أي لشدة هزاهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم وقالوا يا رسول الله آونا وأطعمنا فأنزلهم صلى الله عليه وسلم عنده أي بالصفة ثم قال لهم أي بعد أن ذكروا له صلى الله عليه وسلم أن المدينة وبئة وخمة وأنهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم إلى ذود لنا أي لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من ألبانها وأبوالها أي لأن في لبن اللقاح جلاء وتليينا وإدرازا وتفتيحا للسدد فإن الأستسقاء

وعظم البطن إنما ينشأ عن السدد وآفة في الكبد ومن أعظم منافع الكبد لبن اللقاح لا سيما إن استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها ففعلوا ثم لما صحت أجسامهم كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم ومثلوا به أي قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ أنهم ركبوا بعضها واستاقوها فأدر كهم يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله الحديث

وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وأرسل معهم من يقص آثارهم فأدر كهم فأحاطوا بهم فأسروهم ودخلوا بهم المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم أي غورت بمسامير محماة بالنار وألقوا بالحرة أي وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار يستسقون فلا يسقون قال أنس رضي الله تعالى عنه ولقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش ليجد بردها لما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم وأنزل الله فيهم\* (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)\* الآية ولم يقع بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سمل عينا وفي لفظ أنهما لما أسروا ربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بمجمع السيول فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هنالك وأنه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفيا فسأل عنها فقيل نحروها كذا في سيرة الحافظ الدمياطي وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه

سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه  
إلى طائفة من هوازن

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ثلاثين رجلا إلى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء وأرسل صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا إلى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل هل لك جمع آخر من خثعم فقال له عمر رضي الله تعالى عنه لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم إنما أمرني بقتال هوازن سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى بني كلاب

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره علينا فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين وما زاده الأصل على هذا من قوله إن سلمة بن الأكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه إلى فزارة الخ نسب فيه للوهم لأن ذلك كان في سرية بني فزارة بوادي القرى وقد تقدمت فهما قضيتان مختلفتان جمع بينهما أي وهذا الذي في الأصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطي وفيه ما علمت

سرية بشير بن سعد الأنصاري رضي الله تعالى عنه  
إلى بني مرة بفدك

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا إلى بني مرة بفدك  
وتقدم أنها قرية بينها وبين المدينة ستة أميال فخرج فلقي رعاء الشاء فسأل عن الناس  
ف قيل في بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر إلى المدينة فخرج الصريخ إليهم فأدركه  
منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى فني نبل أصحاب بشير أي فلما  
أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم وقاتل  
بشير قتالا شديدا حتى ارتث أي جرح وصار ما به رمق وضربت كعبه اختبارا لحياته  
فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياهم وجاء إليه صلى الله عليه وسلم خبرهم  
ثم جاء بشير رضي الله تعالى عنه إلى المدينة بعد ذلك أي فإنه استمر بين القتلى إلى  
الليل فلما أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك فأقام بفدك عند يهودي أياما حتى قوي  
على المشي وجاء إلى المدينة

أقول وهذا يدل على أن بني مرة الذين توجه إليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب  
منها فيكون قوله أولا لبني مرة بفدك فيه تسميح وأن بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين  
فليتأمل

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه

إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميقعة اسم محل وراء بطن نخل  
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في  
مائة وثلاثين رجلا لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميقعة ودليلهم يسار مولى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا جمعا من  
أشرافهم واستاقوا نعا وشاء ولم يأسروا أحدا وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي  
الله تعالى عنهما الرجل الذي قال لا إله إلا الله وهو مرداس بن نهيك وفي سيرة الحافظ  
الدمياطي نهيك ابن مرداس والأول هو الذي في الكشاف وقال له النبي صلى الله عليه  
وسلم هلا شقت

عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فعن اسامة رضي الله تعالى عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصحبنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما أعيناه قال لا إله إلا الله فكف الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قلت إنما قالها متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أي تمنيت أن أكون أسلمت اليم فيكفر عني ما صنعت قال كذا وقع في الأصل أن قتل أسامة للرجل الذي قال لا إله إلا الله كان في هذه السرية وقد تبع في ذلك ابن سعد وإنما كان ذلك في سرية أسامة بن زيد للحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف ثم تاء تأنيث بطن من جهينة وسيأتي عن أسامة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة فصحبناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا وإذا أدبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الأنصار فرفعت عليه السيف قال لا إله إلا الله وزاد في رواية محمد رسول الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته ثم وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى ما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث أسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويجب أن يثنى عليه خيرا فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت ما فعل أسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا إله إلا الله فشد عليه أسامة فقتله وهو يعرض عنهم فلما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الشريف لاسامة فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إلا إلا الله إذا جاءت يوم القيامة فقال أسامة رضي الله تعالى عنه إنما قالها خوفا من السلاح وفي رواية إنما كان متعوذا من القتل قال اسامة رضي الله تعالى عنه ولا زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر علي حتى تمنيت أني لم أسلم إلا يؤمئذ انتهى والذي في الكشاف في تفسير قوله تعالى \* (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) \* أصله أن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها غالب بن فضالة الليثي رضي الله تعالى عنه فهربوا وبقي

مرداس لثقتته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليك فقتله أسامة ابن زيد واستاق غنمه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال

فكيف بلا إله إلا الله فما زال يكررها حتى وددت أنني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة وسيأتي نحو ذلك في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب بشير بن سعد

ويبعد تعدد هذه الواقعة سيما في مواطن ثلاثة أو أربعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دليلا في هذه السرية يقتضي أنها متقدمة على سرية العرنين فقد تقدم أنهم قتلوه ثم رايته في النور قال ولعل هذا غير ذلك لكن لم أر ذكرا في الموالي إلا أن يكون أحد موالي أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب إليه ومن ثم لم يشهد أسامة رضي الله تعالى عنه مع علي كرم الله وجهه قتالا وقال له لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد ان لا إله إلا الله وقلت له أعطى الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله والله أعلم

سرية بشسير بن سعد الأنصاري رضي الله تعالى عنه إلى اليمن بفتح الياء آخر الحروف وقيل بضمها أو يقال أمن همزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خبير

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان قد واعدتهم عيينة بن حصن أي قبل أن يسلم رضي الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فأصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد وذهبوا إلى القوم وأخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم وعليا

بضم العين وسكون اللام مقصورا نقيض السفلى فلم يظفر بأحد منهم إلا برجلين أسروهما فرجع بالنعم والرجلين إلى المدينة فاسلم الرجلان فأرسلهما صلى الله عليه وسلم قال والرجلان من جمع عيينة فإن المسلمين لما لقوا جمع عيينة انهزموا أمامهم وتبعوهم أخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى أي وعيينة بن حصن كان يقال له الأحمق المطاع لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة وقيل له عيينة قال في الأصل لأن عينة حجفت أي عظمت وكبرت فلقب بذلك رضي الله تعالى عنه

سرية ابن أبي العوجاء السلمي رضي الله تعالى عنه إلى بني سليم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي العوجاء رضي الله تعالى عنه السلمي في خمسين رجلا إلى بني سليم فكان لهم جاسوس مع القوم فخرج إليهم وسبق القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاءوا لهم وهم معدون لهم فدعوههم إلى الاسلام فقالوا أي حاجة لنا بما تدعوننا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الأمداد تأتيهم وأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه إلى بني الملوخ بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في بضعة عشر رجلا قال وما نقل عن الواقدي أنهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك في سرية لغالب غير هذه انتهى

أقول وهي المتقدمة التي توجهت لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة والله أعلم وأمر صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله وأصحابه أن يشنوا الغارة على ألقم فخرجوا

حتى إذا كانوا بقديد لحقوا الحارث الليثي فاسروه فقال إنما خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الإسلام فقالوا له إن كنت مسلماً لم يضرك ربطننا لك يوماً وليلة وإن كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقاً وخلفوا عنده سويد بن صخر أي وفي لفظ خلفوا عليه رجلاً أسود منهم وقالوا له إن نازعك فاحتز رأسه وساروا حتى اتوا محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا في ناحية الوادي قال جندب الجهني وأرسلني القوم جاسوساً لهم فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر أي القوم المقيمين بمحلهم فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لأنظر إذ خرج رجل منهم فقال لامرأته إني لأنظر على هذا الجبل سواداً ما رأيته قبل أنظري إلي أو عيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً فنظرت فقالت والله ما فقدت من أوعيتي شيئاً فقال ناوليني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عيني فانترعته وثبت مكاني فأرسل آخر فوضعه في منكبتي فانترعته وثبت مكاني فقال لامرأته والله لو كان جاسوساً لتحرك لقد خالطه سهمان لا أبالك أي بكسر الكاف أي لا كافل لك غير نفسك وهو بهذا المعنى يذكر في معرض المدح وربما يذكر في معرض الذم وفي معرض التعجب لا بهذا المعنى فإذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمأنوا ناموا شيئاً عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد أن قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية أي ومروا على الحارث الليثي فاحتماوه واحتملوا صاحبهم الذي تركوه عنده فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء مالا قبل لنا به فصار بيننا وبينهم الوادي فأرسل الله سحاباً فأمطر الوادي ما رأينا مثله فسال الوادي بحيث لا يستطيع أحد أن يجوز به فصاروا وقوفاً ينظرون إلينا ونحن متوجهون إلى أن قدمنا المدينة أي وفي لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون إلينا إذا جاء الله بالوادي من حيث شاء يملأ جنيبه ماء والله ما رأينا يوماً سحاباً ولا مطراً فجاء بمالا يستطيع أحد أن يجوزه فوقفوا ينظرون إلينا وقد وقع نظير ذلك أي سيل الوادي لقطنه بن عامر حين توجه إلى بن خثعم بناحية تبال كما سيأتي

سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه أي في بني مرة بفدك لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل إلى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد وذلك في بني مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هياً صلى الله عليه وسلم للزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضي الله تعالى عنه قال للزبير اجلس فصار غالب رضي الله تعالى عنه إلى أن أصبح القوم فأغاروا عليهم وكان غالب رضي الله تعالى عنه قد أوصاهم بعدم مخالفتهم له وأخى بين القوم فساقوا نعماً وقتلوا منهم

قال لما دنا غالب منهم ليلاً قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فإنه لا رأى لمن لا يطاع وفي رواية لا تعصوني فغن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وإنكم متى ما تعصوني فإنكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ألقى رضي الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله فإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فإذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب رضي الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان في القوم أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما وتفقداه غالب رضي الله تعالى عنه فلم يره وبعد ساعة أي من الليل أقبل فلامه غالب وقال ألم تر إلى ما عهدت إليك فقال خرجت في أثر رجل منهم جعل يتهمكم بي حتى إذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا إله إلا الله فقال له الأمير بئسما فعلت وما جئت به تقتل امرأ يقول لا إله إلا الله فندم أسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة أبعرة وعدل بعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيها

وقوله هنا حتى إذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا إله إلا الله يقتضي أنه إنما قال لا إله إلا الله بعد ضربه بالسيف إلا أن يحمل على الإرادة وتقدم أنه طعنه برمحه فليتأمل سرية شجاع بن وهب الأسدي رضي الله تعالى عنه إلى بني عامر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضي الله تعالى عنه في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن أي يقال لهم بنو عامر وأمره صلى الله عليه وسلم أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون أي وقد نهى أصحابه أن يمعنوا في الطلب فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم سرية كعب بن عمير الغفاري رضي الله تعالى عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشام وراء وادي القرى في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا أي لأنه لما دنا كعب ابن عمير رضي الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فأخبروهم بقلة المسلمين فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن عمير فإنه ظن قتله فلما أمسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى محل آخر فتركهم

أقول لم أقف على السبب الذي اقتضى البعث إلى ذلك المحل والله أعلم سرية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى ذات السلاسل

أرض بها ماء يقال له السلاسل بضم السين الأولى وكسر الثانية أي وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور أنها بفتح الأولى قيل سمي المكان بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال ماء سلسل وسلسال إذا كان سهل الدخول

في الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الأرض وراء وادي القرى وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يغزوا

أقول ولخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في زمن الصديق غزاة مع أهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لأن السلاسل منعتهم الهزيمة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاسل إلى الصديق رضي الله تعالى عنه والله أعلم

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من قضاة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أي وذلك بعد إسلامه بسنة وعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليهم فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من القوم فبلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهني رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمرو رضي الله تعالى عنهما وعقد له لواء وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو أبو عبيدة وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير قال وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذي مع أبي عبيدة لعمرو أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه فقال عمرو أنتم مدد لنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو أن آخر شيء عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال إن قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك قال فإني الأمير عليك قال فدونك أه أي لأن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة فكان عمرو يصلي بالناس

أي وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال بعث إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك فقلت إني لم أسلم رغبة في قال نعم المال الصالح للرجل الصالح ورأوا جمعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فترقوا قال وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو رضي الله تعالى عنه وأردوا أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من

البرد فمنعهم عمرو أي وقال كل من أوقد ناراً لأفدنه فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة الماجرين في ذلك فغالظه عمرو في القول وقال له قد أمرت أن تسمع لي وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه غضب وهم أن يأتيه فمنعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب فسكت واحتلم عمرو رضي الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جداً فقال لأصحابه ما ترون قد والله احتلمت فإن اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس أه ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشراً للنبي صلى الله عليه وسلم بقدمهم وسلامتهم قال قال عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال عوف بن مالك فقلت نعم بابي أنت وأمي يا رسول الله قال أخبرني فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبي عبيدة بن الجراح وبين عمرو ومطاوعة أبي عبيدة لعمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح وأخبرته بمنع عمرو رضي الله تعالى عنه للمسلمين من اتباع العدو ومن إيقاد النار ومن صلواته بأصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم في ذلك قال كرهت أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره قال عمرو وسألني عن صلواتي فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فقلت والذي بعثك بالحق إنني لو اغتسلت لمت لم أجد برداً قط مثله وقد قال الله تعالى \* (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) \* فضحك صلى الله عليه وسلم أه أي ويحتاج أئمتنا إلى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فإنني لم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء

سرية الخبط وهو ورق السمر

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى حي من جهينة في ساحل البحر وقيل ليرصدوا عيرا لقريش أي وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية لما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عيرا لقريش إلى الفتح وتعدد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين مرة قبل الهدنة ومرة بعدها ومن ثم حكم على هذا القول بأنه وهم فأقاموا بالساحل نصف شهر فصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط أي كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم فإن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه كان يعطي الواحد منهم في اليوم واللييلة ثمرة واحدة يمصها ثم يصرها في ثوبه

أي وعن الزبير رضي الله تعالى عنه أنه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمررة قال نمصها كما يمص الصبي ثدي أمه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل لأنه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يقوتهم إياه حتى صار يعده لهم عدا حتى كان يعطي الواحد ثمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط

ولما رأى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع أي مشقته أي وقال قائلهم والله لو لقينا عدو ما كان منا حركة إليه لما بالناس من الجهد قال من يشتري مني تمرا أوفيه له في المدينة بجزر يوفيهها إلى ههنا فقال له رجل من أهل الساحل أنا افعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت قال أنا قيس ابن سعد بن عبادة فقال الرجل ما أعرفني بسعد إن بيني وبين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرهما ستون صاعا وجمع الأول أوسق والثاني أوساق فقال له الرجل أشهد لي فقال

أشهد من تحب فأشهد نفرا من المهاجرين والأنصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه  
وقيل إن عمر رضي الله تعالى عنه امتنع من أن يشهد وقال هذه يدان ولا مال له إنما المال لأبيه فقال الرجل والله ما كان سعد ليخني بابنه أي لا يوفى عن ابنه ما التزمه فكان بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس الكلام وأخذ قيس رضي الله تعالى عنه الجزر فنحر لهم منها ثلاثة في ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم في اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة وقال له عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك أي لا يوفى لك بما التزمت ولا مال لك فقال له قيس رضي الله تعالى عنه أتري أبا ثابت يعني والده سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديننا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله

وفي البخاري أن قيسا رضي الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبو عبيدة

أي ومما يؤيد ما ذكر من أن الجزر كانت خمسة وأنه نحر لهم ثلاثة أيام كل يوم جزورا ما جاء في بعض الروايات انه معه جزوران قدم بهما يتعاقبون عليهما فلينظر الجمع

ثم إن البحر ألقى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث إن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من أضلاعها وفي لفظ من أضلاعه ومر تحته أطول رجل في القوم أي وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على أطول بعير لم يطأ طيء رأسه وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت أنا وفلان وفلان وعد خمسة نفر عينها ما رأنا أحد أي وفي لفظ ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينها فأكلوا منها أياما أي نحو شهر وكانوا ثلاثمائة

فعن بعضهم لما تفرحت أشداقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه مية ثم قال اضطررتهم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نعترف من وقب عينه الدهن بالقلال

وفي رواية فأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك وصحبوا من لحمها إلى المدينة أي وقيل لها العنبر لأنها تبتلع العنبر فعن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه قال سمعت من يقول رايت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة في البحر هائلة الحلقة طولا وعرضا وقد أخبرني بعض السفار أن جملا مات على شاطئ البحر فالقي في البحر فابتلعت سمكة فوقفت اخفاف يديه في حلقها فجاءت سمكة فابتلعت تلك السمكة وفي زمن الحاكم أمر الله وجدت سمكة بدمياط طولها مائتا ذراع وعرضها مائه وستون ذراعا وكان يقف في حلقها خمس رجال بالمجاريف يجرفون الشحم وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة اشهر ولما بلغ سعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم قال إن يكن قيس يعني ولده كما أعهد فلينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ما صنعت في مجاعة القوم قال نحررت قال أصبت قال ثم ماذا قال ثم نحررت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحررت قال أصبت ثم قال ماذا قال ثم نهيت قال ومن نهاك قال أميرى أبو عبيدة قال ولم قال زعم أنه لا مال لي إنما المال لأبيك فقلت له أبى يقضى عن الأبعد ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يصنع هذا لي فلان لموافقتي فأبى عليه عمر بن الخطاب إلا التصميم على المنع فقال سعد لولده قيس ذاك اربع حوائط أي بساتين أدناها ما يتحصل منه خمسون وسقا ثم إن قيسا رضي الله تعالى عنه وفى الرجل صاحب الجزر وحمله أي أعطاه ما يركبه وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل قيس قال إنه في بيت جود إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أي ومن ثم قال بعضهم لم يكن في الأوس والخزرج مطعمون يتوالدون في بيت واحد إلا قيس وأبوه سعد وأبوه عبادة وأبوه دليم كان في كل يوم يقف شخص على أطم ينادي من يريد الشحم واللحم فعليه بدار أبي دليم

أي وكان أصحاب الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة وأما سعد فينطلق بالثمانين وعن سعد بن عبادَةَ زارنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم روحمة الله ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادَةَ

قال ويذكر أن سعدا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من عذيري من ابن الخطاب يبخل علي ابني اه  
ويذكر عن سعد بن عبادَةَ أنه كان شديد الغيرة لم يتزوج الا بكرا وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها

وعن جابر رضي الله تعالى عنه فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فأكله أي ولم يكن أروح بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لو نعلم أنا ندركه لم يروح لأحبينا لو كان عندنا منه قال ذلك أزيادا منه

سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه إلى غطفان أرض محارب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة في خمسة عشر رجلا إلى غطفان وأمره أن يشن الغارة عليهم فصار يسير الليل ويكن بالنهار حتى هجم عليهم وأحاط بهم وقتلوا من أشراف لهم واستاقوا الإبل والغنم فكانت الإبل مائة بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد إخراج الخمس اثني عشرة بعيرا وعدل البعير بعشرين من الغنم ووقع في سهم أبي قتادة رضي الله تعالى عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لشخص أي كان وعده بجارية من أول فئ يفئ الله به فجاء ذلك الشخص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية من أول فئ يفئ الله به عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي قتادة قال وهب لي الجارية فوهبها له الحديث

سرية عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي تعالى عنه إلى الغابة  
وهي الشجر الملتف

قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومي فحئت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسلم استعينه على ذلك فقال كما أصدقت قلت مائتي درهم فقال سبحان الله لو كنتم  
تأخذون الدراهم من بطن واديكم هذا وفي لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان ما  
زدتم والله ما عندي ما أعينك فلبثت أياما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا  
يقال له رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه في جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين  
فقال اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوني منه بخبر ودفع لنا شارفا عجفاء أي ناقة مسنة  
وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا  
ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت  
في ناحية وصاحبي في ناحية أخرى فقلت لهما إذا سمعتماني قد كبرت فكبرا فوالله إنا  
كذلك ننتظر غرة القوم إلا ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعه المجمع للقوم خرج في  
طلب راع لهم أبطأ عليهم وتخوفوا عليه فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب  
أنت فقال والله لا يذهب إلا أنا فقالوا فنحن معك فقال والله لا يتبعني أحد منكم  
وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته أي رميته بسهم فوضعتة في فؤاده فوالله ما تكلم  
ووثبت عليه فاحتزرت رأسه وشدت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا  
فهرب القوم واستقنا إبلا وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي

قال وبعضهم جعل هذه السرية وسرية أبي قتادة إلى غطفان بأرض محارب التي قبل  
هذه واحدة أي واحدة أي ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ما صنع في الأصل

قال ويدل لكونهما واحدة ما نقل عن عبد الله بن أبي حدود قال لما طلبت منه الإعانة في مهر زوجتي قال لي ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية فهل لك أن تخرج فيها فإني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا الحاضر أي وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه أي كما تقدم فلما ذهبت فحمه العشاء أي اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى والى بين كل رجلين وقال لا يفارق كل رجل زميله حتى يقفل أي يرجع ولا يجيء إلى الرجل فأسأله عن صاحبه فيقول لا علم لي به وإذا كبرت فكبروا وإذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب فاحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال من القوم وإذا فيهم رجل طويل فأقبل علي قال يا مسلم هلم إلي الجنة يتحكم بهي فملت إليه فذهب أمامي أي وصار يقبل علي بوجهه مرة ويدبر عني بوجهه مرة أخرى فتبعته فقال لي صاحبي لا تتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن في الطلب ولا زال كذلك وقال إن صاحبكم لذو مكيدة وإن أمره هو الأمر فأدر كته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبي فأخبرني أنهم جمعوا الغنائم وأن أبا قتادة تغيظ علي وعليك فجئت أبا قتادة فلامني فأخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء جفون السيوف معلقة بالأقتاب ثم لما أصبحنا رأيت في السبي امرأة كأنها ظبي تكثر الالتفات خلفها وتبكي فقلت لها أي شيء تنظرين قالت والله أنظر إلى رجل لئن كان حياً ليستنقذنا منكم فوقع في نفسي أنه الذي قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت فألق إلي غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت ولبثت انتهى ولا يخفى أن السياق في كل يبعد كونهما واحدة سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه إلى بطن أضم اسم موضع أو جبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر من جملة محكم بن جثامة الليثي إلى بطن أضم ليظن ظان أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية وتنشر بذلك الأخبار فمر عليهم عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم بتحية الإسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله أي لشيء كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم إلى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى مكة فمالوا إليه حتى لقوه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحكم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفي رواية بعد ما قال إني مسلم أي أتى بما لم يأت به إلا مؤمن آمن الله وكان مسلما قال يا رسول الله إنما قالها أي تحية الإسلام متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يا رسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب أي وفي رواية فقال يا رسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما في قلبه فقال له فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه فقال استغفر لي يا رسول الله فقال لا غفر الله لك فقام يتلقى دمعه بيرده اه وأنزل الله تعالى فيه \* (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) \* إلى آخر الآية وذكر ابن إسحاق في خبر محكم أن النبي صلى الله عليه وسلم بحنين ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها فقام إليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان في عامر ابن الأضبط عيينة بن حصن يطلب دمه أي ويقول والله يا رسول الله إني لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحر مثل ما أذاق نسائي والأقرع يدافع عن محكم وارتفعت الأصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية ثم قالوا إن محكما يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل آدم طويل أي عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال له ما اسمك قال أنا محكم قد فعلت الذي بلغك وإني أتوب إلى الله تعالى واستغفر لي يا رسول الله فرفع رسول الله يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحكم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ومات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه أي ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم إن الأرض تقبل من هو

شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم أي وفي رواية إن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة  
لا إله إلا الله أي حرمة من يأتي بها  
ولفظ الأرض له يراد ما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له بعد دعائه  
عليه إلا أن يكون المراد استغفر له بعد موته ويوافق ما في بعض الروايات أراد الله أن  
يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد أن لا إله إلا الله أو يقول  
إني مسلم اذهبوا به إلى شعب بني فلان فادفنوه فإن الأرض ستقبله فدفنوه في ذلك  
الشعب فيجوز أن يكون استغفر له حينئذ وقيل إن الذي لفظته الأرض غير محكم لأن  
محكما مات بحمص أيام ابن الزبير رضي الله تعالى عنه الذي لفظته الأرض اسمه فليت  
سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه

إلى العزى

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بين فتح مكة الوليد في ثلاثين فارسا من  
أصحابه إلى العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا وفي لفظ العزى نخلات  
أي سمرة مجتمعمة لأنه كان يهدي إليها كما يهدي إلى الكعبة لأن عمرو بن لحي  
أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فلما وصل إلى محلها  
أي وكان بناء على ثلاث سمرة فقطع السمرة وهدم ذلك البناء ثم رجع إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له هل رايت شيئا قال لا قال فارجع إليها  
فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس أي  
شعر رأسها منتشر تحثو التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أي يقول يا عزي  
عوريه يا عزيه خبلية فضر بها خالد فقطعها نصفين أي وهو يقول

\* يا عز كفرانك لا سبحانك

\* إني رأيت الله قد أهانك

\*

ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم نعم تلك العزى

سرية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى سواع  
بالعين المهملة أي سمي باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة وكان  
لقوم نوح ثم صار لهذيل كانوا يحجون إليه أي قبل فتح مكة وبعد ذلك ارسل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في جماعة من أصحابه إلى سواع ليكسره  
ويهدم محله قال عمرو رضي الله عنه فانتهيت إلى ذلك الصنم وعنده سادنه أي خادمة  
فقال لي ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر  
قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على باطل ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت  
منه فكسرتة وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزائنه فلم نجد فيها شيئاً ثم قلت للسادن  
كيف رأيت قال أسلمت لله

سرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله تعالى عنه إلى مناة  
صنم كان للأوس والخزرج

ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى مناة  
ليهدم محله فلما وصلوا إلى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال  
أنت وذاك فاقبل سعد إلى ذلك الصنم فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس  
تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصيانك فضربها سعد  
رضي الله تعالى عنه فقتلها وهدم محلها

سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى بني جذيمة  
بناحية يلملم يدعوهم إلى الإسلام أي ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم بإسلامهم ولم  
يأمره بمقاتلتهم أي إذا لم يسلموا

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في ثلاثمائة  
وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ومن بني سليم أي وهو عليه الصلاة والسلام  
مقيم بمكة إلى بني جذيمة وكانوا في الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا أخا  
الفاكه أيضاً

في الجاهلية وكانوا من أشرحي في الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علموا به وعلموا أن معه بني سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه في موطن واحد خافوه فلبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضي الله عنه إليهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فألقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ما نحن بأمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت بقية القوم وفي رواية لما انتهى خالد إلى القوم فتلقوه فقال لهم ما أنتم أي أمسلمون أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنا فيها وفي لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبانا صباننا قال فما بال السلاح في السحر نادى منادى خالد رضي الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكثف السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكثف بالتخفيف بعضا وفرقهم في أصحابه فلما كان في السحر نادى منادى خالد رضي الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم معهم وامتنع المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد أي فإن رجلا من القوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحمد ما صنع قال نعم رجل أصفر ربعة ورجل طويل أحمر فقال عمرو رضي الله تعالى عنه والله يا رسول الله أعرفهما أما الأول فهو ابني فهذه صفته وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد أي قال ذلك مرتين وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فودي لهم قتلاهم قال له صلى الله عليه وسلم يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ودفع إليه صلى الله عليه وسلم مالا أي إبلا وورقا يدي به قتلاهم ويعطيهم منه بدل ما تلف عليه من أموالهم فودي قتلاهم وأعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميغلة الكلب أي الإناء التي يشرب فيها حتى إذا لم يبق لهم دم ولا مال قال هل بقي لكم دم أو مال قالوا لا قال أعطيكم ما بقي معي من المال احتياطا بدل ما لا تعلمون أي مما تلف من

أموالكم ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت وأحسنت أي وزاد وفي رواية والذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه بقول اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى

ووقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الإسلام فقال له إنما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت أنا قتلت قاتل أبي أي وفي رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل في الجاهلية فقال خالد ومن أخبركم أنهم أسلموا فقال أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالإسلام فقال جاءني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً فأنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته أي والغدوة السير في أول النهار إلى الزوال والروحة السير من الزوال إلى آخر النهار

والمراد بأصحابه هنا السابقون إلى الإسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذي يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لا يليق بهم منزلة غير الصحابة

قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور أعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرض عن خالد وقال يا خالد ذر أصحابي وفي رواية لا تسب أصحابي لو كان لك أحد ذهباً فأنفقته قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى أي ولا يخفى أنه يبعد أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إنما قتلهم لقولهم صباناً ولم يقولوا أسلمنا إلا أن يقال يجوز أن يكون خالد فهم أنهم قالوا ذلك على سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام وأنه صلى الله عليه وسلم إنما أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صباناً ثم لا يخفى أنه جاء لا تسبوا أصحابي فلو أنفق

أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ونقل الإمام السبكي عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فإنه كان يحضر مجلس وعظه أن قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي كان خطاباً لم يأتي بعده من أمته لأنه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فرأى في بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال خطاباً لهم لا تسبوا أصحابي وارضى منه هذا التأويل اه فالنهي والخطاب لا تسبوا أصحابي لغير الصحابة تنزيلاً للغائب الذي لم يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه أن هذا لا يساعد عليه المقام وفي الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الأطماع عن مداناتهم فإن كون ثواب إنفاق جبل أحد ذهباً في وجه الخير لا يبلغ ثواب التصديق بنصف المد الذي إذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد أمر عظيم أقول ووقع لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه نظير ذلك في زمن خلافة الصديق فإن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالد لقتال أهل الردة وكان من جملةهم مالك بن نويرة فأسره خالد هو وأصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادى خالد أن ادفنوا أسراكم فظن القوم أنه أراد ادفنوا أسراكم أي اقتلوهم فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بن ذلك قال إذا أراد الله أمراً أمضاه وتزوج خالد رضي الله تعالى عنه زوجته مالك بن نويرة وكانت من أجمل النساء ويقال إن خالد استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الإسلام وتمنع الزكاة ألم تعلم أن الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له هو صاحبنا وليس هو بصاحبك يا ضرارا اضرب عنقه وأمر برأسه فجعل ثالث حجرين جعل عليها قدر يطبخ فيه لحم فعل ذلك إرجافاً لأهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق رضي الله تعالى عنهما اعزله فإن في سيفه رهقاً كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضي الله تعالى عنه لا أعمد سيفاً سله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين وقال الصديق رضي الله تعالى عنه في حق خالد عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد

وفي كلام السهيلي انه روى عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر الصديق إن في سيف خالد رهقاً فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى

طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع إلى الإسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه إلى الإسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لأبي بكر اقتله فقال لا أفعل لأنه متأول فقال اعزله فقال لا أعمد سيفاً سله الله تعالى على المشركين ولا أعزل والياً ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل واصل العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما على ما حكاه الشعبي أنهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت

ولما ولي سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه الخلافة أول شيء بدأ به عزل خالد لما تقدم وقال لا يلي لي عملاً أبداً وقيل لكلام بلغه عنه ومن ثم أرسل إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه وإن لم يكذب نفسه فهو معزول فانتزع عمامته وقاسمه ماله نصفين فلم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتى إحدى نعليه وترك له الأخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لأمر المؤمنين وبلغه أن خالداً أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء إحسانه فأرسل لأبي عبيدة أن يصعد المنبر ويوقف خالداً بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لأن العشرة آلاف إن كان دفعها من ماله فهو سرف وإن كان من مال المسلمين فهي خيانة فلما قدم خالد رضي الله تعالى عنه على عمر رضي الله تعالى عنه قال له من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف فقال من الأنفال والسهمان قال ما زاد على التسعين ألفاً فهو لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال له والله إنك علي لكريم وإنك لحبيب ولم تعمل لي بعد اليوم على شيء وكتب رضي الله عنه إلى الأمصار إنني لم أعزل خالداً عن مبخلة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع أي وأن نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا بشجاعته بل بفضل الله

فالصديق لم يعزل خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتأويل له في ذلك كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله كما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إنني أبرأ إليك مما فعل خالد لكونه كان شديداً على الكفار لرجحان

المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به  
فجزله وولي أبا عبيدة بن الجراح  
قال بعضهم كان الصديق رضي الله تعالى عنه لنا وخالد بن الوليد شديدا وعمر رضي  
الله تعالى عنه كان شديدا وأبو عبيدة لنا فكان الأصلاح لكل منهما أن يولى من ولاه  
ليحصل التعادل والله أعلم  
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في القوم رجل قال لهم أنا لست من هؤلاء  
ولكنني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر إليها ثم افعلوا بي ما بدا لكم ثم أشار إلى  
نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت والله ليسير ما طلب فأخذته حتى أوقفته  
عليهن فأنشد أبياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت  
حتى

وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت أي وفي رواية فأكبت عليه  
تقبله حتى ماتت انتهى أي وفي رواية فانحدرت إليه من هو دجها فحنت عليه حتى  
ماتت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم القلب  
سرية أبي عامر الأشعري رضي الله تعالى عنه إلى أوطاس  
لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهمز المشركون عسكر منهم طائفة  
بأوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعري عم أبي موسى  
الأشعري في جماعة فيهم أبو موسى الأشعري ووقع في الأصل ان أبا عامر ابن عم أبي  
موسى الأشعري قال في النور وهو غلط وإنما أبو موسى ابن أخي ابن عامر فلحقوا  
بالقوم وتناوشوا القتال أي تكافتوا فيه وبارز أبو عامر تسعة ويقال إنهم إخوة وهو  
يقتلهم واحدا بعد واحد أي وصار كل من برز له منهم يدعوهم إلى الإسلام فيأبى فيقول  
اللهم اشهد ويحمل عليه فيقتله ثم برز له أخوه العاشر فقتل أبا عامر أي فإنه قال له  
اسلم فأبى فقال اللهم اشهد فقال اللهم لا تشهد وفرش يديه فظن أبو عامر أنه أسلم  
فكف عنه فعاد إلى أبي عامر فتقله ثم أسلم وحسن إسلامه رضي الله تعالى عنه وكان  
إذا رآه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد أبي عامر  
قال وعن أبي موسى الأشعري قال جئت لأبي عامر وفيه رمق فقلت يا عم من

رماك فقال ذاك وأشار إلى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رأني ولي فاتبعته وجعلت أقول له الا تستحي ألا تثبت فثبت فاختلطنا ضربتين فقتلته ثم قلت لأبي عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعتة فقال يا ابن أخي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي وقال ادفع فرسي وسلاحي له انتهى فليتأمل الجمع بين هذا وما قبله

وقبل ان يموت أبو عامر رضي الله تعالى عنه استخلف ابن عمه أبا موسى ودفع الراية له وفي لفظ أنا أبا عامر رماه واحد فأصاب قلبه ورماه آخر فأصاب ركبته فقتلاه وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلتهما أي وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا

ولما رجع أبو موسى رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت أبي عامر استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعله من أعلى أمتي في الجنة أي وفي رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من الناس ودعا لأبي موسى أي فقال اللهم اغفر له ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما  
سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه إلى ذي الكفين  
صنم عمرو بن حميمة الدوسي ليهدمه

لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى الطائف بعث الطفيل رضي الله تعالى عنه لهدم ذي الكفين وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا إلى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يجرى النار في وجهه وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأزدي من يحمل رايتكم فقال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الراوية قال أصبتم

سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله تعالى عنه

إلى بني تميم

أي وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطونهم أموالكم فاجتمعوا واشهروا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لا ندع يخرج بغير واحد ولما رأى بشر رضي الله تعالى عنه ذلك قدم المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى وعشرين امرأة وفي لفظ إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم إلى المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الأهتم ورباح بكسر الراء المشناة تحت ابن الحارث فلما رأوهم بكى إليهم النساء والذراري فجاءوا إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد أن دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطنوه فجاءوا من وراء الحجرات فنادوا أي بصوت جاف اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك فإن مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج إلينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضي الله تعالى عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم أي قالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد أي بعد أن قالوا ما تقدم ومنه إن مدحنا لزين وإن شتمنا لشين نحن

أكرم العرب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتكم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له فائذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفي لفظ إنني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطار د بن حاجب

وفي لفظ قال الأقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذا ذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب أي فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤوس الناس وأولى فضلم فمن فاخر فليعدد مثل عددنا وإنا لو شئنا

لأكثرنا وإنما أقول قولتي هذا لأن يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس أي وفي رواية أنه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الأرض وأكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه أي قال له قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه لم يكن شيء قط إلا من فضله ثم إنه كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدق قلبا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن رسول الله لي المهاجرون من قومه وذوو رحمة أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الناس إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولتي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم

أي وفي رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاما فأجابوه والحمد لله الذي جعلنا أنصاره

ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها  
منع منا نفسه وماله ومن أباه قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هينا أقول قولي هذا  
وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات  
ثم قال الزبرقان لرجل منهم فقم يا فلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال  
أبياتا منها

\* نحن الكرام فلا حي يعادلنا

\* نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع

\* إذا أبيننا فلا يأتي لنا أحد

\* إنا لذلك عند الفخر نرتفع

\*

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بحسبان بن ثابت فحضر فقال له قم فأجبه  
فقال يسمعي ما قاله فأسمعه فقال حسان رضي الله تعالى عنه أبياتا منها

\* نصرنا رسول الله والدين عنوة

\* على من رجم عات بعيد وحاضر

\* وأحيأونا من خير من وطئ الحصا

\* وأمواتنا من خير أهل المقابر

\*

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب  
فوجده في منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك قال أحشى أن أكون من أهل  
النار لأنني رفعت صوتي فوق صوت النبي فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فأعلمه فقال اذهب إليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال  
صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه  
درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت  
في منامه فقال له إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت مر  
بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس عند خبائه فرس وقد كفا  
على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدًا فمره فليأخذها فإذا قامت المدينة على  
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقل له إن علي  
من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدًا فأخبره فبعث  
إلى الدرع فاتى بها بعد أن وجدها على ما وصف وحدث أبا بكر رضي الله تعالى عنه  
برؤياه فأجاز وصيته قال بعضهم ولا يعلم أحد حدثت وصيته بعد موته سواه

(۲۱۸)

ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وبين حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه كل  
منهما يذكر قصيدة يذكر فيها فخرا فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها  
\* نحن الكرام فلا حي يعادلنا  
\* منا الملوكة وفينا تنصب البيع  
ومن قصيدة حسان رضي الله تعالى عنه وهو مطلعها  
\* إنا أئبنا ولم يأبى لنا أحد  
\* إنا كذلك عند الفخر نرتفع  
\*

وفيه أن هذا البيت من قول بعض بني تميم وقد أسمعته لحسان كما تقدم فليتأمل  
ووقعت مفاخرة بين الأقرع بن حابس وبين حسان رضي الله تعالى عنه فقال الأقرع ابن  
حابس إني والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال له صلى الله عليه وسلم هات  
أنشد

\* أئيناك كيما يعرف الناس فضلنا  
\* إذا خالفونا عند ذكر المكارم  
\* وإنا رؤوس الناس من كل معشر  
\* وأن ليس في أرض الحجاز كدارم  
\*

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال  
\* بني دارم لا تفخروا إن فخركم  
\* يعدو وبالا عند ذكر المكارم  
\* هبلم علينا تفخرون وأنتم  
\* لنا حول من بين ظئر وخادم  
\*

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما  
كنت ترى أن الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد  
عليهم من قول حسان رضي الله تعالى عنه وحينئذ قال الأقرع بن حابس لخطيبه يعني  
النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم  
أعلى من أصواتنا أي ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله  
وأنت رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا ورأى  
النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله لي من  
الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا  
يرحم

قال ابن دريد رحمه الله اسم الأقرع نواس وإنما لقب الأقرع لقرع كان في رأسه

والقرع انحصاص الشعر و كان رضي الله تعالى عنه شريفا في الجاهيلة والاسلام ونزل

فيهم أن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم

ووقع أن عمرو بن الأهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو إنه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي لفظ أن الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم فقال عمرو إنه لشديد العارضة مانع لجنبه مطاع في ناديه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو أنا احسدك والله إنك للئيم الخال حديث المال أحق الوالد مبغض في العشيرة فعرف عمرو الإنكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت وفي رواية والله يا رسول الله لقد صدقت فيهما أَرْضَانِي فقلت أحسن ما علمت وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وجاء إن من لبيان سحرا وإن من العلم جهلا وإن من الشعر حكما وإن من القول عيا

قال بعضهم أما قوله صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله إن من العلم جهلا فإن العالم يكلف ما لا يعلم فيجهله ذلك وأما قوله إن من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والأمثال وأما قوله وإن من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه هذا كلامه

وفيه إن هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا وإنما هو من السحر الحلال ومن ثم أقر صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عليه ولم يسخطه منه فالسحر المذموم أن يصور الباطل في صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الإطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لأن البيان بعبرة مقبولة عذبة لا استكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين إلى ماموه به

ثم إنه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الأسارى والسبي وأحسن جوائزهم قال أي بعد أن أسلموا وأعطى كل واحد اثني عشر أوقية قيل إلا عمرو بن الأهثم فإن القوم خلفوه في ظهورهم لأنه كان أصغرهم سنا فأعطاه خمس أواق وقد اختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل كانوا ثمانين وقيل كانوا تسعين انتهى

أي والذي في الاستيعاب ثم أسلم القوم وبقوا في المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أسراهم ونساءهم وقال أما بقي منكم أحد وكان عمر بن الأهثم في ركباهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا إلا غلام في ركبنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وبلغ عمرا ما قال قيس في حقه فأنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال إن شعره كان حلا منشورة وكان رضي الله

تعالى عنه جميلا يدعى الكحيل لجماله وهو القائل

\* لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

\* ولكن أخلاق الرجال تضيق

\*

هذا كلامه وأنزل الله تعالى \* (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) \* قيل معناه لا تجعلوا دعاء إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا إجابته بالأعدار التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن عظموه صلى الله عليه وسلم بسرعة الإجابة سرية قطبة بن عامر رضي الله تعالى عنه

إلى حي من خثعم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر في عشرين رجلا إلى حي من خثعم وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم أي سكت ولم يعلمهم بالأمر فجعل يصيح بالحاضر أي وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين وساقوا النعم والشاء إلى المدينة وجاء سهيل فحال بينهم وبين القوم فلم يجد القوم إليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

سرية الضحاك الكلابي رضي الله تعالى عنه  
في جمع إلى بني كلاب فلقوهم ودعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزمهم و كان  
من جملة المسلمين شخص لقي أباه في جملة القوم فدعاه إلى الإسلام فسبه وسب  
الإسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع فأمسك أباه إلى أن أتى بعض المسلمين فقتله  
أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث لبني كلاب وكتب إليهم في رق فلم  
ينقادوا للإسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم فلما بلغ النبي صلى الله  
عليه وسلم ذلك قال ما لهم أذهب الله عقولهم فصار لا يوجد أحد منهم إلا مختل  
العقل مختلط الكلام بحيث لا يفهم كلامه

سرية علقمة بن مجزز رضي الله تعالى عنهما  
بضم الميم وفتح الجيم وزاين الأولى مكسورة مشددة المدلجي أي وهو ولد القائف  
الذي قاف في حق زيد بن حارثة وأسامة رضي الله تعالى عنهما وقال إن بعض هذه  
الأقدام من بعض فهو صحابي ابن صحابي إلى جمع من الحبشة بلغ رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراءهم أهل جدة أي في مراكز وجدة بضم الجيم  
وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر لأن الجدة شاطئ  
البحر فبعث إليه علقمة بن مجزز رضي الله تعالى عنهما في ثلاثمائة فحاض بهم البحر  
حتى أتوا إلى جزيرة في البحر فهربوا أي ورجعوا ولم يلق كيدا ثم لما كانوا في أثناء  
الطريق أذن علقمة رضي الله تعالى عنه لجماعة ان يعجلوا وأمر عليهم أحدهم فنزلوا  
ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم أميرهم عزمت عليكم إلا توابتم أي  
وقعتم في هذه النار فقام بعض القوم فحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا  
إنما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم  
بمعصية الله فلا تطيعوه

قال وعن علي كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل  
عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء

فقال اجمعوا لي حطبا فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا فأوقدوها ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم إلى بعض وقال إنا فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة في معصية الله وإنما الطاعة في المعروف انتهى أي والضمير في دخولها للنار التي أوقدت والضمير في منها لنار الآخرة لأن الدخول فيها معصية والعاصي يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر

وفي رواية من أمركم منهم أي من الأمراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفي لفظ لا طاعة في معصية الله ولا مانع من تكرار هذه الواقعة سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

إلى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طيء والغارة عليهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء أبيض إلى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي أي واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الألف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث والسفانة في الأصل هي الدرة وهذه أسلمت رضي الله تعالى عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت إلا هذه ووجدوا في خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهي رسوب والمخدم واليماني وثلاثة أدراع وجعل الرسوب والمخدم صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذي هو اليماني

قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأخت عدي فقامت اليه وكانت امرأة جذلة أي ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم أن يمن عليها فمن عليها فأسلمت رضي الله تعالى عنها وخرجت إلى أخيها عدي فأشارت إليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه كما سيأتي في الوفود

ويذكر أنها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء من العرب فإنني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق

أي وفي لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت أن تمن علي ولا تفضحني في قومي فإنني بنت سيدهم إن أبي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الأخلاق حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فإن أباهما يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق

وفي رواية أنها قالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال ومن وفدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله أي لأنه هرب لما رأى الجيش كما سيأتي في الوفود قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى إذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لي مثل ذلك ففي اليوم الثالث أشار إلي رجل خلفه بأن كلميه فكلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك فأذنيني أي أعلميني وسألت عن الرجل الذي أشار علي بكلامه فقيل لي إنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال فصبرت حتى قدم علي من أثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام علي أخي انتهى سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى بلاد مذحج بفتح الميم وإسكان الذال المعجمة ثم جاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد أبو قبيلة من اليمن

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه إلى بلاد مذحج من أرض

اليمن في ثلاثمائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد فففرق أصحابه رضي الله تعالى عنهم فأتوا بنهب بفتح النون وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاء المهملتين ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى اجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من ورائنا من قومنا هذه صدقاتنا فنخذ منها حق الله تعالى وجمع علي كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة اجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقي على أصحابه ثم رجع علي كرم الله وجهه فوافي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج أي حجة الوداع وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم بعث علياً كرم الله وجهه في سرية إلى اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن إلى الإسلام قال في الأصل إن هذه السرية هي الأولى وما قبلها السرية الثانية سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانياً بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلى أكيدر بدومة الجندل وقال له إنك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قال فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد أكيدراً من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل وكان علي أكيدر قباء من

ديجاج مخصوصة أي فيها خوص منسوجه بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد إياها وأرسلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال صلى الله عليه وسلم لمنادبل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا أي وقد تقدم وصالح على أهل دومة الجندل بألفي بغير وثمانمائة راس وأربعمائة رمح ثم خرج خالد بأكيدر أخيه مصاد قافلا إلى المدينة فقدم بالأكيدز على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقق دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له كتابا فيه أمانهم وختمه يؤمئذ بظفره أي ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد ابن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها إلى آخره وهذا كما لا يخفى يدل على أن أكيدر أسلم أي وهو الموافق لقول أبي نعيم وابن منده إسلامه وأنه معدود من الصحابة وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب

وذكر ابن الأثير أي في أسد الغابة أن القول بإسلامه غلط فاحش فإنه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير أي وحينئذ يكون قوله في الكتاب حين أجاب إلى الإسلام أي انقاد إليه ويعدده قوله وخلع الأنداد والأصنام فليتأمل وأنه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد إلى حصنه وبقي فيه على نصرانيته ثم إن خالد رضي الله تعالى عنه حاصره في زمن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقتله لنقضه العهد

قال ابن الأثير وذكر البلاذري أن أكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد أي بعد أن عاد من العراق إلى الشام قال وعلي هذا القول لا ينبغي أن يذكر في الصحابة وإلا كان كل من أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد أي ومات مرتدا يذكر في الصحابة أي ولا قائل بذلك ثم رأيت الذهبي قال في عمارة بن قيس بن الحارث الشيباني إنه ارتد وقتل مرتدا في خلافة أبي بكر وبهذا خرج عن أن يكون صحابيا بكل حال

سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه إلى أبني  
بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة  
وفي كلام السهيلي رحمه الله وهي قرية عند مؤتة التي قتل عندها زيد بن حارثة رضي  
الله تعالى عنهما

لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقيين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة أمر صلى  
الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم أسامة ابن  
زيد فقال سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز  
صباحا على أهل أبني وحرقت عليهم واسرع السير لتسبق الأخبار فإن ظفرك الله عليهم  
فأقل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك  
فلما كان يوم الأربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم  
الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء بيده ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله  
وقاتل من كفر بالله فخرج رضي الله تعالى عنه بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة وعسكر  
بالجرف فلهم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا اشتد لذلك منهم أبو بكر  
وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم فتكلم قوم  
وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين والأنصار أي لأن سن أسامة رضي  
الله تعالى عنه كان ثمان عشرة وقيل تسع عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة  
ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية الذي يضرب به  
المثلي الذكاء وهو صبي خلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالة فقال المهدي  
أف لهذه العثانين اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت إليه المهدي  
وقال كما سنك يا فتى فقال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد ابن  
حارثة رضي الله تعالى عنهم لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبو بكر  
وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة  
ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق فليل له ما عيبك يا أبا وائلة قال كثرة  
الكلام وقيل كان عمر أسامة رضي الله تعالى عنه عشرين سنة

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلهم وطعنهم في ولايته مع حدثه سنة  
غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصاة وعليه  
قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن  
بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من  
قبله وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن  
أحب الناس إلى وإنهما منظمة لكل خير فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم وتقدم أنه  
رضي الله تعالى عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يمسح خشمه وهو صغير بثوبه

ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع  
الأول سنة إحدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله  
ويخرجون إلى العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول  
أرسلوا بعث أسامة أي واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس  
أي فلا منافاة بين القول بأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان من جملة الجيش وبين  
القول بأنه تخلف عنه لأنه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لما أمره صلى الله عليه  
وسلم بالصلاة بالناس

أي

وبهذا يرد قول الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه تخلف عن جيش  
أسامة رضي الله تعالى عنه لما علمت أن تخلفه عنه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم  
لأجل صلته بالناس وقول هذا الرافضي مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن  
جيش أسامة مردود لأنه لم يرد اللعن في حديث أصلا  
فلما كان يوم الأحد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من  
عسكره والنبى صلى الله عليه وسلم مغمور فطأ رأسه فقبله وهو صلى الله عليه وسلم  
لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة رضي الله تعالى عنه قال  
أسامة فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لي ورجع أسامة رضي الله تعالى عنه إلى  
عسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له صلى الله عليه وسلم اغد  
على بركة الله تعالى فودعه أسامة وخر إلى معسكره وأمر الناس بالرحيل فيبينما هو

يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن رضي الله تعالى عنها قد جاءه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وفي لفظ فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فاقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهم فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس أي وفي لفظ أنه رضي الله تعالى عنه لما نزل بزدي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزته عنده فلما بويح لأبي بكر رضي الله تعالى عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة وأن يمضي أسامة لما أمر به فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب أي فإنه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة وعند ذلك كلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه في منع أسامة من السفر أي قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أي وقال والله الذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفي لفظ والله لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشئ قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول ذكر بعضهم أن أسامة رضي الله تعالى عنه وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا عمر ارجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه أن يأذن له أن أرجع بالناس فإن معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله واثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت له الأنصار رضي الله تعالى عنهم فإن أبي بكر إلا أن يمضي أي الجيش فابلغه منا السلام واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلاً أقدم منا من أسامة فقدم عمر على أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر والله لو تخطفني الذئب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال عمر رضي الله تعالى عنه الله تعالى عنه فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنم يطلبون أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمروني أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه وفيه أن هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وإنكاره علي من طعن في ولاية أسامة إذ يبعد عدم بلوغ ذلك للأنصار رضي الله تعالى عنهم إلا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الأنصار لم يكونوا سمعوا بذلك ولا بلغهم أو جوزوا أن الصديق رضي الله تعالى عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه جوز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من طعن في ولاية أسامة رضي الله تعالى عنه فليتأمل والله أعلم

وكلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه أسامة في عمر رضي الله تعالى عنه أن يأذن له في التخلف ففعل ولعل ذلك كان تطيبا لخاطر أسامة ومن ثم كان عمر رضي الله تعالى عنه لا يلقى أسامة إلا قال السلام عليك أيها الأمير كما يأتي فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة خرج أسامة رضي الله تعالى عنه أي في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد أن سار إلى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال أسامة يا خليفة رسول الله إما أن تترك وإما أن أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضي الله تعالى عنه أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقد وقع نظير ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ رضي الله تعالى عنه إلى اليمن شيعه صلى الله عليه وسلم وهو يمشي تحت راحلة معاذ وهو يوصيه ثم أن أسامة رضي الله تعالى عنه سار إلى أهل أبي فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتها ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله تعالى عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه رضي الله تعالى عنهما

وأسهم للفرس سهمين وللفارسي سهمًا وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل واسرع السير وبعث مبشرا إلى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة رضي الله تعالى عنه واللواء بين يديه حتى انتهى إلى باب المسجد ثم أنصرف إلى بيته

أي وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فإنه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الإسلام

أي وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حتى بعد أن ولي الخلافة إذا رأى أسامة رضي الله تعالى عنه قال السلام عليك أيها الأمير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعك ما عشت الأمير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وفي السيرة الشامية سرايا آخر تركنا ذكرها تبعا للأصل وفي السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله تعالى عنه أن يحج بالناس وهو بمكة

وقد كان صلى الله عليه وسلم استعمله عليها لما أراد الخروج إلى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر أميرا على مكة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقره الصديق رضي الله تعالى عنه إلى أن توفي وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضي الله تعالى عنهما أي لأنه أطعم سم سنة في اليوم الذي أطعم فيه الصديق ذلك وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب في الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم في الموقف

ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على الحج فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم واشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله تعالى عنه خمس بدنات ثم تبعه علي كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء أي بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر ونسب للخطأ فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال

لا ولكن بعثني اقرا براءة على الناس وأبذ إلى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم كما تقدم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب إلى آجال مسماة

وفي كلام السهيلي رحمه الله تعالى لما أردف أبو بكر بعلي رضي الله تعالى عنهما رجع أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل أنزل في قرآن قال لا ولكن أردت أن يبلغ عني من هو من أهل بيتي فمضى أبو بكر رضي الله تعالى عنه فحج بالناس أي في ذي الحجة لا في ذي القعدة كما قيل من أجل النسب الذي كان في الجاهلية يؤخرون له الأشهر الحرم أي فإن براءة نزلت أي صدرها وإلا فقد نزل منها قبل ذلك في غزوة تبوك\* (انفروا خفافا وثقالا)\* الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي

ثم دعا صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر أي الذي هو يوم الحج الأكبر عند الجمرة الأولى وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني علي كرم الله وجهه أن أطوف في المنازل من براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقي فقيل له بماذا كنت تنادي فقال بأربع أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله عهد أربعة اشهر ثم لا عهد له وأول تلك الأربعة يوم النحر من ذلك العام ولا عهد له فعده إلى انقضاء المحرم

وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي كرم الله وجهه سترون بعد الأربعة اشهر فإنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك إلا الطعن والضرب

وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لأنهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك أي وتقدم سبب الإتيان بذلك ويطوف الرجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل فيقول الواحد

منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم أي وفي لفظ التي قارفنا فيها الذنوب  
وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب إلا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أيو يكثره وإذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه هو ولا أحد غيره أبدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللعنى  
وفي الكشف كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاعلا بأن يعرفوا من الذنوب كما يعرفون من الثياب  
وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت امرأة عريانة ويدها على قبلها وهي تقول  
\* اليوم يبدو بعضه أو كله  
\* فما بدا منه فلا أحله  
\*

فأنزل الله تعالى \* (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) \*  
فأبطلت ذلك سورة براءة في تلك السنة أي وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكان بنو عامر في أيام الحج لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجتهم فقال المسلمون فإننا أحق أن نفعل ذلك فقيل لهم \* (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) \*

ويحكى أن بعض الأطباء الحذاق من النصارى قال لبعض الحكماء ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علما علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في بعض آية من كتابه قال له وما هي قال قوله \* (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) \*  
فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم صلى الله عليه وسلم شيء من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال ذلك الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئا  
وبينت براءة أن من كان له عهد فعهد إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة

أشهر وفي لفظ لما لحق علي كرم الله وجهه أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال له أبو بكر أمير أو مأمور قال بل مأمور  
وزعمت الرافضة أنه صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن إمارة الحج بعلي وعبارة  
بعض الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام  
بوحى من الله وكيف يرضى العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي صلى الله عليه وسلم  
بوحى من الله لأداء عشر آيات من براءة هذا كلامه  
قال الإمام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر أن أبا بكر  
رضي الله تعالى عنه لم يعزل وأنه حج بالناس وكان علي كرم الله وجهه من جملة  
رعيته في تلك السفارة يصلي خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى  
الحج في ذلك العام  
وإنما أردف صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه بعلي كرم الله وجهه لنبذ  
العهود وكان من عادة العرب لا ينبذ العهد إلا المطاع أو رجل من أهل بيته أي فلوا تلا  
أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ربما تعللوا وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فأزاح الله عنهم بكون ذلك على  
يد رجل من بني أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدنى إليه ممن له ذرية وهو عبد  
المطلب قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم أي وعلى عادة العرب بما ذكر  
جاء قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عني إلا رجل من أهل بيتي كما تقدم وفي لفظ  
إلا رجل مني أي لا يبلغ عني عقد العقود ولا حلها إلا رجل مني أي من بني أبي الأدنى  
ولا أب له ذرية أدنى إليه صلى الله عليه وسلم من عبد المطلب  
ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الأحكام والقرآن إذ كل أحد من المسلمين مأذون له  
في تبليغ ذلك عنه صلى الله عليه وسلم  
وفي هذه السنة التي هي سنة تسع تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
حتى قيل لها سنة الوفود

باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم أي غير من تقدم فقد تقدم أنه قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النصرى وذلك في آخر سنة ثمان أي ووفد نصارى نجران أي قبل الهجرة ووفد بني تميم في سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد أن ذلك كان في المحرم سنة تسع

ووفد عليه وفد نصارى نجران أيضا بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوي أي وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب أي ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فإن تعطونها آخذها فقالوا نعم نعطيها ولما رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوقت نفوسهم إلى الدنيا فأنزل الله تعالى \* (قل أو نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) \* الآيات وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد أن حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فأراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتكم يمنعكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا أي لأن أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه الصلاة والسلام ابن الله لأنه لا أب له وقال له آخر المسيح هو الله لأنها أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم فغضبوا وقالوا إنما يرضينا أن تقول إنه إله وقالوا له صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيى الموتى ويشفي الأكمه والأبرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيا فتطير فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى \* (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) \*

وقوله تعالى \* (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) \* ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم إن الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن ابا هللكم أي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله علمتم أن الرجل نبي مرسل ومالا عن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أي أخذوا عن آخرهم وإن أنتم أبيتم إلا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم وفي لفظ أنهم ذهبوا إلى بني قريظة أي من بقي منهم وبني النضير وبني قينقاع واستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصلحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ أنهم وادعوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلي أي وعند ذلك قال لهم الأسقف إنني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني فقالوا لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو لاعتنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذا أي زيادة عائشة وحفصة في هذه الرواية دل عليه قوله تعالى \* (ونسأنا ونساءكم) \* وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على ألف حلة في صفر وألف في رجب ومع كل حلة أو قية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا له أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه وقال لهم هذا أمين هذه الأمة أي وفي رواية هذا هو القوي الأمين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنوني لمسحوا قردة وخنازير ولأضرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا

ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبو الهند الداري وتميم الداري وأخوه ونعيم وأربعة آخرون وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند

فنهضنا من عنده نتشاور في أي أرض نأخذ فقال تميم الداري رضي الله تعالى عنه نسأله بيت المقدس وكورتها فقال أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف ان لا يتم لنا قال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له فدعا بقطعة من آدم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبد الأبد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يحدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمييم الداري وأصحابه إني أنطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع ما فيهم نطية بيت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعده أبد الأبد فمن آذاهم آذاه الله شهد بذلك أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب نقل ذلك في المواهب وأقره وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة قال فيها حدثني تميم الداري وذكر خبر الجساسة أي لأن تميما رضي الله تعالى عنه أخبره صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء فلقي إنسانا يجر شعره فقال له من أنت قال أنا الجساسة قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال فإن ذلك خير لهم قال أفلا تخبروني عن عين ذعر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان العرب هل أطعم بتمر فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها فقال أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرج المحدثون في راية الكبار عن الصغار أي كما تقدم

ووفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الأشعريون صحبة أبي موسى الأشعري صحبوا جعفر بن أبي طالب من الحبشة وقال صلى الله عليه وسلم فيهم كما تقدم أتاكم أهل اليم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال في حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم والأشعري نسبة إلى أشعر واسمه نبت بن أدد ابن يشجب وإنما قيل له أشعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه قال لما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لأن قريشا كانت قادة العرب ودخلوا في دين الله أفواجا

قال في النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافداهم والوفد رسول القوم يقدمهم وقد يراد به ما هو أعم من ذلك فيشمل من قدم رسول الله وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه فإنه قدم على رسول الله

وسبب ذلك أن أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب في غنم لهما فقال لأخيه كعب بن أثبت في الغنم حتى أتى هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وآمن به وذلك أن أباهما زهيراً كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم أنه قد أن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير والدهما رضي الله تعالى عنهما أنه قد مد بسبب من السماء وأنه مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي بيعت في آخر الزمان وأنه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم إن أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا ولما اتصل ولما اتصل خبر إسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضي الله تعالى عنه إلى أخيه كعب بن زهير وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وأنه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجلا ممن كان يهجو من شعراء قريش وهرب بعضهم في كل وجه كابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب وأنه صلى الله عليه وسلم قال من لقي منكم كعب بن زهيرة فليقتله فإن كان لك في نفسك حجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا ولا يطالبه بما تقدم الإسلام وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك

وفي تصحيح الأنساب لابن أبي الفوارس أن زهير بن أبي سلمى قال لأولاده إنني رأيت في المنام سيبا ألقى إلي من السماء فمددت يدي لأتناوله ففأولته أنه النبي الذي يبعث في هذا الزمان وأنا لا أدركه فمن أدركه منكم فليصدقته وليتبعه ليهتدى به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بأمة هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لئن وقع كعب في يدي لأقطعن لسانه الحديث أي ولا مانع أن يكون ضم إلى هذا هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأرجف به أعداؤه وصاروا يقولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من مجيئه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها إرجاف أعدائه به رضي الله تعالى عنه التي مطلعها

\* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول \*

ثم خرج رضي الله تعالى عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فأشار له ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه فقام إلى أن جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ومن حضره لا يعرفه فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يا رسول الله أنا كعب بن زهير فوثب رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً فلما أنشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للأنصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من ذلك الأنصاري مما غاظه ولم يسمع من المهاجرين شيئاً يغيظه

وفيه أن هذا واضح إذا كان أنشأ ذلك في ذلك الوقت وأما إذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ما تقدم أنه عمل تلك القصيدة التي من جملتها ما ذكر فلا فعند ذلك غضب الأنصار فمدحهم بالقصيدة التي مطلعها

\* من سره كرم الحياة فلا يزل

\* في مقنب من صالححي الأنصار \*

أي ويقال إنه صلى الله عليه وسلم هو الذي حضه على مدحهم وقال له لما أنشدت بانت  
سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الأنصار لولا أي  
هلا ذكرت الأنصار بخير فان الأنصار أهل لذلك أي ولما أنشده صلى الله عليه وسلم  
بانت سعاد وقال  
\* إن الرسول لسيف يستضاء به  
\* مهنت من سيوف الله مسلول  
\*

ألقى صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن  
أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما من آل كعب بمال كثير أي بعد ان دفع لكعب فيها  
عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات  
كعب رضي الله تعالى عنه أخذها من ورثته بعشرين ألفا وتوارثها خلفاء بني أمية ثم  
خلفاء بني العباس اشتراها السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار أي بعد انقراض  
دولة بني أمية وكانوا يطرحونها على أكتافهم جلوسا وركبوا وكانت على المقتدر حين  
قتل وتلوثت بالدم

ويقال إن التي كانت عند بني العباس بردته صلى الله عليه وسلم التي أعطاها لأهل أيلة  
مع كتابه الذي كتبه لهم أمانا وذلك في غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضي الله  
تعالى عنه فقدت عند زوال دولة بني أمية وأما هذه البردة فلعل فقدها كان في فتنة التتار  
ثم رأيت ابن كثير رحمه الله تعالى إن معاوية رضي الله تعالى عنه اشترى البردة التي  
كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الأمويون  
والعباسيون حتى أخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد وقال هذا من الأمور المشهورة جدا  
ولكني لم أر ذلك في شيء من الكتب باسناد أرتضيه وصار كعب رضي الله تعالى عنه  
من شعرائه صلى الله عليه وسلم الذي يذبون عن الإسلام كعبد الله بن رواحة وحسان  
بن ثابت رضي الله تعالى عنهما الأنصاريين

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر  
وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه حتى أدركه صلى الله عليه  
وسلم قبل ان يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول  
الله

صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوك فقال له عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارم أي أول أولادهم وفي رواية من أبصارهم فخرج رضي الله تعالى عنه يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم أي لأنه رضي الله تعالى عنه كان فيهم محببا مطاعا فلما أشرف لهم على عليا ودعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله

وفي لفظ انه رضي الله تعالى عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام نصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يغشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ما ترى في دمك فقال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم إن مثله في قومه كمثل صاحب يس إنه قال لقومه \* (اتبعوا المرسلين) \*

الآيات فقتله قومه أي المذكورة في سورة يس وهو حبيب بن برى وقال السهيلي يحتمل أن المراد به صاحب إلياس فإن إلياس يقال في اسمه يس أيضا وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قره بن حصين أو ابن الحارث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني هلال بن عامر يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم إن ثقيفا أقامت بعد قتل عروة شهرا ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرف قد أسلموا فأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه في ذلك فأبي أن يفعل لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلّموا مسعود بن عبد ياليل ونسب قائله إلى الغلط فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشرف ثقيف أسلم غيلان بالعين المعجمة على عشرة نسوة وممن أسلم على عشرة نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبد الله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف

ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلاهم اشرف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يؤمئذ وفيه عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم عليه فلقية أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدمهم عليه ثم خرج المغيرة أي وعلمهم رضي الله تعالى عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا إلا تحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد أي ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا وكانوا يغدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند أسبابهم فكان عثمان إذا رجعوا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويسقرئه القرآن إذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وكان فيهم رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له إنا بايعناك فارجع وفي المرفوع لا تديموا النظر إلى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين هذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء في أحاديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ يده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه

وأجيب بأن الأمر باجتناب المجذوم إرشادي ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة على من قوي إيمانه وعدم جوازها على من ضعف إيمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقندي به فيأخذ القوي الإيمان بطريق التوكل والضعيف الإيمان بطريق الحفظ والاحتياط

وعند انصرافهم قالوا يا رسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فامر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقرأ القرآن وتعلم الدين ولقول الصديق رضي الله تعالى عنه له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحصرصهم على النفقة في الإسلام وتعلم القرآن

وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي قال أنت إمامهم وقال لي إذا أممت فأخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المؤمنين إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وحد يفعل شيئا من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضه كشفة وشفاه

وروى أبو داود والترمذي ألا إن صيد وج وعضاهه حرام محرم وكانوا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات أي وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقدمهم له فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا زالوا يسألونه سنة وهو يأبى عليهم حتى سأله شهرا واحدا بعد قدومهم وأرادوا بذلك ليدخل الإسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي وعند خروجهم قال لهم سيدهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكنتموا إسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم سأنا أموراً عظيمة ما ابينها عليه سأنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمور شداذا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا ابدا فقالوا لهم أصلحوا وتهيئوا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم القى الله الرغب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا من طاقة فارجعوا إليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه واسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول

الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى  
عنهما لهدم الطاغية

وفي رواية لما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث صلى الله عليه وسلم  
معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف  
أراد المغيرة رضي الله تعالى عنه ان يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال  
ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أي الفأس العظيمة  
التي يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمي كما رمى عروة وخرج نساء  
ثقيف حسرا أي مكشوفات الرؤوس حتى العواتق من الحجال ييكن على الطاغية  
قال وفي رواية يظنون أنه لا يمكن هدمها لأنها تمنع من ذلك وأراد المغيرة رضي الله  
تعالى عنه أن يخسر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فألقى نفسه لما علا  
على الطاغية ليهدمها وفي لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعده الله  
المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها

وفي رواية لما أخذ المعول وضرب به اللات ضربة صالح وخر لوجهه فارتج الطائف  
بالصياح سرورا وإن اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رايت يا مغيرة  
دونكها إن استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم ويقول  
لهم يا خبيثاء والله ما قصدت إلا الهزؤ بكم  
وفي رواية فوثب وقال لهم قبحكم الله إنما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله  
واعبدوه ثم أخذ في هدمها اه فهدمها بعد أن بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها  
وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبني الأساس فليخسفن بهم وأخذ مالها وحليها  
فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا  
سفيان أن يقضي دين عروة والأسود أخاه من مال الطاغية فقضاه فإن أبا مليح بن عروة  
ابن مسعود قارب ابن عمه بن الأسود أخو عروة بن مسعود سأل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في ذلك كان قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت  
ثقيف عروة ابن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم قد  
أجاب أبا مليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب بن الأسود وعن الأسود يا رسول  
الله فإن عروة

والأسود أخوان الأب وأم فقال صلى الله عليه وسلم إن الأسود مات مشركا فقال قارب يا رسول الله إنما الدين علي وأنا الذي أطلب به  
ومن الوفود وفد بني تميم وقد تقدم ذكره أي في الكلام على سرية عيينة بن حصن  
الفزاري إلى بني تميم وفي ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الأهمم والأقرع بن  
حابس والزبرقان بن بدر

وذكر في الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم وقيس بن عاصم فأسلم وذلك في سنة تسع  
فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما  
مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم قال من  
قيس بن عاصم رايته يوما قاعدا بنفاء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتى برجل  
مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا  
قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك  
وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا  
بني فوار أحاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة  
وكان قيس بن عاصم رضي الله تعالى عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية  
وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فصار يخاطبه  
وأعطى الخمار مالا كثيرا فلما افاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال في ذمها أبياتا  
كثيرة

ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال لهم يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني إذا  
مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم  
بإصلاح المال فإنه منبة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر  
كسب الرجل فإذا مت فلا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه  
وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

\* فما كان قيس هلكه هلك واحد

\* ولكنه بنيان قوم تهدما

\*

وتقدم انهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا ثلاثا  
مرات فخرج إليهم آخر ما تقدم

ومنها وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أي هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم وكان مناديه بسوق عكاظ هل من راجل فتحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمته وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأريد وهو أخو ليبيد الشاعر إذا قدمنا على هذا الرجل فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا فاسلم فقال والله لقد كنت آليت أي حلفت أن لا أنتهي حتى تتبع العرف عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفي من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويبتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء

وفي رواية لما أتاه صلى الله عليه وسلم عامر وسده أي القى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه وسلم أسلم يا عامر فقال له عامر إن لي إليك حاجة قال أقرب مني فقرب منه حتى حنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن قوله خالني أي اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لأربد إني اشاغل عنك وجهه قال وذكر أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم يا عامر فقال أتجعل لي الأمر بعدك أن أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء أي وقال له يا محمد أسلم على أن لي الوبر ولك المدر فقال لا فقال ما لي إن أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل

قال السهيلي وجعل أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه يضرب في رءوسهما ويقول اخرجها أيها الهجرسان أي القردان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى أنا خير منك ومن أبي لأن أبي كان مشركا وأنت مشرك

ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله عليهم ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله اه أي ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو اسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وأني شئت

وفي البخاري أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولى أهل الوبر وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشتقر وألف وشقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به والله ما على وجه الأرض من رجل أخافه على نفسي منك أبدا وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفاضرك بالسيف أي وفي رواية إلا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على قائم السيف بيست فلم أستطع أن أحركها وفي رواية لما أردت سل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل فاغر فاه بين يدي يهوى إلى فوالله لو سللته لخفت أن يبتلع رأسي ويمكن الجمع بأن ما في الرواية الأولى كان بعد أن تكرر منه الهم وما في الرواية الثانية كان بعد أن حصل منه هم آخر وكذا يقال في الثالثة وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه أي وفي لفظ حلقه أي وأوى لبيت امرأة سلولية من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم

وفي كلام السهيلي إنما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لأنها منسوبة إلى سلول بن صعصعة والطفيل من بني عامر بن صعصعة أي فهي تأسف عليه وصار يأسف الذي كان موته ببيتها وصار يمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة أي أغد عدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من بني السلول اثتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا

أي ويذكر أنه صار يقول ابرز يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي أي أي لأقاتلك وهذا يدل على أن موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء في رواية فخرج حتى

إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يحول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا ويحتاج للجمع بينه وبين قول الأوزاعي قال يحيى فمكث رسول الله صل يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحبا على قومهما فقالوا لأربد ما وراءك يا أربد فقال لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شئ لوددت أني عنده الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقاتته هذه بيوم أو يومين معه جملة يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة أحرقتهما أي وذلك في يوم صحو قائل وأنزل الله تعالى قوله \* (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) \* وأما جبار بن سلمى الذي هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر

ومنها وفود ضمام بن ثعلبة أي وقيل وفد في سنة خمس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا أعرابي من أهل نجد نثر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول الحديث أي جاء على جمل وأناخه في المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب أي وفي رواية أيكم محمد قالوا هذا الأمغر المرتفق أي الأبيض المشرب بحمره المتكى على مرفقه فدنا منه صلى الله عليه وسلم فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة قال سل عما بدا لك أي وفي رواية لمغلظ عليك في المسئلة فلا تجد علي في نفسك ما لا أجد في نفسي فقال سل ما بدالك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك بفتح الهمزة برب من قبلك ورب من بعدك وفي رواية بالذي خلق السماوات والأرض ونصب هذه الجبال قال اللهم نعم قال وفي رواية أنه قال له قبل ذلك آله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا أن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال أنشدك بالله آله أمرك أن نصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشد بالله آله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آله أمرك أن تصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آله أمرك أن يحج

هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فأنا قد آمنت وصدقت وأنا ضمام ابن ثعلبة

أقول وهذا السياق يدل على أن وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ما سبق أنه كان في سنة خمس ومن ثم استبعده ابن القيم قال والظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة

وفيه أن الذي جزم به إسحاق وأبو عبيدة أنه وفد في سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ومن ثم جاء ذكر الحج في مسلم ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا الحديث لأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنما قدم المدينة بعد الفتح فلما أن ولي ضمام رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل أي بضم القاف صار فقيها وبكسرهما فهم في لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما رأيت أحدا أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة أي وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فما سمعنا بوافد وقد كان أفضل من ضمام

ولما رجع ضمام رضي الله تعالى عنه إلى قومه قال لهم إن الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا أستنقذكم به مما كنتم فيه

قال وفي رواية أن أول شيء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرض تق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم والله إنهما لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولا إلى آخر ما تقدم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة إلا وأسلم

ومنها وفد عبد القيس وفيهم الجارود وكان نصرانيا أي قد قرأ الكتب فقال أبياتا مخاطبا بها النبي صلى الله عليه وسلم منها

\* يا نبي الهدى أتاك رجالا

\* قطعت فدفدا وآفالا

\* تتقي وقع شر يوم عبوس

\* أوجل القلب ذكره ثم هالا

\*

الدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل وكانوا ستة عشرة فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الإسلام فقال يا محمد إني

كنت على دين وإني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك أن قد هداك إلي ما هو خير لك منه فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه فقال يا رسول الله يحال بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين أي من الإبل والبقر مما يحمي نفسه أفتبليغ عليها أي نركبها إلى بلادنا قال لا إياك وإياها وإنما تلك حرق النار أي لهبها كذا في الأصل

وفي السيرة الهشامية أن الجارود إنما وفد مع حلف له يقال له سلمة بن عياض الأزدي وأن الجارود قال لسلمة إن خارجا خرج بتهمته يزعم أنه نبي فهل لك أن تخرج إليه فإن رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضم كل واحد مناه ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري إنه إن أخبرنا بها إنه لنبي يوحى إليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك به ربك يا محمد قال بشهادة أن لا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند أو دين يعبد من دون الله وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا بغير إحداد \* (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) \* قال الجارود يا محمد إن كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم خففة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف العرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فإنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وإن دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الإسلام ألا وأن أفضل الصدقة أن تمنح أحاط ظهر دابة أو لبن شاة فإنها تغدو برفده وتروح بمثله وأما أنت يا سلمة فإنك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الأوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبدة الأوثان فإن الله تعالى يقول \* (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) \* وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأواخر من رمضان فإنها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم يجبر أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم فقلا نشد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله انتهى

وذكر في السيرة الهشامية في وفد عبد القيس أنه كان قبل فتح مكة وذكر ما حصله أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه إذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية ليستبين ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله تعالى عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشرة راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما إن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم أنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادوا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دمامته فقال يا رسول الله إنه لا يستقى أي يشرب في مسوك أي جلود الرجال وإنما يحتاج الرجل من أصغر به لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فيك خلتين يخبهما الله ورسوله الحلم والأناة فقال له رسول الله أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال لا بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الأناة على وزن قناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة

وفي رواية أنهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة أي وهو المراد بما في بعض الروايات ربيعة فإنه من التعبير عن البعض بالكل وفي البخاري في الصلاة إن هذا الحي من ربيعة أي إن هذا الحي من ربيعة وهو في الأصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لأن بعضهم يحيا ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم أي صادفتم رحبا بضم الراء أي سعة وأول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم قالها

لابنة عمه أم هانئ رضي الله تعالى عنها وقال لعكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه  
مرحبا بالراكب المهاجر وقال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها مرحبا بابنتي وقال  
لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام

ثم قال لهم صلى الله عليه سلم غير خزايا ولا ندامى أي حالة كونكم سالمين من  
الخزي ومن الندم وفي لفظ مرحبا بالوفد الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى أنا حجيح  
من ظلم عبد القيس فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقعة يبعده أي من سفر بعيد لأن  
مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من  
كفار مضر وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام أي وفي لفظ إلا في الشهر الحرام وهو  
كمسجد الجامع ونساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به في بعض الروايات  
وقال بعضهم وفي هذا دليل على أن الأعمال الصالحة تدخل الجنة إذا قبلت وقبولها يقع  
برحمة الله لأن مضر كانت تبالغ في تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الأشهر الحرم  
ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل أي فاصل بين الحق والباطل فقال أمركم  
بأربع أي خصال أربع أو جمل أربع

ففي بعض الروايات قالوا حدثنا بجمل من الأمر وأنهاكم عن أربع أمركم بالإيمان بالله  
أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أي وفيه أن القوم  
كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة

ووقع في البخاري في الزكاة زيادة واو قبل شهادة وهي زيادة شاذة لم يتابع عليها  
روايتها وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس أي لأنهم  
كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الأربع وم ثم قال بعضهم هو معطوف  
على قوله بأربع أي أمركم بأربع وبأن تعطوا ومن ثم غاير في الأسلوب  
وفي مسلم أمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة  
وصوموا رمضان وأعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض على  
الصحيح كما قال الحافظ الدمياطي رحمه الله وهو بناء على الأصح أنه فرض سنة ست  
وقول الواقدي إن قدوم وفد عبد القيس كان في سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر  
بعضهم أن لعبد القيس وفدين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة

بعده ومن ثم جاء ذكر الحج في مسند الإمام أحمد وهو وأن تحجوا البيت وإله لم يتعرض في هذه الرواية لعدد أي لقوله أربع ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم وأنهاكم عن أربع عن الدبا أي القرع أي عما ينبذ فيها والحنتم وهو جرار مدهونة بدهان أخضر أي عما ينبذ فيها أي وقيل والحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر أي ما ينبذ في ذلك والمزفت ما طلى بالزفت أي عما ينبذ فيه وفي رواية زيادة على ذلك والقيير ما طلى بالقار وهو نبت يحرق إذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت زاد في رواية وأخبروا بهن من واءكم أي من جئتم من عندهم ومن يحدث من الأولاد قالوا فيم نشرب يا رسول الله قال في أسقية الأدم أي الجلود التي يلاث أي يربط على أفواهما قالوا يا رسول الله إن أرضنا كثير الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها أسقية الأدم قال وإن أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الأشج يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة وأنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه فأوماً صلى الله عليه وسلم بكفيه وقال له يا أشج إن رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى إذا ثمل أي سكر أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان القوم رجل وقع له ذلك أي وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك أي وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبي لأغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام السهيلي فعجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم وإشارته إلى ذلك الرجل هذا كلامه أي وفي رواية أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا يا رسول الله إن أرضنا وخمة لا يصلحها إلا النبيذ قال فلا تشربوا في النقير فكأنني بكم إذا شربتم في النقير قال بعضكم إلى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لا يزال يعرج منها إلى يوم القيامة فضحكوا فقال صلى الله عليه وسلم ما يضحككم قالوا ولقد شربنا في النقير فقام بعضنا على بعض بالسيوف فضرب هذا ضربه بالسيوف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمر تدعونها كذا وتمر تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبي وأنت وأمي يا رسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن أرضكم رفعت إلى منذ قعدتم أي فنظرت من أدناها إلى أقصاها وقال لهم خير  
تمركم البرني يذهب بالداء ولاداء ومعه أي وإنما اقتصر صلى الله عليه وسلم في  
المناهي على شرب الأنبذة في الأوعية المذكورة مع أن في المناهي ما هو أشد في  
التحريم لكثرة تعاطيهم لها

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى النهي عن الانتباز في هذه الأوعية بخصوصها  
أنه يسرع فيها الإسكار فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك  
كان في عبد القيس أبو الوازع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال ولما ذكروا للنبي صلى  
الله عليه وسلم أنه ابن أختهم قال ابن أخت القوم منهم وكان فيهم ابن أخي الوازع  
وكان شيخا كبيرا مجنوننا جاء به الوازع معه ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح  
ظهره ودعا له فبرأ لحينه وكسى شبابا وجمالا حتى كأن وجهه وجه العذراء  
وجاء أنه صلى الله عليه وسلم زودهم الأراك يستاكون به وذكر أنه كان فيهم غلام  
ظاهر الوضأة فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال إنما كان خطيئة  
دواد عليه الصلاة والسلام النظر

ومنها وفد بني حنيفة مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
جالسا في أصحابه رضي الله تعالى عنهم معه عسيب من عشب النخل في رأسه  
خويصات فلما انتهى مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب  
كلمة وسأله أن يشركه معه في النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني  
هذا العسيب ما أعطيتكه

وقيل إن بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله إنا  
قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فأمر صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لواحد  
من القوم وهو خمس أواق من فضة وقال أما إنه ليس بشركم مكان فلما رجعوا إليه  
أخبروه بما قال عنه فقال إنما قال ذلك لأنه عرف أن لي الأمر من بعده فلما رجعوا  
وانتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب وادعى أنه أشرك معه صلى الله عليه  
وسلم في النبوة وقال لمن وفد مهم ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما انه ليس بشركم  
مكانا

ما ذاك إلا لما كان يعلم أنني أشركت معه في الأمر أي وهو صلى الله عليه وسلم إنما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه هذا

وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله تعالى عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها أي فإنه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه أنه قال إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته وإني لأراك الذي منه رايت وهذا قيس يجيبك عني ثم أنصرف

والذي رآه منه صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أن في يده سوارين من ذهب قال فأهمني شأنهما فأوحى الله إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما طليحة العيس صاحب صنعاء ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فإنما كلا منهما ادعى النبوة في حياته صلى الله عليه وسلم وكان طليحة العبسي يقول إن ملكا كان يقال ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال لقد ذكر مالكا عظيما في السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى كان تابعا ومن ثم كان في حفظ الرحال والثانية كان متبوعا ولم يحضر أنفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الإكرام على عادته صلى الله عليه وسلم في الاستئلاف فأتى إلى قومه وهو فيهم كذا قيل

ولا يخفى أن قوله ولم يحضر يقتضى أنه لم يجرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المرتين وتقدم أنه جاء إليه صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أي ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ثم صار مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهديان يضاهاى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله علي الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا وقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزنا والثارذات ثردا واللاقمات لقما وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وقيل إنه لعنه الله طلب منه أن يتفل في بئر تبركا ففعل فملح ماؤها ومسح رأس صبي فصار أقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل في بنين له بالبركة فيهما فرجع الرجل إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب مسح على عيني رجل للاستشفاء بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا السياق يرشد إلى أنه كان برأس ذلك الصبي قرع يسير

فمسح عليه للاستشفاء ثم أظهر معجزة بزعمه وهو أنه ادخل بيضة في قارورة افتضح بأن البيضة بنت يومها إذا ألقيت في الخل والنوشادر يوما وليلة فإننا تمتد كالخييط فتجعل في القارورة ويصب عليها ماء فتجمد وبهذا يرد على من ورثاه من بني حنيفة بقوله

\* لهفي عليمك أبا ثمامة

\* كم أية لك فيهمو

\* كالشمس تطلع من غمامه

\*

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة

قال وكتب مسيلمة قبحة الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فقال من مسيلمة رسول اله إلى محمد رسول الله أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأمر وليس قريش قوما يعدلون وبعث رجلين فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسليمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين وإنما تقولان مثل ما يقول قالوا نعم قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى

ومنها وفد طيئ وفيهم زيد الخيل رضي الله تعالى عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أي ولو كان وجه التسمية يلزم اطراده لقليل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل فقد قيل إنه وفد على عبد الملك بن مروان وقاد إليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من تلك الأفراس إلى آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يميناً غير اليمين التي حلف بها على غيرها فقال عبد الملك عجبني من اختلاف أيمانه أشد من عجبني من معرفته بأنساب الخيل

وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا بليغا جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيت دونه ما قيل فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ أي ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير أي فإنه صلى الله عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للإيمان ثم قبض صلى الله عليه وسلم على يده فقال من أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل اشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم بل أنت زيد

(۲۵۶)

الخير ثم قال يا زيد ما أخبرت عن رجل قط شيئاً إلا رأيت ما أخبرت عنه غيرك أي وأجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشا أي واقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتاباً ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجهاً إلى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ينجو زيد من الحمى أي ما ينجو منها ففي أثناء الطريق أصابته الحمى أي وفيه لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى وفي رواية أن زيد الخيل لما قام من عنده صلى الله عليه وسلم وتوجه إلى بلاده قال صلى الله عليه وسلم أي فتى إن لم تدركه أم كلبة يعني الحمى والكلبة الرعدة وفي رواية ما قدم علي رجل من العرب يفضله قومه إلا رأيت دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد فإن ينج زيد من حمى المدينة فلأمر ما هو قال لما مات أقام قبيصة بن الأسود الناحة عليه سنة ثم توجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة ضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب انتهى وفي كلام السهيلي وكتب له كتاباً على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فذك هذا كلامه وقيل بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنهما ومنها وفود عدي بن حاتم الطائي حدث عدي رضي الله عنه قال كنت امرأ شريفاً في قومي أخذ المرباع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية أي وهو ربع الغنيمة كما تقدم فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كارهاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كما راعيا لإبلي لا أباً لك اعزل من إبلي أجمالا ذللاً سماناً فاحتبسها قريباً مني فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ففعل ثم إنه أتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيك محمد فاصنعه الآن فإني قد رأيت رايات فسالت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي التحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب أي سببت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكساها وحملها وأعطاهما نفقة وخرجت إلى أن قدمت على الشام فوالله إنني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طغينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فإذا هي هي فلما وقعت علي قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أي أخية لا تقولني إلا خيرا فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن نبيا فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله إن هذا للرأي أي ولعلها لم تظهر له إسلامها لئلا ينفر طبعه من قولها له إن يكن نبيا أي على الفرض والتنزل تحريضا له على اللحق به صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى جئته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لقائدني إليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفتها صلى الله عليه وسلم فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هو بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة بيده من آدم محشوة ليفاقدمها إلي وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لي ما معناه يا عدي بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا قلت إنني على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بديني قال نعم ألت من الركوسية ألت من القوم الذين لهم دين لأنه تقدم أنه كان نصرانيا فقلت بلى فقال أم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الأشراف من اخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك فقلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى تقول إنما اتبعه ضعفه الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله وفي لفظ فوالذي نفسي بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد وفي رواية ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية أي وهي قرية بينها وبين

الكوفة نحو مرحلتين على بغيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك إنما  
يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن  
تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي وقد رأيت المرأة  
تخرج من القادسية على بغيرها حتى تحج بالبيت وأيم الله لتكونن الثانية ليفيض المال  
حتى لا يوجد من يأخذه

ومنها وفود فروة بن مسيك المرادي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة  
مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها  
همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال الردم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما  
أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن لك لم  
يزد قومك في الإسلام إلا خيرا واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد وبعث  
معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقال فروة عند توجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

\* لما رأيت ملوك كندة أعرضت

\* كالرجل خان الرجل عرق نساها

\* فركبت راحلتي أوم محمدا

\* أرجو فواضلها وحسن ثوابها

\*

ومنها وفد بني زبيد بضم الزاي وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وفيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة  
شاعرا مجيدا قال لأبن أخيه قيس المرادي إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من  
قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول إنه نبي فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن  
كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك وإذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا  
علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو رضي الله عنه حتى قدم على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا قال خالفني وترك أمري  
ورأبي وتوعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

\* فمن ذا عاذرى من ذي سفاه

\* يريد بنفسه شد المزاد

\* أريد حياته ويريد قتلي

\* عذيرك من خليلك من مرادي

\*

(۲۵۹)

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو هذا مع الأسود العبسي ثم أسلم وحسن إسلامه وشهد فتوحات كثيرة أيام الصديق وأيام عمر رضي الله تعالى عنهما وعن ابن إسحاق قيل إن عمرو بن معد يكرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم قيس بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا

ومنها وفد كندة أي وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون أي وقيل ستون من كندة فيهم الأشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وفي الإمتاع وهو أصغرهم فلما أرداوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا أي سرحوا جملهم أي شعور رؤوسهم أي الساقطة على مناكبهم وتكحلوا ولبسوا عليهم جبب الحبرة أي بوزن عنبة برود اليمن المخططة قد كففوها أي سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند ذلك قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسيمك باسم قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم إنا خباننا لك خبنا فما هو وكانوا خبئوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والكهانة والمتكهن في النار فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم \* (والصافات صفا) \* حتى بلغ \* (برب المشارق والمغارب) \* ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا إنا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي فقال صلى الله عليه وسلم إن خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل

حد السيف إن زغت عنه هلكت ثم تلا صلى الله عليه وسلم \* (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) \* الآية ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ألم تسلموا قالوا بلي قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه منها وألقوه وفيه أنه هذا يخالف ما قاله فقهاؤنا معاصر الشافعية من جواز التسجيف بالحرير إلا

أن يقال الجواز مخصوص بأن لا يجاوز الحد اللائق بالشخص ولعل سجنهم تجاوزت الحد اللائق بهم وقد قال الأشعث له صلى الله عليه وسلم نحن بنو أكل المرار وأنت ابن أكل المرار يعني جدته أم كلاب فقد تقدم أنها من كندة وقيل إنما قال ذلك الأشعث لأن عمه العباس بن عبد المطلب كان إذا دخل حيا من أحياء العرب لأنه كما تقدم كان تاجرا فإذا سئل من أين قال أنا ابن أكل المرار ليعظم يعني انتسب إلى كندة لأن كندة كانوا ملوكا فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا نتنفى من آباءنا أي لا نتسب إلى الأمهات ونترك النسب إلى الأباء

والأشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا إلى الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أي فإنه حوصر ثم جرى به أسيرا فقال الصديق حين أراد قتله ستبني لحروبك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة فدخل سوق الإبل بالمدينة واختط سيفه فجعل لا يرى جملا إلا عرقبه فصاح الناس كفر الأشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت إلا أن الرجل يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه زوجني أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الإبل أثمانها قال وقال صلى الله عليه وسلم للاسعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد لي عند مخرجي إليك وددت ان لي به لسبعة فقال إنهم مبخلة مبلهة محزنة وإنهم لقررة العين وثمره الفؤاد انتهى ومنها وفد أزد شنوءه وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الأزد وفيهم سرد بن عبد الله الأزدى وكان أفضلهم فأمره صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن اسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل من قبائل اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى إذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحين وقيل باسكان الكاف فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين رضي الله تعالى عنهم إنما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى إذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

يرتادن أي ينظران الأخبار فيبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام إليه رجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال إنه ليس بكشر ولكن شكر قالوا فما شأنه يا رسول الله قال إن بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما فوجد قومهما قد أصيبوا في اليوم الساعة قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وعند إخبارهما لقومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حمى حول بلدهم

ومنها وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إليه صلى الله عليه وسلم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إليه صلى الله عليه وسلم بإسلام الحارث بن عبد كلال بضم الكاف

وقد اختلف في كون الحارث له وفادة فهو صحابي أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان أي باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة وأما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال وإلى النعمان ومعافر وهمذان أما بعد فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وإن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فإن محمدا النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن وفي الاستيعاب زرعة بن سيف ذي يزن وفي كلام الذهبي زرعة بن سيف ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك ابن مرارة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم بالخاء المعجمة

جمع محلاف وأبلغوها رسلي وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضيا اما بعد  
فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله  
ثم إن مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني انك قد أسلمت من أول حمير و قتلت  
المشركين فأبشر بخير و أمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء المثناة  
الفوقية وكسر الذال ويجوز ان يكون بفتح المثناة وفتح الذال محذوف إحدى التاءين  
فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته انما  
هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ  
الغيب وأمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
ومنها وفد رسول فروه بن عمرو الجذامي وفد رسول فروه إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الله عليه وسلم يخبره باسلامه واهدى له صلى الله عليه وسلم بغله بيضاء اى  
يقال لها فضة وحمارا يقال له يغفور و فرسا يقال لها الظرب و ثيابا وقباء مرصعا  
بالذهب

وكان فروه رضي الله عنه تعالى عاملا للروم على ما يليهم من العرب فلما بلغ الروم  
اسلامه اخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه اى بعد ان قال له الملك ارجع عن دين  
محمد ونحن نعيدك إلى ملكك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنك  
تعلم أن عيسى عليه السلام بشر به ولكنك تظن بملكك  
ومنها وفد بنى الحارث بن كعب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد  
رضي الله تعالى عنه إلى بنى الحارث بن كعب بنجران و امره ان يدعوهم إلى الاسلام  
قبل ان يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد  
رضي الله تعالى عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى  
الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فاسلموا فقام فيهم خالد بن الوليد رضي الله  
عنه تعالى عنهم يعلمهم الاسلام اى شرائعه وكتب إلى رسول صلى الله عليه وسلم  
بذلك فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل ويقبل معه وفدهم فاقبل رضي  
الله تعالى عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصه بالغين المعجمة اى لأنه  
كان في حلقه غصه لا يكاديبين الكلام منها وهى صفة لأبيه الحصين وربما وصف بها  
قيس قال في النور ويحتمل ان يقال له ذو الغصه وابن ذي الغصه لأنه وأباه كانت بهما  
الغصه وفيه بعد

وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بما كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدا أحدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم صلى الله عليه وسلم زيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنها أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الخزاعي وفد رفاعة بن زيد الخزاعي بالخاء المعجمة والزاي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فأسلم وحسن إسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة رضي الله تعالى عنه على قومه أجابوا وأسلموا

ومنها وفد همدان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك ابن نمط كان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة إلى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لأن تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم وفدوا إليه صلى الله عليه وسلم على الرواحل المهرية والأرحبية والمهرية نسبة إلى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والأرحبية نسبة إلى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز إي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول

\* إليك جاوزنا سواد الريف

\* في هبوات الصيف والخريف

\* مخططات بحبال الليف

ومن شعره

\* حلفت برب الراقصات إلى منى

\* صوادر بالركبان من هضب قردد

\* بأن رسول الله فينا مصدق

\* رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

\* فما حملت من ناقة فوق رحلها

\* أشد على أعدائه من محمد

\*

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه كذا في الأصل وفي الهدى روى البيهقي بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد



(۲۶۴)

ابن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى من ذكر يدعوهم إلى الاسلام فأقام ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ثم إنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع إليه وأن من كان مع خالد إن شاء بقي معي علي وإن شاء رجع مع خالد فلما دنا من القوم خرجوا إليه فصف علي كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا جميعا وكتب بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لأن همدان لم تكن تقاتل ثقيفا فإن همدان باليمن وثقيفا بالطائف أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد

ومنها وفد تجيب أي بضم المثناة فوق وتحتيته ويجوز الفتح وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وقد كانوا ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله إنا سقنا إليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا أي وفضل بفتح الضاد وكسرها قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة وأرادوا الرجوع إلى أهلهم فقبل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاقينا إياه وما ورد علينا ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل إليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فأرسلوه إلينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك أنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غناي في قلبي فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه  
ثم إنهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم إلا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لولا أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله إنني لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فعل الأجل يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام ذلك الغلام في قومه فذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه ولما بلغه ما قام به كتب إلى زياد بن الوليد أي وكان واليا على حضرموت يوصيه به خيرا ومنها وفد بن ثعلبة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة أي مقرين بالإسلام فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره إلينا فأسرعنا إليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام وقد قيل لنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا إسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم أي ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا الظهر ثم انصرف إلى بيته فلم يلبث أن خرج إلينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضايفته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم لما جاءوا يودعونهم صلى الله عليه وسلم قال لبلال أجزهم فأعط كل واحد منهم خمس أواق فضة أي والأوقية أربعون درهما ومنها وفد بني سعد هذيم من قضاة عن النعمان رضي الله تعالى عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد اوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطأة فهرا وغلبة وأزاح العرب أي استولى عليها

والناس صنفان إما داخل في الإسلام راغب فيه وإما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد أي وهو سهيل بن البيضاء لأنه صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجده على جنازة إلا عليه رضي الله تعالى عنه وما وقع له في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه مع أن فقهاءنا ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتى بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا فقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان رضي الله تعالى عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر صلى الله عليه وسلم بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا إلى قومنا

ومنها وفد بني فزارة وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الجعد بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالإسلام وهم مستنون أي توالى عليهم الجذب على ركائب عجاف أي هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا أي ما حولنا وغرثت أي جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا إلى ربك وليشفع لنا ربك إليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع إلى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا هو العلي العظيم وسع كرسيه أي علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه السماوات والأرض أي أحاط بالسماوات والأرض وهو دون العرش

كما جاء به الآثار فهي تتط أي تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أي من ثقل الحمل

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليضحك من شغفكم وأزلكم أي شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غيائكم فقال الأعرابي لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه أي الرفع البالغ في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء فرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى رأى بياض إبطيه أي وفي النور وقد جوزت وجهها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه في الاستسقاء يعني ظهور كفيه إلى السماء كما في مسلم أي فيكون التقدير لا يرفع ظهور كفيه إلى السماء إلا في الاستسقاء وأقول فيه أن هذا يقتضي أنه يفعل ذلك وإن كان استسقاؤه لطلب حصول شيء كما في دعائه صلى الله عليه وسلم في هذا الاستسقاء فإنه متضمن للحصول وقد ذكر في النور أن ما كان الدعاء فيه لطلب شيء كان يبطون الكفين إلى السماء والظاهر أن مستند ذلك استقراء حاله صلى الله عليه وسلم في الدعاء في الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم

ومما حفظ من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أسق بقطع الهمزة ووصلها بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أي مطرا مغيثا مربعا بضم الميم وإسكان الراء وبالموحدة مكسورة وبالعين المهملة مسرعا لإخراج الربيع مرتعا بالياء المثناة فوق من رتعت الدابة إذا أكملت ما شاءت طبقا أي مستوعبا للأرض منطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدمًا ولا غرقًا ولا محقا اللهم أسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء فقام أبو لبابة رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله التمر في المرابد أي وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن أبي لبابة ثلاثا مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا الغيث حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربدته أي المحل الذي يخرج منه ماء المطر بإزاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله ما رأينا الشمس سبتا أي من السبت إلى السبت الآخر وقام أبو لبابة رضي الله تعالى عنه عريانا يسد ثعلب مربدته بإزاره لثلا يخرج التمر منه

وفي بعض الروايات فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف الأنصار بأبي لبابة رضي الله تعالى عنهم يقولون له يا أبا لبابة إن السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو لبابة رضي الله تعالى عنه عريانا يسد ثعلب مربدته بإزاره فأقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوي لثلا يخرج منه التمر بحسب ما فهم ويكون قول الصحابة فوالله ما رأينا الشمس سبتا كان في قصة غيرها فخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل أو غيره والذي في الصحيح أنه الرجل الأول

وذكر بعض الحفاظ أنه خارجة بن حصن فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رأى بياض إبطيه وهو أي بياض الإبط معدود من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم علي الإكام بكسر الهمزة جمع أكمة وهي التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابي الصغار وبطون الأودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة أي أقلعت عن المدينة انجياب الثوب

أقول لعل هذا المطر كان عاما للمدينة وما حولها حتى وصل إلى محل هؤلاء الوفد وإلا فهم إنما طلبوا حصول المطر لمحلمهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحلهم إلا إذا كان قريبا بالمدينة بحيث إذا وجد المطر بها يوجد بمحلهم غالبا وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى إلى هذه القصة بقوله

\* ودعا للأنام إذا دهمتهم  
\* سنة من مخولها شهباء  
\* فاستلتهت بالغيث سبعة أيا  
\* م عليهم سحابة وطفاء  
\* تتحرى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء  
\* وأتى الناس يشتكون أذاها  
\* ورخاء يؤذي الأنام غلاء

د

\* فدعا فانجلى الغمام فقل في  
\* وصف غيث إقلاعه استسقاء  
\* ثم أثرى الثرى وقرت عيون  
\* بقراها وأحييت أحياء  
\* فترى الأرض عنده كسماء  
\* أشرق من نجومها الظلماء  
\* يخجل الدر واليواقيت من نو  
\* ر رباها البيضاء والحمراء

\*

ثم رأيت في الحدائق لابن الجوزي رحمه الله عن أنس رضي الله تعالى عنه قال أصابت

الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله ان يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة سحب فدار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجونة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود

ثم رأيت بعضهم قال أحاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وطاهاها أنه تعدد ففي بعضها أنه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها أنه صعد المنبر حين شكى اليه فخطب ودعا

وفي بعضها أنه خرج إلى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرج فيه ونصب له منبرا واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه صلى الله عليه وسلم أعرابي وقال له يا رسول الله أتيناك ومالنا بغير يئط ولا صغسير يغط ثم أنشد شعرا يقول فيه  
\* وليس لنا إلا إليك فرارنا  
\* وأين فرار الناس إلا إلى الرسل  
\*

فقام صلى الله عليه وسلم وسلم يجرد رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقى ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك تريد قوله  
\* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
\* ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
\* الأبيات

فقال صلى الله عليه وسلم وسلم أجل وفي رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا يا رسول الله قحط المطر ويس الشجر وهلك المواشي وأسنت الناس فاستسقى لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل

(۲۷۰)

أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي يتقلبه القحط إلى الخصب ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا وأغننا مغيثا رحيمًا واسعًا وجدا طبقًا مغدقًا عامًا هنيئًا مريئًا مرتبًا مرتعا وابلا سائلًا مسيلا مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير وأب غيثا اللهم تحي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحي به بلدة ميتا واسعة مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه إلى بعض ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة فأتاه صلى الله عليه وسلم المسلمون فقالوا قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤوس الظراب ومنبت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال صلى الله عليه وسلم لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله فقال الأبيات ومنها وفد بني أسد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من بني أسد منهم ضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه ومنهم بن عبد الله بن خلف وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون له ولد معها فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب منها ثم سقاه ثم قال اللهم بارك فيها وفيمن منحها قال يا رسول الله وفيمن جاء بها قال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمي بن عامر ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا أي وفي لفظ إن حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث إلينا وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل

الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم \* (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)\*  
وسألوه صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والتخرص على الغيب والكهانة وهي الإخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب الحصباء فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت فقال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه قال صلى الله عليه وسلم علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم أي وفي رواية لمسلم فمن وافق خطه أي عم موافق خطه فذاك أي يباح له وإلا فلا يباح له إلا بتبيين الموافقة  
أي وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه أي لأنه لا طريق لنا إلا إلى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو عملتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا إلى أهلهم  
ومنا وفد بني عذرة قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة أي وسلموا بسلام الجاهلية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من القوم فقال قائلهم من بني عذرة أي أخو قص لامة نحن الذين عضدوا قصيا وازاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا أي لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فستأنسوا ولا تستوحشوا ما أعرفني بكم قال ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم فما يمنعكم من تحية الإسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا وقالوا إلام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو ٢ إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أنني رسول الله إلى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن ظهورهن وتصليهن لمراقبتهن فإنه أفضل العمل ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل إلى ممتنع بلاده ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكاهنة أي فقد قالوا يا رسول الله إن فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون إليها أفنسألها عن أمور فقال صلى الله عليه وسلم

لا تسألوها عن شيء ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها إلى أصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرونا وقد أجزوا أي وكسا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدهم دابر

ومنها وفد بني بلى على وزن على مكبرا وهو حي من قضاة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من بلى منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويغ بن ثابت البلوي وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فاسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للإسلام فمن مات منكم على غير الإسلام فهو في النار

قال وفي رواية عن رويغ رضي الله عنه قال قدم وفد قومي فأنزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا عليه فقال صلى الله عليه وسلم رويغ فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم قلت قومي يا رسول الله قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالإسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهديه للإسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا وفدنا إليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حق ونخلع ما كنا نعبد وكان يعبد آباءؤنا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار انتهى وقال له أبو الضبيب يا رسول الله إن لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقه فقال يا رسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقه ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحوجك أي يضيق عليك أي وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للإثم أي تتكلم بسيء القول قال يا رسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض قال هي لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويغ ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن

غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا إلى بلادهم

ومنها وفد بني مرة وفد عليه صلى الله عليه وسلم وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة رأسهم الحارث بن عوف فقال يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي ابن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث أين تركت أهلك فقال بسلاح وما والاها فقال كيف البلاد فقال والله إنا لمستنون وما في المال مح أي صوت يردده فادع الله لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشرة أواق من فضة وفضل الحارث ابن عوف فأعطاه اثني عشر أوقية أي وهذا يفيد أن كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخصبت لهم بعد ذلك بلادهم

ومنها وفد خولان وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله وقد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها وحزون كفلوس وهو ما غلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما ذكرت من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة فقالوا يا رسول الله هذا السفر الذي لا توى عليه أي والتوى بفتح المثناة فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم أنس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا بشر بدلنا الله تعالى ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنة قالوا لقد رأيتنا بضم المثناة فوق واستتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا في غداة واحدة وتركناها يردّها السباع ونحن أحوج إليها من السباع فجاءنا الغيث من

ساعتنا لقد رأينا الغيث يوارى الرحال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من إنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمى زرعاً آخر حجرة أي ناحية الله فإذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس وإذا مالت الريح بالذي سميناه لعم أنس لم نجعله الله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل علي في ذلك \* (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً) \* الآية قالوا وكنا نتحاكم إليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار لمن جاؤوا وأن لا يظلموا أحداً فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشأ ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس ومنها وفد بني محارب وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوم إلى الله تعالى فجلسوا عنده يوماً من الظهر إلى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر إلى رجل منهم وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل إي والله رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ثم قال يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني فأحمد الله الذي جاء بي حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يا رسول الله استغري لي من مراجعتي إياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الإسلام يجب ما قبله يعني الكفر أي ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود ثم انصرفوا إلى أهلهم ومنا وفد صداء حي من عرب اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلاً من صداء

وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم هياً بعثاً أربعمئة من المسلمين استعمل عليهم قيس

ابن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهم ودفع له لواء أبيض ودفع إليه راية سوداء وأمره ان يطاء ناحية من اليمن كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد رضي الله تعالى عنهما وخرج الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فحباهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام وقالوا له نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع وسمى ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيئ الوفد بزياد بن الحارث الصدائي أي وذكر زياد أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك قال فقلت بلى من من الله عز وجل ومن رسوله قال وفي رواية بل الله هداهم للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أوأمرك عليهم فقلت بلى يا رسول الله فكتب لي كتابا بذلك فقلت يا رسول الله مر لي شيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر انتهى

قال زياد رضي الله تعالى عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزة أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في إداوتي أي وهي إناء من جلد صغير وفي رواية لا إلا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئت به قال صب نصبت ما في الإداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع صلى الله عليه وسلم كفه في الإناء فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أنني أستحي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا أي من غير أصل ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة في الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخا صداء

أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم يعني من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله إنه آخذنا بدحول كانت بيننا وبين قومه في الجاهلية أي وفي رواية آخذنا بكل شيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الإمارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل لم يكل قسمتها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فإن كنت جزءا منها أعطيتك إن كنت غنيا عنها فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن فقلت يا رسول الله هذان كتابك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قلت إنني سمعتك تقول لا خير في الإمارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غني فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من قومك أستعمله فدلته صلى الله عليه وسلم على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله إن لنا بئرا إذا كان الشتاء كفانا مأوها وإن كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والإسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته ففكرهن في يده الشريفة ثم دفعهن إلي وقال إذا انتهيت إليها فألق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة ومنا وفد غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين إلى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا إسلامهم ومنها وفد سلامان بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة منسوبون إليه بطن من الأزد وبطن من طيء وبطن من قضاة وهم هؤلاء

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمرو  
السلاماني فأسلموا

قال وعن خبيب رضي الله تعالى عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من  
المسجد إلى جنازة دعى إليها فقلنا السلام عليك يا رسول الله فقال وعليكم السلام من  
أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام ونحن على من وراءنا من  
قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألنا عن أشياء  
انتهى

قال خبيب رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال قال الصلاة في  
وقتها وصلوا معه صلى الله عليه وسلم يؤمئذ الظهر والعصر ثم شكوا له صلى الله عليه  
وسلم جذب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث في  
دارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك فإنه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا  
ثلاثة أيام وضيافته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا  
خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر إلينا بلال رضي الله تعالى عنه وقال ليس عندنا  
اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم  
الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنا وفد بني عبس وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من نبي عبس فقالوا  
يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش  
هي معاشنا فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي ينقصكم من أعمالكم شيئا  
وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا  
عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه  
عن خالد بن سنان وقال إنه نبي ضيعه قومه وجاء ليس بيني وبين عيسى عليه الصلاة  
والسلام نبي

أي وإذا صح شيء من الأحاديث التي ذكر فيها خالد بن سنان أو غيره يكون

معناه لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام نبي مرسل أي وتقدم ما في ذلك ومنها وفد النخع أي بفتح النون والنخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة إحدى عشرة في النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالإسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجبا أي وفي رواية رأيت رؤيا هالتني قالوا ما رأيت قال رأيت أتاناً نركبها في الحي ولدت جدياً أي وهو ولد المعز اسقع أحوى أي والأسقع الذي سواده مشرب بحمرة والأحوى الذي ليس شديد السواد ومن ثم فسر بالأخضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت أمة لك مصرة لك على حمل قال نعم قال فإنها تلد غلاماً وهو ابنك قال يا رسول الله فماله أسقع أحوى قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا أطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون في شحمة الأذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بضم الميم وسكون المهملة قال ذاك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورأيت عجوزاً شمطاء أي يخالط شعر رأسها الأبيض شعر أسود خرجت من الأرض قال تلك بقية الدنيا وقال ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى لظى بصير وأعمى أطموني أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس إمامهم ويشجعون اشتجار أطباق الرأس ويشجعون بالشين المعجمة وبالجميم أي يشتبكون في الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه يحسب المسىء فيها أنها محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أي وفي لفظ أحلى من شرب الماء البارد وإن مات ابنك أدركت الفتنة وإن مت أنت أدركها ابنك فقال يا رسول الله أني لا أدركها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وكان ممن جعل عثمان رضي الله تعالى عنه

قال وفي رواية أن النخع بعث رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم أرتاه بن شرحبيل من بني حارثة والأرقم من بني بكر فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الإسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل خلفتما وراء كما من قوكما مثلكما قالوا لا يا رسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك في النخع وعقد صلى الله عليه وسلم وأرطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضي الله تعالى عنه اه

وقوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم أن وفد النخع كان قدومه في سنة إحدى عشرة إلا أن يقال إن هذين وفدا قبل وفود ذلك الجمع وقد ترك الأصل التعرض لجملة الوفود وذكرت في السيرة العراقية والسيرة الهشامية تركناها تبعا للأصل

منها أن عمرو بن مالك وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فقالوا حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا فكان بينهم وبين بني عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بني عقيل قال عمرو فشددت يدي في غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه وسلم إن أتاني لأضرب ما فوق الغل من يده فلما جئت سلمت فلم يرد علي السلام وأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت يا رسول الله إن الرب عز وجل ليرضى فيرضى فأرض عني رضي الله تعالى عنك قال رضي

وتقدم أنه قد جاء في الصحيح لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله أعلم

باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام أي في الغالب وإلا فمنها ما ليس كذلك وهذه غير كتبه صلى الله عليه وسلم التي كتبها بالأمان التي تقدم ذكرها

أي ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يا رسول الله إنهم لا يقرءون كتابا إلا إذا كان مختوما أي ليكون في ذلك إشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح إذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به صلى الله عليه وسلم ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه رضي الله تعالى عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم كان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر

وفي حديث موضوع كان نقش خاتمه صدق الله وفي رواية شاذة أنه بسم الله محمد رسول الله والأسطر الثلاثة تقرا من أسفل إلى فوق فمحمد آخر الأسطر ورسول في الوسط الله فوق كذا قال بعض أئمتنا

قال في النور والذي يظهر لي أن هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى إذا ختم بها يختم على الاستواء كما في خواتم الكبراء اليوم وختم صلى الله عليه وسلم بذلك الخاتم الكتب وكان في يده الشريفة ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله تعالى عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه

وذكر أن هذا الخاتم الذي كان في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم كان الخاتم الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة

وأنه الذي كان في يد خالد بن سعيد فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد رسول الله قال اطرحه إلي فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان في يده ثم في يد أبي بكر الحديث

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فصه حبشي أي من جذع لأنه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل صنف من الزبرجد وأنه الذي نقش فيه محمد رسول الله وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عتيق

أي ولا ينافي ذلك وصفه بأنه حبشي لأن العتيق يؤتى به من بلاد الحبشة ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتما كله عتيق وفي الحديث تختموا بالعتيق فإنه مبارك تختموا بالعتيق فإنه ينفي الفقر

وقيل وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم في خنصر يده اليسرى وهو المروي عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين

وقيل كان في خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وطائفة ومنهم عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه قال بعضهم وهذا وراه عبيدة بن القاسم وهو كذاب أي وهو يخالف ما جمع به البغوي بأنه تختم أولا في يمينه ثم تختم به في يساره وكان ذلك آخر الأمرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمنى

قال الإمام النووي رحمه الله التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لأنه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أي ولأن ابن أبي حاتم نقل عن أبي زرعة أنه كان في يمينه صلى الله عليه وسلم أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وتقدم أن الخاتم الذي لبسه صلى الله عليه وسلم يوما ألقاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد

وقال قال صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الحديد مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحة ولعله لكون سلاسل أهل النار وأغلالهم وقيودهم من حديد أي ثم جاء وعليه خاتم من صفر أي من نحاس فقال مالي أجد فيك ريح الأصنام ولعل الأصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالي أرى عليك حلية أهل الجنة

أي المختص بإباحتها بأهل الجنة في الجنة قال يا رسول الله من أي شيء أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أي وزن مثقال لكن في رواية أبي داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهي تفيد أن الخاتم كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منها عنه

وفي الحديث ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد وفي كلام الشمس العلقمي ولا يكره كونه من نحود حديد ونحاس لحديث الشيخين الشمس ولو خاتما من حديد فليتأمل

وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على إرسال الكتب وتكلم مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس إن الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذي وجه إليهم

ذكر كتبه صلى الله عليه وسلم إلى قيصر المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه والدحية بلسان اليمن الرئيس

وقيصر معناه في اللغة البقير لأنه شق عنه لأن أم قيصر ماتت في المخاص فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أي لأن كل من ملك الروم يقال له قيصر

كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعو إلى الإسلام وبعث به دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه وأمره أن يدفعه إلى قيصر ففعل كذلك أي بعد أن قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابي هذا فيسير إلى هرقل وله الجنة

وقيل أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه إلى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه إلى قيصر ولما انتهى دحية رضي الله تعالى عنه إلى الحارث أرسل معه عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه ليوصله إلى قيصر فذهب به إليه فقال قومه لدحية رضي الله تعالى عنه إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله تعالى عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله قالوا إذن لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية رضي الله تعالى عنه وما هو فقال إن له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فضع صحيفة تجاه المنبر فإن أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه بالشام أي بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبية أي وكان أولها في ذي القعدة سنة ست

وقيل كتب إليه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم لقيصر مرتين والأول ما هو في الصحيحين والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الإمام أحمد أي وأغرب من قال إن الكتابة له كانت سنة خمس

قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر أي وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أي في بيت المقدس فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أي وهو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربي سلهم أيهم أقرب نسبا لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي أي وفي لفظ لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا إليه لأنه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري أي لأن عبد مناف هو الأب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لأبي سفيان أي وزاد في لفظ ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادن مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم سأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وإنما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبا

إن قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب إذا كذب قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يؤمئذ أن يردوا علي كذبا لكذبت ولكني استحيت فصدقت وانا كاره أي وفي رواية لولا مخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت أي لولا خفت أن ينقل عني الكذب إلى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي إياه ومحبتي نقصه وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو مناذ ونسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أين يقول ما قال قلت لا أي وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا في أمره لعله يطلب ملكا وشرفا كان لأحد من أهل بيته قبله قال هل كان من آباءه ملك قلت لا أي وزاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم أي والمراد باشراف الناس أهل النخوة وأهل التكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال

وعند ابن إسحاق رحمه الله تعالى تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأما ذوو الأحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر الأغلب أي الأكثر والأغلب أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهة له وعدم رضا به بعد أن يدخل فيه قلت لا ولا يقال هذا منقوض بما لعبد الله بن جحش حيث ارتد ببلاد الحبشة لأنه يرتد كراهية للإسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال فهل يغدر إذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندل عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر قد تقدم في أحد أن أبا سفيان رضي الله عنه قال يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب

وفي لفظ قال أبو سفيان انتصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم ببقر البطون وبجدع الآذان والأنوف والفروج وأشار بذلك إلى يوم أحد قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك به شيئا أي والذي

في البخاري يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهاها عما كان يعبد آباؤنا  
ويأمرنا بالصلاة والصدقة وفي لفظ والزكاة وفي لفظ جمع بين الصدق الصدقة والعفاف  
أي ترك المحارم وخوارم المرؤءة ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة  
فقال لترجمانه قل له إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل  
تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا  
تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت أنه لم يكن ليدع  
الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آباءه ملك فقلت لا  
فلو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم  
ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أي لأن الغالب أن أتباع الرسل أهل  
الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون  
وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه  
فزعمت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب إذا حصل به انشراح  
الصدر والفرح به لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه قلت نعم وإن حربكم وحربه  
دول وسجال يدال عليكم مرة وتداولن عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون له  
العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء  
بالعهد وأداء الأمانة أي وفي البخاري وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل  
لا تغدر أي لأنها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه إلا بالغدر فعلمت أنه نبي وقد  
كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وإن كان ما حدثني به حقا فيوشك أي  
يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين  
أي وذكر بعضهم أن هذا يدل على أن هذه الأشياء التي سألت عنها هرقل كانت عنده  
في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم  
وفيه أن هذا لا يأتي مع قوله ما تقدم إذ هو يقضي أن ذلك علامة على رسالة كل رسول  
ثم قال قيصر ولو أعلم أنني أخلص أي أصل إليه لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه  
أي وفي لفظ آخر لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم  
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى ولا عذر له في هذا لأنه قد عرف صدق النبي

صلى الله عليه وسلم وإنما شح بالملك فطلب الرياسة وآثرها على الإسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة  
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أو تفتن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب إليه أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومته في الدنيا والآخرة لسلم أو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله  
ثم قال ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا

قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقريء عليه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أي ولم يتبع الهدى فلا سلام عليه فليس في هذا بداءة الكافر بالسلام اما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أي بالكلمة الداعية للإسلام وهي كلمة التوحيد أي إليها فلا بد موضع إلى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لإيمانك بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم أو لإيمان أتباعك بسبب إيمانك فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين أي فلا حين القرى أي ومن ثم جاء في رواية إثم الفلاحين وفي رواية إثم الأكارين والأكار الفلاح لأن أهل السواد وما والاهم أهل فلاحه والمراد ثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك وخص هؤلاء بالذكر لأنهم أسرع انقيادا من غيرهم لأن الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع إثمك إثم رعاياك لأنه إذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم إسلامهم والفاعل لمعصية المتسبب لارتكاب غيره لها عليه الإثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلى الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون والواو في قوله صلى الله عليه وسلم ويا أهل الكتاب عاطفة على مقدر معطوف على قوله أدعوك والتقدير أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك يا أهل الكتاب

قيل وهذه الآية كتبها صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لأنها إنما نزلت في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست وقيل بعد نزولها لأن نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال فليتأمل

قال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا نفهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفاع الأصوات والصخب اختلاط الأصوات عند المخاصمة زاد البخاري فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الأصفر يخافه فما زلت موقنا أن سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام أي فأظهرت ذلك اليقين لا أنه ارتفع وفي لفظ فما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقد تقدم الكلام على كبشة وهو أن جد وهب لأمه أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة قال في شرح مسلم وهو الذي كان يعبد الشعري وأبو سلمة أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة وزوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وتقدم الكلام أيضا عن بني الأصفر ويروى أن أبا سفيان رضي الله تعالى عنه قال لقيصر لما سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا لكن أخبرك عنها أيها الملك خبرا تعرف به أنه قد كذب قال وما هو قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك فنظر إليه قيصر فقال ما أعلمك بهذا قال إني كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا إليه فقالوا لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت إليه فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب قال في النور الذي يظهر لي أنه الصخرة أي المراد بالصخرة في بعض الروايات كما قدمناه وإذا فيه أثر مربوط الدابة فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر فقال قيصر لقومه يا قوم أستم تعلمون أن بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى ابن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فإن الله جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث شاء أي وأمر بإنزال دحية وإكرمه وذكر أن ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك

صاحب الروم ألق به يعني الكتاب فقال له والله إنك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر هو حق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه أي وفي لفظ أن أخوا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل قد بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا فقال له قيصر إنك أحقق صغير أو مجنون كبير أترى أن تمزق كتب رجل قبل أن أنظر فيه ولعمري إن كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق أن يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم لقد صدق ما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه

ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي لفظ سيكون لهم بقية ولقد صدق الله ورسوله

فقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أمرائه إلى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعته فقبله وأكرمه وقال له لأتحفك بتحفة سنوية فأخرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة وفي لفظ قصبه من الذهب

فعن السهيلي رحمه الله تعالى قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبه من ذهب تعظيما له فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوراثه إلى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آباءم أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا أي ولا ينافيه ما جاء إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لأن المراد إذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق إلا ببلاد الروم

أي ويروى أن قيصر لما رجع من بيت المقدس إلى محل دار ملكه وهي حمص أي فإنه لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر أن يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب إلى بيت المقدس ماشيا بسط له البسط وطرح له عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك إلى أن وصل بيت المقدس كما سيأتي فلما رجع إلى حمص كان له فيها

قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا أن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الأجناد في سلاحها وطافت بصره تريد قتله فأرسل إليهم إني أردت اختبار صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه

والذي في البخاري أن قيصر لما سار إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد أغلقت فلما رأى قيصر نفرتهم وأيس من الإيمان منهم أي وقالوا له أئدعوننا أن نترك النصرانية ونصير عبيدا لأعرابي فقال ردوهم علي وقال إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على شدتكم على دينكم فقد رايت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه إني مسلم ولكنني مغلوب وأرسل بهدية لما قرىء عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل صلى الله عليه وسلم هديته وقسمها بين المسلمين ومصدق قوله صلى الله عليه وسلم أن قيصر بعد هذه القصة بدون سنتين قاتل المسلمين بغزوة مؤتة وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إليه أيضا من تبوك يدعوه وأنه قارب للإجابة ولم يجب وفي مسند الإمام أحمد أنه كتب من تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم إني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب إنه على نصرانيته وفي لفظ كذب عدو الله والله إنه ليس بمسلم

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فعلى هذا إطلاق صاحب الاستيعاب أنه آمن أي أظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعلم بمقتضاه بل شح بملكه وآثر العافية على العاقبة لعنه الله عليه أي لأنه تحقق كفره أي وقد ذكر حامل كتابه إليه صلى الله عليه وسلم قال جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهرائي أصحابه محتبيا فقلت أين صاحبكم قيل هو هذا فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال من أنت قلت أنا أحد تنوخ قال هل لك في الإسلام دين الحنيفية ملة إبراهيم قلت إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال \* (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) \* فلما فرغ من قراءة كتابي قال إن لك حقا وإنك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا قوم سفر

فقال رجل أنا أجوزه فأتى بحلة فوضعها في حجري فسألت عنه فقيل لي إنه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه  
ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة أي  
لأنه كان يتردد عليه كثيرا

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي وقيل أخاه خنيسا وقيل  
أخاه خارجة وقيل شجاع بن وهب وقيل عمر بن الخطاب رضي الله عنهم إلى كسرى  
وبعث معه كتابا مختوما فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى  
عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإنني أنا رسول الله إلى الناس  
كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم  
المجوس أي الذين هم أتباعك قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فأتيت إلى بابه  
وطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقرئ عليه فأخذه ومزقه

أي وفي رواية أن كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن بحامل  
الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه  
إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناولته الكتاب  
فدعا من يقرؤه فقرأ فإذا فيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى  
عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق  
الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى لك قعد  
على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم  
يجده فلما وصل إليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق  
كسرى ملكه

وكتب كسرى إلى بعض أمرائه باليمن يقال له باذان بلغني ان رجلا من قريش خرج  
بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إني برأسه يكتب إلي هذا  
الكتاب أي الذي بدأ فيه نفسه وهو أي وفي رواية إن تكفيني رجلا

خرج بأرضك يدعوني إلى دينه وإلا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث إليه برجلين جلددين  
فيأ تيانني به فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع قهر مانه  
وبعث معه رجلا آخر من الفرس وبعث معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره  
أن ينصرف معهما إلى كسرى فخرجا وقدا الطائف فوجدا رجلا من قريش في ارض  
الطائف فسألاه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم المدينة قال له  
شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث إلى الملك باذن يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك  
وقد بعثنا إليك فان أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك وكانا على زي الفرس  
من حلق لحاهم وإعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر إليهما ثم قال  
لهما ويلكما من أمركما بهذا قالوا أمرنا ربنا يعنينا كسرى فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولكن أمرني بي باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني  
غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على  
كسرى ابنه يقتله في شهر كذا في ليلة كذا فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر  
وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى باذان إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى يوم  
كذا من شهر كذا فلما أتى الكتاب باذان توقف وقال إن كان نبيا فسيكون ما قال فقتل  
الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه  
قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في تلك الرواية  
مجرد الوقت أي وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم لرسول باذان اذهب إلى صاحبك  
وقل له إن ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما  
أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله  
كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب  
وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة  
من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الأبيض فكنت  
أنا وأبي فيهم واصبنا نم ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه فيه  
اما بعد فقد قتلت كسرى ولم اقتله إلا غضبا لفراس فإنه قتل اشرافهم فتفرق الناس فإذا  
جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب  
إليك فيه فلا ترعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا

وفي رواية أنه قيل صلى الله عليه وسلم إن كسرى قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة  
على يد عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لأن المسلم يأتي بمعنى السلامة فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة أي العفيفة أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته وأن تتبعتني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى فلما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض ثم أسلم ودعا بحق من عاج أي وهو عظم الفيل وجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم

أي وفي كلام بعضهم وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فكان أو رسول وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه نزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق

وكتب إليه صلى الله عليه وسلم النجاشي أي جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو زاد في لفظ الذي هداني للإسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فورب

السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعث به إلينا وقد قر بنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم فاشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب وأسلمت على يده لله رب العالمين أي وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وذكر أن عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه قال للنجاشي أي عند إعطائه الكتاب يا اصحمة إن علي القول وعليك الاستماع إنكأ كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه ولم نحفظك على شرف قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجوز في ذلك موقع الخير وإصابة الفضل وإلا فأنت في هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كاليهود في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله إلى الناس فرجأك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله إنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخبر زاد بعضهم ولكن أعواني من الحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان والين القلوب

أقول كذا في الأصل وهو صريح في أن هذا المكتوب إليه هو الذي هاجر إليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك في السنة التاسعة والذي قاله غيره كابن حزم أن هذا النجاشي الذي كتب إليه صلى الله عليه وسلم وسلم الكتاب وبعث به عمرو بن أمية الضمري لم يسلم وأنه غير النجاشي الذي صلى الله عليه وسلم الذي آمن به وأكرم أصحابه وفي صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النجاشي الذي كتب إليه ليس بالنجاشي الذي صلى الله عليه ويرد بأنه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم كتب للنجاشي الذي عليه وللنجاشي الذي تولى بعده على يد عمرو بن أمية فلا مخالفة

ومن ثم قال في النور والظاهر أن هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لأصحمة الرجل الصالح الذي آمن به صلى الله عليه وسلم وأكرم أصحابه هذا كلامه وفيه أن رد الجواب على النبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب المذكور ورد على عمرو ابن أمية بقوله أشهد بالله إنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب إلى آخره إنما يناسب الأول الذي هو الرجل الصالح ويكون جواب الثاني لم يعلم وقد تقدم عن ابن حزم أنه لم يسلم

وقال بعضهم إنه الظاهر وحيث أن الراوي خلط فوهم أن المكتوب إليه ثانيا هو المكتوب إليه أولا كما أشار إليه في الهدى والله أعلم ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس ملك القبط

وهم أهل مصر الإسكندرية وليسوا من بني إسرائيل على يد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس أي فإنه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله فوثب إليه حاطب رضي الله عنه وقال انا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب رضي الله عنه فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت إلى منزلي وشدت على راحتي وودعت أهلي وسرت زاد السهيلي وانه صلى الله عليه وسلم أرسل مع حاطب جبير مولى أبي رهم الغفاري فإن جبيرا هو الذي جاء بمارية من عند المقوقس

واعترض بأن هذا لا يلزمه أن يكون صلى الله عليه وسلم أرسل جبيرا مع حاطب للمقوقس لجواز ان يكون المقوقس ارسل جبيرا مع حاطب والمقوقس لقب وهو لغة المطول للبناء واسمه جريج بن مينا بعث معه صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين

فإن توليت فإنما عليك إثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وختم الكتاب وجاء به حاطب رضي الله تعالى عنه حتى دخل على المقوقس بالإسكندرية أي بعد أن ذهب إلى مصر فلم يجده فذهب إلى الإسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب رضي الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به نظر إلى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه أي من قومه وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب ألسنت تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب رضي الله تعالى عنه إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعني فرعون \* (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) \* فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصراني ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل كل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنتم ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهك عن دين المسيح عليه السلام ولكننا نأمرك به فقال إني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمز في آخره أي الشيء الغائب المستور والإخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت

أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب  
وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين بالسين  
المهملة مكسورة وبثياب أي وهوي عشرون ثوبا من قباطي مصر قال بعضهم وبقيت  
تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها  
وفي كلام هذا البعض وأرسل له صلى الله عليه وسلم عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا  
ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوراير فكان صلى الله عليه وسلم  
يشرب فيه أي لأنه سأل حاطبا رضي الله عنه فقال أي طعام أحب إلى صاحبكم قال  
الدباء يعني القرع ثم قال له في أي شيء يشرب قال في قعب من خشب ثم قال  
وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم  
ولا يخفى أنه سيأتي أنه أهدى إليه صلى الله عليه وسلم زيادة على الجاريتين جارية  
أخرى اسمها قيسر وهي أخت ماوية ولعله إنما اقتصر على ذكر الجاريتين دون هذه  
الثالثة مع أنها أخت مارية لأنها دونهما في الحسن  
وذكر بعضهم أن سيرين أيضا أخت مارية فالثلاث أخوات  
وفي ينبوع الحياة لابن ظفر فأهدى إليه صلى الله عليه وسلم المقوقس جوارى أربعاً أي  
ويواقفه قول بعضهم وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة  
وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أهدى إحدى الجاريتين لأبي جهم بن قيس  
العبدى فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر وأخرى  
أهداها لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان كما تقدم في قصة الإفك  
وأهدى إليه المقوقس زيادة على ذلك خصيا أي محبوبا أي غلام أسود يقال له مأبور  
بأثبات الراء وقيل بحذفها وقيل هابو أي بالهاء بدل الميم واسقاط الراء ابن عم مارية  
وكونه كان محبوبا عند إرساله وكان المهدي له المقوقس هو المشهور  
وفي كلام بعضهم أن الهدى له جريج بن مينا القبطي الذي كان على مصر من قبل  
هرقل وأنه لم يكن حال الإرسال محبوبا وأنه قدم مع مارية فأسلم وحسن إسلامه وكان  
يدخل عليها وأنه رضى من مكانه من دخوله على سرية النبي صلى الله عليه وسلم

ان يجب نفسه فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق منه شئ فليتأمل وسيأتي ما وقع له  
واهدى له المقوقس زيادة على البغلة وهي الدلدل في اللغة اسم للقنفذ العظيم وكانت  
أنثى ولا يستدل بلحوق التاء لها لأنها للوحدة  
وفي كلام بعضهم أجمع أهل الحديث على أن بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه  
وسلم كانت ذكرا لا أنثى وأول من استنتج البغال قارون قالوا والبغل أشبه بأمه منه بأبيه  
قيل ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وقد قال له سيدنا علي رضي الله عنه لو  
حملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما  
يفعل ذلك الذين لا يعلمون قال ابن حيان أي الذين لا يعلمون النهى عنه  
وفيه أن الله امتن بها كالخيل والحمير ولا يقع الامتنان بالمكروه وحمارا أشهب يقال  
له يعفورا وعفير بالعين المهملة مضمومة وضبطه القاضي عياض بالمعجمة وغلط في  
ذلك مأخوذ من العفرة وهي لون التراب وفرسا وهو اللزاز أي فإن المقوقس سأل حاطبا  
رضي الله عنه ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الأشقر وقد يركب  
عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له صلى الله عليه وسلم فرسا من خيل مصر  
الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه صلى الله عليه وسلم الميمون  
وأهدى له صلى الله عليه وسلم عسلا من بنها بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر  
وأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في غسل بنها بالبركة لأنه حين أكل منه قال إن  
كان غسلكم أشرف فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة  
وأهدى إليه مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والمسواك  
ومكحلة من عيدان شامية ومراة ومشطا أي فان المقوقس سأل حاطبا عن النبي صلى  
الله عليه وسلم هل يكتحل فقال له نعم وينظر في المراة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا  
في سفر كان أو في حضر وهي المراة والمكحلة والمشط والمدرى والمسواك  
والمدرى شئء كالمسلة يفرق به بين شعر الرأس ويحك به لأن حكه بالإصبع يشوش  
الشعر ويلوى بها قرون شعر الرأس  
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها سبع لما تفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمكحلة والمقراض أي المقص

والمسواك والمرآة زاد بعضهم والإبرة والخيط ولعل عدم ذكر ذلك في الكتاب أنه لم يره شيئا ينبغي ذكره  
أي وقد قال بعضهم إن المقوقس أرسل مع الهدية طيبيا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا اكلنا لا نشبع  
واعترض كون الحمار الذي أرسله المقوقس يسمى يعفورا بأن الحمار الذي يسمى يعفور أهده له فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر  
وأهدى إليه أيضا بغلة شهباء يقال لها فضة وفرسا يقال له الطرب كما تقدم  
ثم رايت بعضهم سمى الحمار الذي أهده عامل قيصر عفيرا أيضا وعليه فتسميه حمار المقوقس عفيرا أيضا كما في الأصل أن الحمار الذي أهده المقوقس يقال له يعفورا  
وعفير من خلط بعض الرواة فلا منافاة وفي هذا قبول هدية المشركين وقد تقدم رده صلى الله عليه وسلم لهداياهم وقال لا أقبل زبد المشركين  
ومما يشكل عليه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية أهدى صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان عجوة استهداه أدما فأهداه إليه أبو سفيان وهو على شركه  
وذكر أن المقوقس قال لحاطب رضي الله عنه القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك وأنا أضن أي أبخل بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه فارجع إلى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا  
واحدا قال حاطب رضي الله عنه فرحلت من عنده أي وبعث معه جيشا إلى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة  
قال حاطب وذكرت قوله للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه  
ومن ثم ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس إلى الإسلام عزله وبخالفه قول بعضهم وبعث أبو بكر رضي الله عنه حاطبا هذا إلى المقوقس بمصر فصالح القبط إلا أن يقال يجوز أن يكون المقوقس عاد لولايته بعد عزله  
وذكر بعضهم أن باني الإسكندرية لما أراد بناءها قال أبني مدينة فقيرة إلى الله غنية

عن الناس فدامت وبني أخوه مدينة قال عند إرادة بنائها ابني مدينة فقيرة إلى الناس غنية  
عن الله فسلط عليها الله الخرب في أسرع وقت  
ولما فتح عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه مصر وقف على بعض ما بقي من آثار  
تلك المدينة فسأل عن ذلك فأخبر بهذا الخبر  
ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوي العبدي  
بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمي  
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي وبعث  
معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام  
عليك فإنني أحمد الله إليك لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده  
ورسوله أما بعد فإنني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من  
يطع رسلي وتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد أثنوا  
عليك خيرا وإنني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن  
أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته  
أو مجوسيته فعليه الجزية أني وهذا جواب كتاب أرسله المنذر جوابا لكتاب أرسله له  
صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدعو إلى الإسلام فأسلم وحسن إسلامه  
أقول ولم أقف على ذلك الكتاب ولا على حامله والظاهر أنه العلاء المذكور فقد ذكر  
السهيلي رحمه الله أن العلاء قدم على المنذر بن ساوي فقال له يا منذر إنك عظيم  
العقل في الدنيا فلا تصغر عن الآخرة إن هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيا  
من نكاحه ويأكلون ما يتكره من أكله وتعبدون في الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة  
ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه  
ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به فإن كان هذا هكذا فهذا هو  
النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى  
عنه أمر به فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة  
ونظرت في دينكم فرايته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة

وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر والله أعلم  
ومن جملة كتاب المنذر أي الذي هذا الكتاب جوابه أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث لي في ذلك أمرك  
وذكر ابن قانع أن المنذر المذكور وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال أبو الربيع ولا يصح ذلك  
ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان

أي بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى جيفر وعبد أبني الجلندي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقررا الإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل أي تنزل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب

قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فعمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقا فقلت إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك فقال أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعوا إليه قلت أدعو إلى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمر إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعني العاص بن وائل فإن لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لو كان آمن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام

فقال متى تبعته قلت قريبا فسألني أين كان إسلامي فقلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومك بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والأساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمر وما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له أي أكثر فضيحة من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ما رأى هرقل علم بإسلام النجاشي قلت له بلى قال بأي شيء علمت ذلك يا عمرو قلت كان النجاشي رضي الله عنه يخرج له خراجا فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألتني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين ديننا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما اصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر البر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ل كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن مملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أي تابعا قلت إنه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومك فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال إن هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الأموال أي ولما ذكرت الماشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائهم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال عمرو فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل إليه أخوه خبري ثم إنه دعاني فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي يقال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت إليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفع إلى أخيه فقرأه ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت اتبعوه إما راغب في الدين وإما راهب مقهور ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت اتبعوه إما راغب في الدين وإما راهب مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره

وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين فما أعلم أحدا يبقى غيرك في هذه الخرجة وأنت لم تسلم اليوم وتتبعه تطوُّك الخيل وتبد خضراءك أي جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يوني هذا وارجع إلي غدا فلما كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فرجعت إلى أخيه

فأخبرته أنني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال إنني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وإن بلغت خيله ألفت أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخنه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عوناً على من خالفني ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوزة

بالذال المعجمة وقيل بالبدال المهملة قال في النور ولا أظنه إلا سبق قلم صاحب الإمامة أي وزاد بعضهم وإلى ثمامة بن أثال الحنفيين ملكي الإمامة وفيه نظر لأن ثمامة رضي الله تعالى عنه كان مسلماً حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة بن عمرو والعامري أي لأنه كان يختلف إلى الإمامة وبعث معه كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر على منتهى الخف والحافر أي حيث تقطع الإبل والخيل فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوماً أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد رداً دون رداً فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر اتبعك وأجاز سليط رضي الله تعالى عنه عنه بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألتني سيابة أي بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة من تحت وموحدة مفتوحة أي قطعة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بأن هوزة قد مات فقال صلى الله عليه وسلم أما إن الإمامة سيخرج

بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي أي فقال قائل يا رسول الله من يقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأصحابك فكان كذلك أقول هذا يدل على أن القائل له صلى الله عليه وسلم ذلك هو خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فإن أبا بكر رضي الله تعالى عنه وجهه أميراً على الجيش الذي أرسله لمقاتلة مسيلمة لعنه الله وتقدم الخلاف في قاتله والمشهور أنه وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنهما وكان سن هوزة مائة وخمسين سنة

ويذكر ان هوزة هذا كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال فقال له لم لا تجيبه قال أنا ملك قومي ولئن اتبعته لم أملك فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وإن الخيرة لك في اتباعه وإنه النبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله الحديث أي وذكر السهيلي رحمه الله تعالى أن سليطا قال له يا هوزة إنه سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار يعني كسرى لأنه الذي كان توجه وإنما السيد من متع بالإيمان ثم تزود بالتقوى وإن قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وأنا أمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه أمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو الملطع فقال هوزة يا سليط سودني من لو سودك تشرفت به وقد كان لي رأى أختبر به الأمور ففقدته فاجعل لي فسحة ليرجع إلي رأى فأجيبك به إن شاء الله تعالى

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أي وكان بدمشق أي بغوطتها أي وهو محل معروف كثير المياه والشجر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى حارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق وإنني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب

قال شجاع رضي الله تعالى عنه فخرجت حتى انتهيت إلى بابه فأقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقال لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول إني قرأت في الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه أي أظنه يخرج بالشام فأراه قد خرج بأرض القرظ أي وهو ورق أو ثمر السلم فأنا أو من به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحارث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر فخرج الحارث يوما وجلس على رأسه التاج وأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ثم رمى به ثم قال من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان في باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيال أن تنعل ثم قال لي أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر يخبره الخبر وصادف أن كان عند قيصر دحية الكلبي رضي الله عنه بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه أن لا تسر إليه واله عنه أي لا تذكره واشتغل بإيلياء أبي بيت المقدس ومعنى إيلياء بالعبرانية بيت الله والمراد باشتغاله بذلك أن يهيء لقيصر الإنزال ببيت المقدس فإنه نذر المشي من حمص وقيل من قسطنطينية إلى بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس وأظهر الله تعالى الروم على فارس ففرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهوم يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس فجاء إليه كتاب قيصر أي الذي فيه أنه يلهو عنه ولا يذكره وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك قلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة وقال لي ذلك الحاجب اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره أنني متبع دينه قال شجاع فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من الحارث قال با أي هلك ملكه وأقرأته السلام من الحاجب وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعضهم وبعض أهل السير على أن الحارث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر إسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره ان شجاع بن وهب إنما توجه إلى جبلة ابن الأيهم

ويقال إن شجاع بن وهب أرسل إلى الحارث وإلى جبلة بن الأيهم وان شجاعا قاله له يا جبلة إن قومك نقلوا هذا النبي من داره إلى دارهم يعني الأنصار فأووه ومنعوه ونصروه وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والأذان بالناقوس والجمع بالشعانيين وكان ما عند الله خير وأبقى قال جبلة إني والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السماوات والأرض وقد سرنى اجتماع قومي له وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر وفي كلام بعضهم أنه أسلم ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بإسلامه وأرسل الهدية وكان ثابتاً على إسلامه لزم عمر رضي الله عنه فإنه حج في خلافته

أي وفي كلام بعضهم لما أسلم جبلة بن الأيهم في أيام عمر رضي الله عنه وكتب إليه يخبره بإسلامه ويستأذنه في القدوم عليه فسر عمر بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى إذا قارب المدينة عمد إلى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها بقلائد الذهب والفضة وألبسها الديباج وسرف الحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى وزيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله تعالى عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام بالمدينة مكرماً فخرج عمر رضي الله تعالى عنه حاجاً فخرج معه وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزاره إزاره فانحل فلطم الفزازي لطمه هشتم بها أنفه وكسر ثناياه أي ويقال فقاً عينه فشكا الفزازي ذلك إلى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت أنفه أو قال لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين تعمد حل إزراي ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر أما أنت فقد أقررت إما أن ترضيه وإلا أقدته منك وفي رواية وحكم إما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فتصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت به وفي رواية أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله تعالى عنه الإسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى إن كنت أنا وهذا الرجل سواء في الدين فأنا اتنصر فإني كنت

أظن يا أمير المؤمنين أنني أكون في الإسلام أعزمني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله تعالى عنه إذا أضرب عنقك فقال فأملهني الليلة حتى انظر في أمري قال ذلك إلى خصمك فقال الرجل أمهله يا أمير المؤمنين فأذن له رضي الله تعالى عنه في الانصراف ثم ركب في بني عمه وهرب إلى القسطنطينية أي فدخل على هرقل وتنصر هنا ومات على ذلك وقيل عاد إلى الإسلام ومات مسلماً

وكان جبلة رجلاً طويلاً طوله اثنا عشر شبراً وكان يمسح الأرض برجليه وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وبني له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال إن فيها قبر إبراهيم بن أدهم وقيل المحاكمة كانت عند أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه أي فقد ذكر بعضهم أن جبلة لم يزل مسلماً حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فبينما هو في سوق دمشق إذ وطئ رجلاً من مزينة فوثب المزني فلطم خد جبلة فأرسله مع جماعة من قومه إلى أبي عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة قال فليلطمه قالوا ما يقبل قال لا يقبل قالوا إنما تقطع يده قال لا إنما أمر الله بالقود فلما بلغ جبلة ذلك قال أتروني أني جاعل وجهي ندا لوجه بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم على هرقل

حجة الوداع

ويقال لها حجة البلاغ وحجة الإسلام لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولأنه ذكر لهم ما يحل وما يحرم وقال لهم هل بلغت ولأنه صلى الله عليه وسلم يحج من المدينة غيرها وقيل لإخراج الكفار الحج عن وقته لأن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام أحد عشر يوماً حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض فإن هذه الحجة كانت في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته وكانت سنة عشر

قال الجمهور فرض الحج كان سنة ست من الهجرة أي وصححه الرافعي في باب السير وتبعه النووي

وقيل فرض سنة تسع وقيل سنة عشر انتهى وبه قال أبو حنيفة ومن ثم قال إنه على الفور  
وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الحج وأعلم الناس بذلك ولم يحج منذ  
هاجر إلى المدينة غير هذه الحجة قال وأما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاثة حجرات  
أي وقيل حجتين أي وهما اللتان بايع فيهما الأنصار عند العقبة  
وفي كلام ابن الأثير كان صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبل أن يهاجر وفي كلام  
ابن الجوزي حج صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها أي  
وكان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها إلى مزدلفة مخالفا  
لقريش توفيقا له من الله فإنهم كانوا لا يخرجون من الحرم فإنهم قالوا نحن بنو إبراهيم  
عليه الصلاة والسلام وأهل الحرم وولاية البيت وعاكفو مكة فليس لأحد من العرب  
منزلتنا فلا تعظموا شيئا من الحل أي كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت  
العرب بحرمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فليس لنا أن نخرج  
من الحرم نحن الخمس فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منه إلى المزدلفة ويرون ذلك  
لسائر العرب قال بعض الصحابة لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل  
عليه الوحي وإنه واقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم  
منها توفيقا له من الله عز وجل

وعند خروجه صلى الله عليه وسلم للحج أصاب الناس بالمدينة جذري بضم الجيم  
وفتح الدال وبفتحهما أو حصبة منعت كثيرا من الناس من الحج معه صلى الله عليه  
وسلم ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى قيل كانوا أربعين ألفا وقيل  
كانوا سبعين ألفا وقيل كانوا تسعين ألفا وقيل كانوا مائة ألف وأربعة عشرة ألفا وقيل  
وعشرين ألفا وقيل كانوا أكثر من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أي عند ذهابه  
عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال حجة معي أي قال ذلك تطيبا لخواطر من تخلف  
وصوب بعضهم أن هذا إنما قاله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه أي إلى المدينة قاله  
لأم سنان الأنصارية لما قال لها ما منعك أن تكوني حججت معنا وقالت لنا ناضحان  
حج أبو فلان تعني زوجها وولدها على أحدهما وكان الآخر نسقي عليه أرضا لنا وقال  
ذلك أيضا لغيرها من النسوة قاله لأم سليم ولأم طلق ولأم الهيثم ولا مانع أن يكون قال  
ذلك مرتين مرة عند ذهابه لما ذكر ومرة عند رجوعه لمن ذكر

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة أي وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة ورجحه بعضهم وأطال في الاستدلال له وذلك سنة عشرة نهارا بعد أن ترجل وادهن وبعد أن صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذى الحليفة ركعتين وطاف تلك الليلة على نسائه أي فإنهن كن معه صلى الله عليه وسلم في الهوداج وكن تسعة ثم اغتسل ثم صلى الصبح أي والظهر ثم طيبته عائشة رضي الله تعالى عنه بذريرة هي نوع من الطيب مجموع من أخلاط الطيب وبطيب فيه مسك ثم أحرم صلى الله عليه وسلم أي وذلك بعد أن اغتسل لإحرامه غير غسلة الأول وتجرد في إزاره وردائه أي فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم أحرم في رداء وإزار ولم يغسل الطيب بل كان يرى ويص المسك في مفارقة ولحيته الشريفة أي فإنه صلى الله عليه وسلم لبد شعر رأسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يشعث وعن عائشة رضي الله تعالى عنها طيبته صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله وعنهما رضي الله تعالى عنها قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت رواه الشيخان وعنهما قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا وبه رد على ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قوله لأن أصبح مطيبا بقطران أحب إلي من أن أصبح محرما أنضح طيبا ويؤيد ما قاله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ما تقدم في الحديث من أمره صلى الله عليه وسلم من تطيب قبل إحرامه بغسل الطيب وتقديم ما فيه أي وصلى كما في الصحيحين عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما ركعتين أي قبل أن يحرم وبه يرد قول ابن القيم رحمه الله تعالى لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وأهل حيث ابنعت به راحلته أي وهي القصواء أي وهو يرد ما روى عن ابن سعد رحمه الله تعالى حج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطهم ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى إنه حديث منكر ضعيف الإسناد وإنما كان صلى الله عليه وسلم راكبا وبعض أصحابه مشاة ولم يعتمر صلى الله عليه وسلم في عمره ماشيا وأحواله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن تخفى على الناس بل هذا الحديث منكر شاذلا يثبت مثله وكان على راحلته صلى الله عليه وسلم رحل رث يساوي أربعة دراهم وفي رواية حج صلى الله عليه وسلم على رحل وقطيفة تساوي أو لا تساوي أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة وذلك عند مسجد ذي الحليفة وأحرم بالحج والعمرة معا فكان قارنا

قال وقيل أحرم بالحج فقط فكان مفردا وقيل بالعمر فقط أي ثم أحرم بالحج بعد فراغه من أعمال العمرة فكان متمتعا أخذنا من قول بعض الصحابة إنه صلى الله عليه وسلم أحرم متمتعا وقيل أطلق إحرامه

وفي كلام السهيلي رحمه الله واختلفت الروايات في إحرامه صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح إلا من قال كان متمتعا وأرد أنه أهل بعمرة قال الإمام النووي وطريق الجمع أي بين من يقول إنه أحرم قارنا ومن يقول إنه أحرم مفردا ومن يقول إنه أحرم متمتعا أنه أحرم أولا مفردا أي بالحج ثم أدخل العمرة أي وذلك أي دخول الأضعف وهي العمرة على الأقوى الذي هو الحج من خصائصه صلى الله عليه وسلم فصار قارنا ويدل لذلك حديث البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه آت من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك وقل لبيك بحجة وعمرة معا فصار قارنا بعد أن كان مفردا

فمن روى القرآن اعتمد آخر الأمر أي ومنه قول سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى أي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة على الحج لأنه يكفى فيه الاقتصار على عمل واحد في النسكين أي لا يأتي بطوافين ولا بسعينين أي وليس مراده التمتع الحقيقي بأن أحرم بعمرة فقط ثم بعد فراغه من أعمالها أحرم بالحج كما هو حقيقة التمتع ومن ثم قال بعضهم أكثر السلف يطلقون التمتع على القرآن

ومن روى الأفراد اعتمد أول الأمر ومنه قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وقد سئل عن ذلك لبي الحج وحده أو أن ابن عمر سمعه يقول لبيك بحج ولم يسمع قوله وعمرة فلم يحك إلا ما سمع وأنس رضي الله عنه سمع ذلك أي سمع الحج والعمرة أي فإن ابن عمر رضي الله عنه قيل له عن أنس بن مالك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة فقال ابن عمر لبي بالحج وحده فقيل لأنس عن ابن عمر ذلك فقال أنس رضي الله عنه ما يعدونا إلى صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أي يصرح بهما جميعا وقال إني لرديف لأبي طلحة وإن ركبت لتمس ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت لما قاله ابن عمر وزائد عليه فليس منا قضاله أي  
 ودليل من قال إنه أحرم مطلقا ما رواه إمامنا الشافعي رضي الله عنه أنه صلى الله  
 عليه وسلم خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم مهلين أي محرمين إحراما مطلقا  
 ينتظرون القضاء أي نزول الوحي لتعيين ما يصرفون إحرامهم المطلق إليه أي بإفراد أو  
 تمتع أو قران أي فجاءه صلى الله عليه وسلم الوحي أن يأمر من لا هدى معه ان يجعل  
 إحرامه عمرة فيكون متمتعاً ومن معه هدى أن يجعله حجا فيكون مفرداً لأن من معه  
 هدى أفضل ممن لا هدى معه والحج أفضل من العمرة  
 ويدل لكون الصحابة أطلقوا إحرامهم ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها  
 خرجنا نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة لكن أجيب عن ذلك بأنهم لا يذكرون ذلك مع  
 التلبية وإن كانوا سموه حال الإحرام هذا  
 وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل فلينظر  
 الجمع بين هذا وما قبله  
 وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم من لم يكن معه هدى وأحب أن يجعلها عمرة  
 فليفعل ومن كان معه هدى فلا أي فلا يجعلها عمرة بل يجعل إحرامه حجا ولم يذكر  
 القران وجاء في بعض الطرق أنه أمر من كان معه هدى أن يحرم بالحج والعمرة معا  
 وفي بعض الروايات خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يسمى حجا ولا عمرة  
 ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهل  
 بالحج ولم يكن معه هدى أن يجعله عمرة  
 وفي الهدى الصواب أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج والعمرة معا من حين أنشأ  
 الإحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا  
 واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التي تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث وما  
 ورد انه صلى الله عليه وسلم طاف طوافين وسعى سعيتين لم يصح  
 قال وغلط من قال لبي بالحج وحده ثم أدخل عليه العمرة أتى الذي تقدم في الجمع بين  
 الروايات عن النووي رحمه الله تعالى ومن قال لبي بالعمرة ثم أدخل عليها الحج أي  
 وهذا لم يتقدم ومن قال أحراما إحراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد إحرامه أي  
 وهو

ما تقدم عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه ومن قال أفرد الحج أراد به أنه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا وهذا محمل ما في بعض الروايات وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ولم يعتمر على أن بعض الحفاظ قال إنه حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة

ثم لبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان استقبل القبلة فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وروى أنه زاد على ذلك لبيك إله الخلق لبيك أي وروى أنه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا على تلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون لم ينكر عليها وبه استدل أئمتنا على عدم كراهة الزيادة على تلبيته المشهورة المتقدمة فكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغباء إليك والعمل وأتاه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج

واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا دجاجة رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة رضي الله عنه وولدت أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولدها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم في ذي الحليفة وأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تغتسل وتستشفر أي بخرقة عريضة بعد أن تحشو بنحو قطن وتربط طرفي تلك الخرقة في شيء تشده في وسطها لتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم

ثم حاضت سيدتنا عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق بمحل يقال له سرف بكسر الراء وكانت قد أحرمت بعمرة ففي البخاري أنها قالت وكنت فيمن أهل بعمرة فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتدخل الحج على العمرة أقول وقد جاء أنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال ما يبكيك يا عائشة وفي لفظ ما يبكيك يا هنتاه لعلك نفست أي حضت قلت نعم والله لو ددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر قال لا تقولين ذلك فهذا شيء كتبه الله على بنات آدم

أي واستدل البخاري رحمه الله بهذا على أن الحيض كان في جميع بنات آدم وانكر به على من قال إن الحيض أول ما وقع في بني إسرائيل وفي لفظ قال ما شأنك قلت لا أصلي قال لا صبر عليك إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن أهلي بالحج وفي رواية ارفضى عمرتك أي لا تشرعي في شيء من أعمالها وأحرمي بالحج فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج أي تفعلين كل ما يفعل الحاج وأنت حائض إلا أنك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك أي أدخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف فوقفت بعرفه وهي حائض حتى إذا طهرت أي وذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة طافت بالبيت وبالصفاة والمروة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا

وذكر بعضهم أن في هذه الحجة كان جمل عائشة رضي الله عنها سريع المشي مع خفة حمل عائشة وكان جمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار يتأخر الركب بسبب ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة وأن يجعل حمل عائشة جمل صفية فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يستعطف خاطرها فقال لها يا أم عبد الله حملك خفيف وجملك سريع المشي وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء فأبطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على حملها وحملك على جملك ليسير الركب فقالت له إنك تزعم أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أفي شك أني رسول الله أنت يا أم عبد الله قالت فمالك لا تعدل قال فكان أبو بكر رضي الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما سمعت ما قالت فقال دعها فإن المرأة الغيرة لا تعرف أعلى الوادي من أسفله قالوا ولما نزلوا بمحل يقال له العرج فقد البعير الذي عليه زاملته صلى الله عليه وسلم وزاملة أبي بكر أي زاداهما وكان ذلك البعير مع غلام لأبي بكر فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للغلام اين بعيرك قال ضللته البارحة فقال أبو بكر وقد اعترته حدة بعير واحد تضله وأخذ يضربه بالسوط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم ولا يزيد على ذلك فلما بلغ بعض الصحابة أن زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت جاء بحيس ووضع بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الله تعالى عنه وهو يغتاز على الغلام هون عليك

يا أبا بكر فإن الأمر ليس لك ولا إلينا وقد كان الغلام حريصا على أن لا يضل بغيره وهذا غداء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه فأكل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعا فأقبل صفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه وكان على ساقفة القوم أي لأن هذا كان شأنه كما تقم في قصة الإفك والبعير معه وعليه الزاملة حتى أناخه على باب منزله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر انظر هل تفقد شيئا من متاعك فقال ما فقدت شيئا إلا قعبا كنا نشرب فيه فقال الغلام هذا القعب معي ولما بلغ سعد بن عبادة وابنه قيسا رضي الله تعالى عنهما أن زاملته صلى الله عليه وسلم قد ضلت جأاً بزاملته مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكمما بارك الله لكما ه ثم نزل صلى الله عليه وسلم بذى طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح أي بعد أن اغتسل بها أي ثم سار صلى الله عليه وسلم ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا أي وقت الضحى من الثانية العليا التي هي ثنية كداء بفتح الكاف والمد قال أبو عبيدة لا ينصرف وهي التي ينزل منها إلى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الآن الحجون التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة كما تقدم ودخل المسجد الحرام صباحا من باب عبد مناف وهو باب بني شيبه المعروف الآن بباب السلام وكان صلى الله عليه وسلم إذا أبصر البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبراً وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبراً

وفي مسند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أخبرنا سعيد بن سالم عن جريح عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت الخ وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا السلام اللهم زد هذا البيت الخ وعند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد طاف بالبيت أي سبعا ماشيا فعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال دخلنا مكة عند ارتفاع الشمس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر الأسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا فلما فرغ صلى الله

عليه وسلم قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقي في السنن الكبرى بإسناد جيد

وقيل طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجدعاء أي لأنه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكى فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكى فطاف على راحلته فلما أتى الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أنا خ فصلى ركعتين رواه أبو داود ورد بأن هذا الحديث تفرد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف

على أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يذكر أن ذلك كان في حجة الوداع ولا في الطواف الأول من طوافاتها الثلاثة التي هي طواف القدوم وطواف الإفاضة وطواف الوداع فينبغي أن يكون ذلك في غير الطواف الأول بان يكون في طواف الإفاضة أو طواف الوداع فلا ينافي ما تقدم عن جابر ولا ما في مسلم عنه أنه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت ليراه الناس فيسألوه وقوله ورمل في ثلاثا منها أي يسرع المشي مع تقارب الخطأ ومشى أي على هينته في أربع يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل طوفة وابتداء الرمل كان في عمرة القضاء لما قال المشركون غدا يقدم عليكم قوم قد وهنتم حمى يثرب فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدتهم ومن ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتم هؤلاء أجلد من كذا وكذا كما تقدم فلما كانت هذه الحجة فعلوا كذلك فصارت سنة

قال وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر الأسود وثبت أنه استلمه بيده ثم قبلها وثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني ولا قبل يده حين استلمه اه

وعند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه يتسحب أن يقبل ما استلمه به روى إمامنا الشافعي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليا طويلا وكان صلى الله عليه وسلم إذا استلم الحجر قال بسم الله والله أكبر وقال بينهما أي بين الركن اليماني والحجر\* (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)\* ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شيء من

الأذكار في غير هذا المحل حول الكعبة ولم يستلم الركنين الماقبلين للحجر أي لأنهما ليسا على قواعد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر أي الأسود تؤذى الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر وأخذ منه بعض فقهاؤنا أن من شق عليه استلام الحجر الأسود يسن له أن يهلل ويكبر

ثم بعد الطواف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام جعل المقام بينه وبين الكعبة أي استقبل جهة باب المحل الذي به المقام الآن وهو المراد بخلف المقام قرأ فيهما مع أم القرآن \* (قل يا أيها الكافرون) \* و \* (قل هو الله أحد) \* ودخل صلى الله عليه وسلم زمزم فنزع له دلو فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها في زمزم ثم قال لولا أن الناس يتخذونه نسكا لنزعت أي وتقدم في فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم قال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لانتزعت منها دلوا وانتزع له العابس ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج على الصفا وقرأ \* (إن الصفا والمروة من شعائر الله) \* ابدءوا بما بدأ الله به فسعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على بعيره

وعن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أن سعيه الذي طاف لقدمه كان على قدميه لا على بعير أي فذكر البعير في هذا السعي غلط من بعض الرواة

ثم رأيت بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان ماشيا بين الصفا والمروة ولعل بين الصفا والمروة مدرجة أو أنه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة بعض المرات على قدميه فلما ازدحم الناس عليه ركب في الباقي ويدل لذلك أنه قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن قومك يزعمون أن السعي بين الصفا والمروة راكبا سنة فقال صدقوا وكذبوا فليل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا في أن السعي سنة وكذبوا في أن الركوب سنة فإن السنة المشي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى في السعي فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه الناس ركب وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مشى بين الصفا والمروة والأحاديث

الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم ركب فيه وصار صلى الله عليه وسلم في السعي  
يخب ثلاثاً ويمشي أربعاً ويرقى الصفا ويستقبل الكعبة ويوحده الله ويكبره ويقول لا إله  
إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده أي  
من غير قتال ثم يفعل على المروة مثل ذلك  
واعترض بأن كونه كان يخب ثلاثاً ويمشي أربعاً كان في الطوف بالبيت لا في السعي  
بين الصفا والمروة وهذا السياق يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم سعى بعد طواف  
القدوم

وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم حج فأول شيء بدأ به حين قدم مكة أنه توضعاً ثلاثاً  
ثم طاف بالبيت ولم يذكر السعي أي وفي مسلم في سبب نزول قوله تعالى \* (إن  
الصفا والمروة من شعائر الله) \* أن المهاجرين في الجاهلية كانوا يهلون بصنمين على  
شط البحر يقال لهما إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون  
فلما جاءهم الإسلام كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة يرون أن ذلك من أمر  
الجاهلية فأنزل الله تعالى \* (إن الصفا والمروة من شعائر الله) \*  
وقيل إن سبب نزولها أن الأنصار كانوا في الجاهلية يهلون لمناة وكان من أحرم بمناة  
لا يطوف بين الصفا والمروة وأنهما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك  
حين أسلموا فأنزل الله تعالى \* (إن الصفا والمروة من شعائر الله) \* الآية ثم أمر صلى  
الله عليه وسلم من لا هدى معه بالإحلال أي وإن لم يكن أحرم بالعمرة بأن لم يكن  
سمع أمره صلى الله عليه وسلم بأن من لا هدى معه يحرم بالعمرة فأحرم بالحج قارناً أو  
مفرداً قال السهيلي رحمه الله ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه رضي الله تعالى  
عنهم إلا طلحة ابن عبد الله وكذا علي كرم الله وجهه جاء من اليمن وقد ساق الهدى  
معه ويأتي ما فيه أي وأمره صلى الله عليه وسلم من ذكر بالإحلال كان بعد الحلق  
والتقصير لأنه أتى بعمل العمرة فحل له كل ما حرم على المحرم من وطء النساء الطيب  
والمخيط وأن يبقى كذلك إلى يوم التروية الذي هو اليوم الثامن من ذي الحجة فيهل  
أي يحرم بالحج

وقيل له يوم التروية لأنهم كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم في ذهابهم من مكة  
إلى عرفات لعدم وجدان الماء بها في ذلك الزمن وأمر صلى الله عليه وسلم من معه  
الهدى أن يبقى على إحرامه أ بالحج قارناً أو مفرداً حتى قال بعضهم لو استقبلت من  
أمري

ما استدبرت ما سقت الهدى قال ويروي أن قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم فعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لما تم سعيه قال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة ننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر وفي لفظ وفرجه يقطر منيا أي قد جامع النساء أي وفيه أنهم لا ينطلقون إلى منى إلا بعد الإحرام بالحج لأنهم يحرمون من مكة إلا أن يقال مرادهم أنا كيف نجامع النساء بعد إحرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الإحرام بالحج كما سيأتي في بعض الروايات وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار فقال أو ما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون

وقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ تأسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع كذا قال الإمام احمد رضي الله تعالى عنه لأنه يرى أن التمتع أفضل ورد بأنه لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل وإنما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه في بقائه محرما على إحرامه وأمره لهم بالاحلال وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لو تفتح عمل الشيطان محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى فقال أما بعد فتعلمون أيها الناس لأنا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت هدبا ولا حللت وفي رواية قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فقال صلى الله عليه وسلم اقبلوا ما أمرتكم به واجعلوا اهلالكم بالحج عمرة فلولا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم به ففعلوا وأهلوا ففسخوا الحج إلى العمرة وكان من جملة من ساق الهدى أبو بكر وعمر طلحة والزبير وعلى رضي الله تعالى عنهم فإن عليا كرم الله وجهه قدم إلى مكة من اليمن ومعه هدى وعن جابر رضي الله تعالى عنه لم يكن أحد معه هدى غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه انطلق وطف بالبيت وحل كما أحل أصحابك فقال يا رسول الله أهلت كما أهلت فقال له ارجع فأحل

كما أحل أصحابك قال يا رسول الله إني قلت حين أحرمتم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد فقال هل معك من هدى قال لا فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على إحرامه وهذا صريح في أن إحرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج

ويمكن الجمع بين رواية أن عليا قدم من اليمن ومعه هدى وبين رواية أنه لم يكن معه هدى تأخر مجيئه بعده لأنه تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه

ويؤيد ذلك قول بعضهم كان الهدى الذي قدم به علي كرم الله وجهه من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة أي وإلا فالذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستون بدنة والذي قدم به من اليمن لعلي كان سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك إشراكه له في الهدى لأنه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لاحتمال تلف ذلك إشراكه له في الهدى وعدم مجيئه والذي في البخاري لما قدم علي كرم الله وجهه من اليمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم بم أهلت يا علي قال بما أهل به النبي صلى الله عليه وسلم قال فأهدوا مكث حراما كما أنت أي فإنه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان أرسل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى اليمن لهمدان يدعوهم إلى الإسلام قال البراء رضي الله تعالى عنه فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأمره أن يقفل خالد بن الوليد ويكون مكانه وقال مر أصحاب خالد من شاء منهم اين يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت من أعقب مع علي كرم الله وجهه فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا وصلى بنا علي كرم الله وجهه ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم فأسلمت همدان جميعا فكتب رضي الله تعالى عنه إلى رسول صلى الله عليه وسلم بإسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام علي همدان وكان من جملة من لم يسق الهدى أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فإنه لما قدم من اليمن قال له بم أهلت قال أهلت كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال له

هل معك من هدى قال قلت لا فأمرني فطفت بالبيت والصفاة والمروة ورواية الشيخين عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له بم أهلت فقلت لبيت بإهلال كإهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفاء والمروة وأحل أي بعد الحلق أو التقصير وفيه أنه صلى الله عليه وسلم كان مهلا بالحج فقط أو مع العمرة إلا أن يقال جوز لأبي موسى الفسخ من الحج إلى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين أحرموا بالحج ولا هدى معهم ومن جملة من لم يسق الهدى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فأحلن أي لأنهن أحرم من إحراما مطلقا ثم صرفنه للعمرة أو أحرم من متمتعات أي بالعمرة إلا عائشة رضي الله تعالى عنها فإنها لم تحل أي لأنها أدخلت الحج على العمرة كما تقدم

وممن أحل سيدتنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أي لأنها لم يكن معها هدى وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وشكا علي كرم الله وجهه فاطمة رضي الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أحلت أي فإنه وجدها لبست صبيغا واكتحلت فأنكر عليها فقالت رضي الله تعالى عنها أمرني أبي بذلك فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم محر شاله عليها رضي الله تعالى عنها فصدقها عليه الصلاة والسلام في أنه أمرها بذلك أي فإنه صلى الله عليه وسلم قال له صدقت صدقت صدقت أنا أمرتها بذلك يا علي

وسأله سراقه بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله متمتتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال بل لأبد لأبد دخلت العمرة في الحج هكذا إلى يوم القيامة أي وفي رواية فشبك بين أصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين بل لأبد لأبد بالإضافة أي إلى آخر الدهر وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج يدل على أن مراد السائل بالتمتع القران لا حقيقته الذي هو الإحرام بالحج بعد الفراغ من عمل العمرة لكن قول بعضهم لما كان آخر سعيه صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت لم اسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقه فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد الحديث يدل على أن مراده بالتمتع حقيقته

لكن لا يحسن الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج إلا أن يقال المراد حلصت العمرة مع الإحرام بالحج لقلب الإحرام بالحج إلى العمرة لأن هذا كله يدل على أنه امر من احرم بالحج ممن لا هدى معه أن يقلب احرامه عمرة وأجاب عنه أئمتنا بأن ذلك أي فسخ الحج إلى العمرة كان من خصائص الصحابة في تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج ويقولون إنه من أفجر الفجور وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وإمامنا الشافعي وجماهير العلماء من السلف والخلف رضي الله عنهم

وفي مسلم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه لم يكن فسخ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وخالف الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه وطائفة من أهل الظاهر فقالوا بل هذا ليس خاصا بالصحابة في تلك السنة أي بل باق لكل أحد إلى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدى أن يقلب احرامه عمرة ويتحلل بأعمالها

وبعضهم قال إن قول سراقه رضي الله تعالى عنه معناه أن جواز العمرة في أشهر الحج خاصة بهذه السنة أو جائزة إلى يوم القيامة وفيه أنه لا يحسن الجواب عنه بما تقدم من قوله دخلت العمرة في الحج

ثم نهض صلى الله عليه وسلم ونهض معه الناس يوم التروية الذي هو اليوم الثامن إلى منى وأحرم بالحج كل من كان أحل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بمنى والعصر والمغرب والعشاء وبات بها تلك الليلة أي وكانت ليلة الجمعة وصلى بها الصبح ثم نهض بعد طلوع الشمس إلى عرفة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تضرب له قبة من شعر بنمرة فأتى عليه الصلاة والسلام عرفة ونزل في تلك القبة حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء بفتح القاف والمد وقيل بضم القاف والقصر وهو خطأ كما تقدم

وفي كلام الأصل أن القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة وفيه ما لا يخفى فرحلت ثم أتى بطن الوادي فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس رضي الله تعالى عنه ووضع الدماء في الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قتلته هذيل فقال هو أول دم أبدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به في الإسلام وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا وأباح ضربهن غير المبرح إن أتين بما لا يحل

وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل أي وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه لا يضل من اعتصم به وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك وأمر أن يبلغ ذلك الشاهد الغائب

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنكم لتسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم فاشهد ثلاث مرات

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر مناديا صار ينادي بكل ما قاله من ذلك أي وهو ربيعة بن أمية بن خلف أخو صفوان بن أمية وكان صيتا وصار صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا كما تقدم فيصرخ به وهن واقف تحت صدر ناقته صلى الله عليه وسلم وربيعه هذا ارتد في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فإنه شرب الخمر فهرب منه إلى الشام ثم هرب إلى قيصر فتنصر ومات عنده

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه طاف ليلة هو وعمر رضي الله تعالى عنهما للحرس بالمدينة فرأوا نورا في بيت فانطلقوا يؤمونه فإذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الرحمن تردي بيت من هذا قال لا قال هذا بيت ربيعة بن أمية وهم الآن شرب فما ترى قال أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه \* (ولا تجسسوا) \* فانصرف عمر ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه غرب ربيعة إلى خيبر فكان ما تقدم وقد رأى ربيعة قبل ذلك في المنام كأنه في أرض معشبة مخصبة وخرج منها إلى أرض مجدبة كالحة ورأى أبا بكر رضي الله تعالى عنه في جامعة من حديد عند سرير إلى الحشر فقص ذلك على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال

إن صدقت رؤياك تخرج من الإيمان إلى الكفر وأما أنا فإن ذلك ديني جمع لي في أثر الناس إلى يوم الحشر

وبعثت إليه صلى الله عليه وسلم أم الفضل زوجة العباس أم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم لبنا في قدح شربه أمام الناس فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائما ذلك اليوم الذي هو التاسع أي لأنهم تماروا عندها في صيامه صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الذي هو يوم عرفة

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم يوم عرفة أي وبهذا استدل أئمتنا أنه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذي هو التاسع من ذي الحجة

فلما تم صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا فصلاهما مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين أي لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بمكة إقامة تقطع السفر لأنه دخلها في اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها إحدى وعشرين صلاة من أول الظهر يوم الرابع إلى عصر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر كما يقول إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه كالجمهور لا النسك كما يقول غيرهم

أقول وفيه أن فقهاء ذكروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة في حجة الوداع مع عزمه على الإقامة أياما أي تقطع السفر لعدم استيطانه

ويرد بأنه من أين أنه صلى الله عليه وسلم عزم على الإقامة بمكة المدة التي تقطع السفر هذه دعوى تحتاج إلى دليل وأيضا عزمه على ذلك إنما هو بعد عودته إلى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمي ولا ينقطع سفره إلا بوصوله إلى مكة

والأولى استدلال فقهاءنا على وجوب الاستيطان في إقامة الجمعة بعد أمره صلى الله

عليه وسلم لأهل مكة بإقامة الجمعة مع أنهم غير مسافرين لعدم استيطانهم للمحل فما

ذهب إليه إمامنا الشافعي رضي الله عنه من أن الجمع للسفر لا للنسك في محله

وقد رأيت أن مالكا رضي الله تعالى عنه سأل أبا يوسف وقد كان حج مع هارون

الرشيد وذلك بحضرة الرشيد فقال له ما تقول في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

بعرفات يوم الجمعة أصلي ظهرا مقصورة فقال أبو يوسف صلى الجمعة لأنه خطب لها

قبل الصلاة فقال مالك أخطأت لأنه لو وقف يوم السبت لخطب قبل الصلاة

فقال أبو يوسف ما الذي صلى فقال مالك صلى الظهر مقصورة لأنه أسر بالقراءة فصوبه هارون في احتجاجه على أبي يوسف والله أعلم

ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته إلى أن أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال إلى الغروب وفي الحديث أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي أي في يوم عرفة كما في بعض الروايات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

وجاء أن من جملة دعائه من في ذلك اليوم اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الشيطان ومن وسوسة الصدر ومن شتات الأمر ومن شر كل ذي شر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلايتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع من خضعت لك رقبتك وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك ربي شقيا وكن بي رؤوفا رحيميا يا خير المسؤولين ويا خير المعطين واستمر كذلك صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة أي وخطب صلى الله عليه وسلم على ناقته في ذلك اليوم فعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنهم قال بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لعابها ليقع على رأسي فسمعتة يقول أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن دعى إلى غير أبيه أو مولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من نجد فسأله كيف الحج فأمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع أي المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وجمع بفتح الجيم وسكون الميم أيام منى ثلاثة\* (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه)\* أي وقال صلى الله عليه وسلم وقفت ههنا وعرفة كلها موقف زاد مالك في الموطأ وارتفعوا عن بطن عرنة

وفي كلام بعضهم نزلت \* (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) \* يوم الجمعة بعد العصر والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكاد عضد الناقة يندق من ثقل الوحي

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اتفق في ذلك اليوم أربعة أعياد عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لأهل الملل في يوم قبله ولا بعده

ولما نزلت بكى عمر رضي الله تعالى عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال رضي الله تعالى عنه أبكاني أنا كنا في زيادة أما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص فقال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يعيش بعدها إلا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولم ينزل بعدها شيء من الاحكام

ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه خلفه ودفع إلى مزدلفه وقد ضم زمام راحته القصواء التي خطب عليها في نمرة حتى إن رأسها ليصيب طرف رجله يسير العنق حتى إذا وجد فسحة سار النص وهو فوق العنق هو يأمر الناس بالسكينة في السير فلما كان في الطريق عند الشعب الأتر نزل فيه فبال وتوضأ وضوءاً خفيفاً ثم ركب حتى أتى المزدلفة التي هي جمع أي وتقدم أن وقوفه صلى الله عليه وسلم بعرفات وإفاضة إلى مزدلفة قبل ان يبعث كان مخالفاً في ذلك لقوله وصلى المغرب والعشاء مجموعتين في وقت العشاء أي مقصورتين بأذان واحد وإقامتين ثم اضطجع وأذن للنساء والضعفة أي الصبيان أن يرموا ليلاً أي أن يذهبوا من مزدلفة إلى منى بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمره العقبة قبل الزحمة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم أن لا يرموا جمره العقبة حتى تطلع الشمس فليتأمل ذلك فعن عائشة رضي الله عنها أن سودة رضي الله عنها أفاضت في النصف الأخير من مزدلفة بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمرها بالدم ولا النفر الذين كانوا معها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أنا ممن قدم النبي صلى الله عليه وسلم في ضعفه أهله وروى ذلك الشيخان ولم يأذن صلى الله عليه وسلم للرجال في ذلك إلا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم أي فالمراد بالضعفة

الصبيان كما تقدم وبهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب تقديم النساء والضعفة بعد نصف الليل إلى منى أي وأن يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغسلين وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به أي لأرمي الجمرة قبل ان يأتي الناس وفي لفظ قبل حطمة الناس لأن سودة رضي الله عنها كانت امرأة ضخمة ثقيلة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفيض من مزدلفة مع النساء والضعفة

وفي مسلم مضت أم حبيبة من جمع بليل أي في نصف الليل وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفه أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة فلما كان وقت الفجر قام صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس أي بالمزدلفة الصبح مغلسا ثم أتى المشعر الحرام فوقف به أي وهو راكب ناقته واستقبل القبلة ودعا الله وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا وجاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة لأمته يوم عرفة فأجيب بأنه يغفر لها ما عدا المظالم ثم دعا بذلك أي بالمغفرة لأمته بمزدلفة فأجيب إلى ذلك أي إلى غفران المظالم فجعل إبليس لعنه الله يحثو التراب على رأسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله وجاء ما بين أن المراد بالأمة من وقف بعرفة

ثم إنه صلى الله عليه وسلم دفع أي من المشعر الحرام قبل أن تطلع الشمس أي قال جابر رضي الله تعالى عنه وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس واردف خلفه الفضل بن العباس وجاءته امرأة تسأله فقالت له يا رسول الله إن فريضة الله على عباده الحج أدركت أي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر وفي لفظ آخر فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول وجهه إلى الشق الآخر وفي لفظ آخر أنه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل فقال له أبوه العباس رضي الله عنهما يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى محسر حرك ناقته قليل وسلك الطريق التي تسلك على جمره العقبة فرمى بها من أسلفها سبع حصيات التقطها

له عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخذف بفتح الخاء المعجمة وإسكان الذال المعجمة وهذا لا يخال ما عليه أئمتنا من أن الأولى أن يلتقط حصى الرمي من مزدلفة ويكره أخذه من المرمى لجواز أن يكون القتط له ذلك من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فأمر ابن عباس بالتقاطه

لكن الذي في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا أي الوادي المعروف وهو أول منى قال عليكم بحصى الخذف الذي ترمى به الجمرة وهو يدل على أن أخذ الحصى من ذلك أولى إلا أن يقال يجوز أن يكون قال ذلك لجماعة تركوا أخذ ذلك من مزدلفة وأمر صلى الله عليه وسلم بمثلها ونهى عن أكبر منها وقطع صلى الله عليه وسلم التلبية عند الرمي وصار يكبر عند رمي كل حصاة وهو راكب ناقته وفي رواية على بغلة قال بعضهم وهو غريب جدا وبلال وأسامة أحدهما أخذ بخطامها والآخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك

وفي رواية فرأيت بلالا رضي الله تعالى عنه يقود براحلته وأسامة بن زيد رضي الله عنه رافعا عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة وخطب صلى الله عليه وسلم على بغلة الشهباء وقيل على بعير بمنى خطبه قرر فيها تحريم الزنا والأموال والأعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأبي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأبي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا أعادها مرارا ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأمرهم صلى الله عليه وسلم بأخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك وكان وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب في اليوم الأول واليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها ويقال له يوم النفر الأول لجواز النفر فيه كما يقال لليوم الثالث في أيام التشريق يوم النفر الآخر

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة أي وهي التي

قدم بها من المدينة وذلك بيده الشريفة لكل سنة بدنة قال بعضهم وفي ذلك إشارة إلى منتهى عمره صلى الله عليه وسلم لأن عمره صلى الله عليه وسلم كان في ذلك اليوم ثلاثا وستين سنة فنحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لكل سنة بدنة وطبخ له اللحم من لحمها وأكل منه أي أخذ من كل بدنة بضعة فجعل ذلك في قدر وطبخ فاكل من ذلك اللحم وشرب من مرقته ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فنحر ما بقي وهو تمام المائة أي ولعله الذي أتى به علي كرم الله وجهه من اليمن هذا وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا فنحر ما بقي منها ويقال له اقسام لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزارا منها شيئا وخذ لنا من كل بيعر جذية من لحم واجعلها في قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحشو من مرقها ففعل وأخبر صلى الله عليه وسلم أن منى كلها منحر وأن فجاج مكة كلها منحر ثم حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف أي حلقه معمر بن عبد الله وقال له هنا وأشار بيده إلى الجانب الأيمن فبدأ بشقه الأيمن فحلقة ثم بشقه الأيسر وقسم شعره فأعطى نصفه لأبي طلحة الأنصاري أي شعر نصف رأسه الأيسر بعد ان قال ههنا أبو طلحة وقيل أعطاه لأم سليم زوج أبي طلحة رضي الله عنهما وقيل لأبي كريب وأعطى منه نصفه الثاني أي الذي هو الأيمن الشعرة و الشعرتين للناس وفي رواية ناول صلى الله عليه وسلم الحلاق شقه الأيمن فحلقة ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناول الحلاق الشق الأيسر فحلقة وأعطاه أبا طلحة وقال اقسمه بين الناس

قال في النور والحاصل أن الروايات اختلفت في مسلم في بعضها أنه أعطاه الأيسر وفي بعضها أنه أعطاه الأيمن ورجح ابن القيم أن الذي اختص به أبو طلحة هو الشق الأيسر أقول الذي في مسلم قال للحلاق ها وأشار بيده إلى جانبه الأيمن فقسم شعره بين من يليه وفي رواية فوزعه الشعرة والشعرتين ثم أشار إلى الحلاق وإلى جانبه الأيسر فحلقة فأعطاه لأم سليم وفي رواية قال ههنا أبو طلحة وفي لفظ أين أبا طلحة فدفعه إلى أبي طلحة

وفي رواية ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقة ثم دعا أبا طلحة فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فحلقة وأعطاه أبا طلحة فقال أقسم بين الناس والجمع ممكن بين هذه الروايات والله أعلم

وعن بعضهم قال شقت قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك وهو في الحرب فسقطت فطلبها طلبا حثيثا فعوتب في ذلك فقال إن فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها وعن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقة وقد طاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ثم تطيب صلى الله عليه وسلمطيبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الإفاضة ويقال له طواف الركن ويقال له طواف الصدر والأشهر أن طواف الصدر طواف الوداع وحلق بعض أصحابه وقصر بعض آخر وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فأعاد صلى الله عليه وسلم وأعادوا ثلاثا وقال في الرابعة والمقصرين

والصحيح المشهور أنه قال ذلك في هذه الحجة التي هي حجة الوداع كما قال ذلك في الحديبية كما تقدم وقيل لم يقله إلا في الحديبية وبه جزم امام الحرمين في النهاية وقال النووي ولا يبعد أن يكون وقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم في الموضعين قال في فتح الباري بل هو المتعين لتضافر الروايات في الموضعين أي فإن في مسلم في حجة الوداع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين ثم نهض صلى الله عليه وسلم راكبا إلى مكة فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة قبل الظهر وشرب من نبيذ الساقية

فعن ابن عباس رضي الله عنهما مر النبي صلى الله عليه وسلم عاى راحلته وخلفه أسامة رضي الله عنه فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ أي من سقاية العباس رضي الله عنه فإنهم كانوا يضعون في السقاية التمر والزبيب كما تقدم فشرب صلى الله عليه وسلم وسقى فضله لأسامة رضي الله تعالى عنه وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ثم شرب صلى الله عليه

وسلم من ماء زمزم بالدلو قيل وهو قائم وقيل وهو على البعير والذي نزع له الدلو عمه العباس بن عبد المطلب أي وفعل ذلك عند فتح مكة أيضا كما تقدم وقيل لما شرب صلى الله عليه وسلم صب منه على رأسه الشريف وعن ابن جريح أنه صلى الله عليه وسلم نزع الدلو لنفسه

وقيل إن هذا يخالف ما تقدم من قوله لولا أن الناس يتخذونه نسكا لنزعت ومن قوله يوم فتح مكة لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى فصلى بها الظهر كما اتفق عليه الشيخان وقيل صلاة بمكة وبه انفرد مسلم ورجع بأمور

وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون صلى الظهر بمكة أول الوقت ثم رجع إلى منى فصلها مرة أخرى بأصحابه أي الذين تخلفوا عنه بمنى فإنه صلى الله عليه وسلم وجدهم ينتظرونه فهي له صلى الله عليه وسلم معادة قال بعضهم وهذا مشكل على من لا يجوز الإعادة

وعورض هذا بأنه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين من بدنة ونحر علي كرم الله وجهه بقية المائة وأخذ من كل بدنة بضعة و وضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس تطيب وخطب فكيف يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت ويعود إلى منى في وقت الظهر

على أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى رواه أبو داود وأجيب بأن النهار كان طويلا فلا يضر صدور أفعال منه صلى الله عليه وسلم كثيرة في صدر ذلك اليوم

على أن ابن كثير رحمه الله قال لست أدري أن خطبته صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أكانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه إلى منى

أما رواية عائشة رضي الله تعالى عنها المقتضية لكونه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت فأجاب بعضهم عنها بأنها ليست نصا في ذلك بل تحتمل فليتأمل

فإن قيل روى البخاري وأهل السنن الأربعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الزيارة

إلى الليل وفي لفظ زار ليلاً قلنا المراد بالزيارة زيارة مجيئه لا طواف الزيارة الذي هو طواف الإفاضة

فقد روى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالي مني وهو قول عروة بن الزبير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجزأ الطواف يوم النحر إلى الليل فقد أخذ من قول عائشة المتقدم وقد علمت ما فيه

وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات وعليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم النحر بالنهار والأشبه أنه كان قبل الزوال هذا كلامه

وطافت أم سلمة رضي الله عنها في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس قالت وطفنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور

أي وعورض ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة رضي الله عنها ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت كيف يلتئم هذا مع طوافه قبل الظهر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك الوقت بمكة

ويجاب بأنه يجوز أن يتكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وإن كانت قدمت مكة قبل الفجر

وعورض بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال

ويجاب بأن كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور شهادة نفي على من ثبتت وأم سلمة رضي الله عنها لم تدع أنها سمعت قراءته صلى الله عليه وسلم

ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ أي رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ

أي عند قدومه مكة لطواف الوداع عند الكعبة وأصحابه وقرأ في صلاته والطور بكمالها قال ويؤيد ذلك ما روى عن أم سلمة قالت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنني اشتكى قال طوفي من راء الناس وأنت راكبة ومضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ\* (والطور وكتاب مسطور)\*

أي وحينئذ يكون ما قدم تقدم من قول الرواي وطافت أم سلمة في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر وقوله في الرواية الأخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل

النحر ثم مضت فأفاضت أي طافت طواف الإفاضة وما جاء عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوي أو من الناسخ وإنما هو يوم النفر ويقال بمثل ذلك فما قبله فليتأمل فإنه سيأتي في بعض الروايات أنه طاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح إلا أن يقال إنه صلى الله عليه وسلم مكث بعد الطواف لصلاة الصبح حتى صلاها وفيه أن بعضهم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت أي طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم وطافت في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت من حيضها وكانت حائضا يوم عرفة أي كما تقدم وطافت أيضا صافية رضي الله عنها في ذلك اليوم

وسئل صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عما تقدم بعضه على بعض من الرمي والحلق والنحر والطواف فقال لا حرج أي لا إثم

ففي مسلم عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في جة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر أن التحلل قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر فقال اذبح ولا حرج ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج وجاءه آخر فقال إني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أيضا في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالبيت أي فمن شاء قدم السعي عقب طواف القدوم ومن شاء أخره عن طواف الإفاضة وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أتى بالسعي عقب طواف القدوم

وأقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة أيام يرمي الجمار أي ماشيا في ذهابه وإيابه وأمر صلى الله عليه وسلم شخصا أن ينادي في الناس بمنى إنها أيام أكل وشرب وباءة ورمي لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال أي قبل الصلاة للظهر سبع حصيات يبدأ بالتي تلي مسجد منى أي الخيف ويقف عندها للدعاء ثم التي تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعاء ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء أي وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم

يرمين بالليل وخطبهم أي الناس في اليوم الأول من أيام منى كما تقدم ويقال لذلك اليوم يوم القر لأنهم يقرون فيه منى وهو يوم الرؤوس لأكلهم الرؤوس في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني من أيام منى وهو يوم النفر الأول أي ويقال له يوم الأكارع أي لأكلهم الأكارع في ذلك اليوم

وأوصى بذي الأرحام خيرا فقد خطب صلى الله عليه وسلم في الحج خمس خطب الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة يوم القر بمنى والخامسة يوم النفر الأول بمنى أيضا ثم نهض صلى الله عليه وسلم من منى في اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون بعد الزوال أي وبعد الرمي واستأذنه عمه العابس رضي الله عنه في عدم المبيت بمنى في الليالي الثلاث من أجل السقاية فرخص له في ذلك

وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو الأبطح أي ضربها له أبو رافع رضي الله عنه وكان على ثقله ولم يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك فعن أبي رافع رضي الله عنه لما يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بالأبطح ولكنني جئت فضربت قبة فجاء فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لأسماء رضي الله عنه غدا ننزل بالمحصب إن شاء الله وهو المحل الذي تحالف فيه قريش وكنانة ن على منابذة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أي وكان ذلك سببا لكتابة الصحيفة

وفيه أنه تقدم في فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون عند شعب أبي طالب المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب وأنه خيف بني كنانة الذي تقاسمت قريش فيه حملتهم

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم إن عائشة رضي الله عنها قالت له يا رسول الله أأرجع بحجة ليس معها عمرة فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال اخرج بأختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما حتى تأتياني ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفي لفظ فاعتمرنا

من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني وفرغنا من طوافها في جوف الليل فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما من طوافكما قلنا نعم فأذن في الناس بالرحيل وفي رواية فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة إليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها

واعترض كيف يأتي قولها عمرتي التي فاتتني مع قوله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجتك وعمرتك وكيف أقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك وأجيب بأنها لما رأت صواحبها أتين بعمرة ثم بحج وهي لم تأت إلا بحج أحببت ان تأتي بعمرة أخرى زائدة على الحج وإن كانت العمرة مندرجة فيه وأقرها صلى الله عليه وسلم تطيبا لخاطرها لأنه صلى الله عليه وسلم كان معها إذا هويت الشيء الذي لا مخالفة فيه للشرع تابعها عليه وبهذا استدل أئمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع

وأمر صلى الله عليه وسلم الناس أن ينصرفوا أي إلى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت أي الذي هو طواف الوداع ورخص صلى الله عليه وسلم في ترك المؤمنين ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضها كصفيه أم المؤمنين رضي الله عنها فإناه حاضت بعد طواف الإفاضة ليلة النفر من منى أي وقالت ما أراني إلا حابستكم لانتظار طهري وطواف الوداع فقال لها صلى الله عليه وسلم أو ما كنت طفت يوم النحر أو في لفظ ما كنت طفت طواف الإفاضة يوم النحر قالت بلى قال لا بأس انفرى معنا وفي رواية قال يكفيك ذلك أي لأنه هو طواف الركن الذي لا بد لكل أحد منه بخلاف طواف الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر التطهر وتأتي به ولادم عليها في تركه قال الإمام النووي رحمه الله وهذا مذهبا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى عن بعض السف وهو شاذ مردود

ثم إنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في تلك الليلة وطاف طواف الوداع سحر اقبل صلاة الصبح ثم خرج من الثانية السفلى ثنية كدى بضم الكاف والقصر وهو عند باب شبكة متوجها إلى المدينة أي التي خرج منا لما فتح مكة كما تقدم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المسجد من باب الحزورة ويقال له باب الخناطين وجاء عن جابر رضي الله عنه أن خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان ثم إنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في تلك الليلة وطاف طواف الوداع سحر اقبل صلاة الصبح ثم خرج من الثانية السفلى ثنية كدى بضم الكاف والقصر وهو عند باب شبكة متوجها إلى المدينة أي التي خرج منا لما فتح مكة كما تقدم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المسجد من باب الحزورة ويقال له باب الخناطين وجاء عن جابر رضي الله عنه أن خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان

(۳۳۴)

عند غروب الشمس فلم يصل حتى اتى سرف قال بعضهم لعل هذا كان في غير حجة الوداع فإنه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت بعد الصلاة الصبح فماذا أخره إلى وقف الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه وما روى أنه صلى الله عليه وسلم رجع بعد طواف الوداع إلى المحصب غير محفوظ

أقول هذا جمع به الإمام النووي رحمه الله بين الروايات المتقدمة عن عائشة حيث قال ووجه الجمع أنه صلى الله عليه وسلم بعث عائشة مع أخيها بعد نزوله المحصب وواعدها أن تلحقه بعد اعتمارها ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم بعد ذهابها فقصد البيت ليطوف طواف الوداع ثم رجع بعد فراغه من الطواف الوداع فلقبها وهو صادر وهي داخلة لطواف عمرتها ثم لما فرغت لحقته وهو في المحصب قال وأما قولها فأذن في أصحابه فخرج ومر بالبيت وطاف فمتأول بأن في الكلام تقديما وتأخيرا وإلا فطوافه صلى الله عليه وسلم كان بعد خروجها إلى العمرة وقبل رجوعها وأنه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه فليتأمل فكانت مدة دخوله صلى الله عليه وسلم إلى مكة وخروجه منها عشرة أيام وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بعمرة بعد حجة وهو لا يناسب القول بأنه أحرم مفردا بالحج بل يدل للقول بأنه أحرم قارنا أو نواهما بعد إطلاق الإحرام أو ادخل الحج على العمرة وفي كلام بعضهم لم يعتمر صلى الله عليه وسلم تلك السنة عرمة مفردة لا قبل الحج ولا بعده ولو جعل حجه منفردا لكان خلاف الأفضل أي لأنه لم يقل أحد إن الحج وحجه من غير اعتمار في سنته أفضل من القرآن وفي كلام بعض آخر أجمعوا على أنه لم يعتمر بعد الحج فتعين أن يكون متمتعا تمتع قران

وقد يطلق الأفراد على الاتيان بأعمال الحج فقط وإن كان قد أحرم بهما معا كما أن القران قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين فمن روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أفرد الحج أراد به أنه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة في هذه الحجة التي هي حجة الوداع

ولما طاف صلى الله عليه وسلم سبعا وقف في الملتزم بين ركن الحجر وبين باب الكعبة فدعا الله وألzf جسده أي صدره الشريف ووجهه بالملتزم أي ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى محل بين مكة والمدينة يقال له غدِير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل علي كرم الله وجهه وبراءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جورا وبخلا والصواب كان معه كرم الله وجهه في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب أي وفي لفظ في الطبراني فقال يا أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وجهت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال صلى الله عليه وسلم أليس تشهدون ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد الحديث ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته أي فقال إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن تتفرقا حتى تردا علي الحوض وقال في حق علي كرم الله وجهه لما كرر عليهم ألسنت أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه صلى الله عليه وسلم بالتصديق والاعتراف ورفع صلى الله عليه وسلم يد علي كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار وهذا أقوى ما تمسكت به الشيعة والإمامية والرافضة على أن عليا كرم الله وجهه أولى بالإمامة من كل أحد وقالوا هذا نص صريح على خلافته سمعه ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فلعل عليهم من الولاة ما كان له صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ألسنت أولى بكم وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي دواد وأبي حاتم الرازي وقول بعضهم إن زيادة اللهم وال من والاه إلى آخره موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها

وفد جاء أن عليا كرم الله وجهه قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشد الله من ينشد يوم غدیر خم إلا قام ولا يقوم رجل يقول أنبت أو بلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفي رواية ثلاثون صحابيا وفي المعجم الكبير ستة عشر وفي رواية اثنا عشر فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه فعلى مولاه وفي رواية فهذا مولاه وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه و كنت ممن كتم فذهب الله ببصرى وكان علي كرم الله وجهه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه في سائر الأمصار وطار في جميع الأقطار بلغ الحارث بن النعمان الفهري فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه ثم قال يا محمد إنك أمرتنا أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا ذلك منك وإنك أمرتنا أن نصلي في اليوم واللييلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته وقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شيء من الله أو منك فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني قالها ثلاثا فقام الحارث هو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك وفي رواية اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء أو أتتنا بعذاب أليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى \* (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) \* الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في حدود الأربعمائة في دولة بني بويه وما جاء من صام يوم ثمانى عشرة من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال بعضهم قال الحافظ الذهبي هذا حديث منكر جدا أي بل كذب

فقد ثبت في الصحيح ما معناه أن صيام شهر رمضان بعشرة اشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهرا هذا باطل هذا كلامه فلي تأمل وقد رد عليهم في ذلك بما بسطته في كتابي المسمى بالقول المطاع في الرد على أهل

الابتداع لخصت فيه الصواعق للعلامة ابن حجر الهيثمي وذكرت أن الرد عليهم في ذلك من وجوه

أحدهما أن هؤلاء الشيعة والرافضة اتقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الإمامة من الأحاديث وهذا الحديث مع كونه آحادا طعن في صحته جماعة من أئمة الحديث كأبي داود وأبي حاتم الرازي كما تقدم فهذا منهم مناقضة ومن ثم قال بعض أهل السنة يا سبحان الله من أمر الشيعة والرافضة إذا استدللنا عليهم بشيء من الأحاديث الصحيحة قالوا هذا خبر واحد لا يغني وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموا أتوا بأخبار باطلة كاذبة لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الآحاد التي منها أنه قال لعلي أخي ووصي وخليفتي في ديني بكسر الدال وخبر أنت سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وخبر سلموا على علي بإمرة الناس فإنها أحاديث كاذبة موضوعة مفتراة عليه أفضل الصلاة والسلام

ثانيها أن اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها أنه السيد الذي ينبغي محبته ويجتنب بغضه ويؤيد إرادة ذلك أن سبب إيراد ذلك أن عليا كرم الله وجهه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن من الصحابة وهو بريدة قدم هو وإياه عليه صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة التي هي حجة الوداع وجعل يشكوه له صلى الله عليه وسلم لأنه حصل له منه جفوة فجعل يتغير وجه رسوله صلى الله عليه وسلم وقال يا بريدة لا تقع في علي فإن عليا مني وأنا منه أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه فقال ذلك لبريدة خاصة ثم لما وصل صلى الله عليه وسلم إلى غدير خم أحب أن يقول ذلك للصحابة عموما أي فكما عليهم أن يحبوني فكذلك ينبغي أن يحبوا عليا وعلى تسليم أن المراد أنه أولى بالإمامة فالمراد في المال لا في الحال قطعا وإلا لكان هو الإمام مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمال لم يعين له وقت فمن أين أنه عقب وفاته صلى الله عليه وسلم ووجاز أن يكون بعد أن يعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك أنه كرم الله وجهه لم يحتج بذلك إلا بعد أن يعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك أنه كرم الله وجهه لم يحتج بذلك إلا بعد أن آلت إليه الخلافة ردا على من نازعه فيه كما تقدم فسكوته كرم الله جهة عن الاحتجاج بذلك إلى أيام خلافته قض على كل من له أدنى عقل فضلا عن فهم بأنه لا نص في ذلك على إمامته عقب وفاته صلى الله عليه وسلم

ثالثها أنه تواتر النقل عن علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عند موته على خلافة أحد لا هو ولا غيره فقد قيل له كرم الله وجهه كما يأتي حدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد إلا بردتي هذه وفي رواية ما تركت أخا بني تيم و عدي يعني أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتها بيدي

رابعها أنه لو كان هذا الحديث نصا على إمامته لم يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس رضي الله عنه لما قال له العباس اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الأمر فينا علمنا وأيضا لو كان الحديث نصا لكان لما قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأن الأئمة من قريش قالوا له قد ورد النص بخلافة علي كرم الله وجهه ولم يكن بين ذكر الحديث في غدیر خم وبين ذلك إلا نحو شهرين فاحتمال النسيان على علي والعباس وعلى جميع الأنصار رضي الله تعالى عنهم من ابعده البعيد على أنه ورد أنه لما قيل لعلي إن الأنصار قالوا منا أمير ومكم أمير قال كرم الله وجهه هلا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم مع الوصاية بهم ودعوى الرافضة والشيعية أن الصحابة رضوان الله عليهم علموا هذا النص ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة إذ هي ظاهرة البطلان لأن في ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم رضي الله تعالى عنهم معصومون عن أن يجتمعوا على ضلالة ومن العجب العجيب أن بغض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحبة بسبب ذلك وأن عليا كرم الله وجهه كفر لأنه أعان الكفار على كفرهم وأما دعواهم أنا عليا ان ترك النزاع في أمر الخلافة تقية وامثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسلم سيفا فكذب وافتراء إذ كيف يجعله إماما على الأمة ويمنعه أن يسلم سيفا على من امتنع من قبول الحق وكيف منع سل السيف على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم مع قلة أتباعهم وكثرة أتباعه وسله على معاوية رضي الله تعالى عنه مع وجود من معه من الألو ف ولما ساغ له أن يقول كما تقدم

لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم  
وعدي ينوبان على منبهر صلى الله عليه وسلم ولما بين سبب تركه لمقاتلة أبي بكر  
وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية بأن أبا بكر اختاره صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه  
فولاهما عمر فبايعناه وأعطيت ميثاقي لعثمان فلما مضوا بايعني أهل الحرمين وأهل  
المصريين البصرة والكوفة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا عمله كعلمي  
ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية رضي الله تعالى عنه كما سيأتي  
ومن

ثم لما قيل للحسن المثنى ابن الحسن السبط إن خبر من كنت مولاه فعلى مولاه نص  
في إمامة علي كرم الله وجهه قال أما والله لو يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك  
الإمارة والسلطان لأفصح لهم ولقال لهم يا أيها الناس هذا وال بعدني والقائم عليكم  
بعدي فاسمعوا له وأطيعوا والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليه في  
ذلك ثم تركه كان أعظم خطيئة

وقد سئل الإمام النووي رحمه الله هل يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم من  
كنت مولاه فعلى أنه كرم الله وجهه أولى بالإمامة من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى  
عنهما فأجاب إنه لا يدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم أهل هذا الشأن  
وعليهم الاعتماد في تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه فعلى كذلك  
وقد قيل في سبب ذلك أن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال لعلي كرم الله  
وجهه لست مولاي وإنما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة بات بها أي لأنه  
صلى الله عليه وسلم كان كره أن يدخل المدينة ليلا

ولما رأى المدين كبر ثلاث مرات وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله  
الحمد وهو على كل شيء قدير آيون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق  
الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهارا  
من طريق المعرس بفتح الراء المشددة

باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم  
قد اعتمر صلى الله عليه وسلم أي بعد الهجرة أربع عمر فقد قال بعضهم لا خلاف أن  
عمره صلى الله عليه وسلم لم تزد على أربع أي كلهن في ذي القعدة مخالفا

للمشركين فإنهم كانوا يكرهون العمر في أشهر الحج ويقولون هي من أفجر الفجور  
أي كما تقدم  
وأول تلك الأربعة عمرة الحديبية أي وكانت في ذي القعدة التي صده فيها المشركون  
عن البيت

وثانيها عمرته صلى الله عليه وسلم من العام المقبل أي وهي عمرة القضاء وكانت في  
ذي القعدة كما تقدم وعن قتادة رضي الله تعالى عنه كان المشركون فجروا عليه صلى  
الله عليه وسلم حيث ردوه في الحديبية وكان في ذي القعدة فاقتص الله منهم وأدخله  
مكة في ذلك الشهر الذي هو ذو القعدة وأنزل الله \* (الشهر الحرام بالشهر الحرام) \*  
وثالثها عمرته صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت  
في ذي القعدة ودخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلا ف قضى عمرته ثم خرج من ليلته  
فأصبح بالجعرانة كبئت بها ومن ثم خفيت على الناس كما تقدم  
ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع أي التي دخلت في الحج بناء على  
أنه أحرم قارنا أو التي أدخلها على الحج بناء على أنه أحرم بالحج خصوصية له أو  
عينهما بعد أن أحرم مطلقا على ما تقدم فإنه أحرم لخمس بقين من ذي القعدة وقد  
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا سوى  
التي قرنها بحجة الوداع

وأخرج البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة  
إلا التي في حجته أي فإنه لم يوقعها في ذي القعدة بل أوقعها في ذي الحجة تبعا للحج  
وأما إحرامه بها فكان في ذي القعدة في خمس بقين منه كما تقدم  
وأخرج أيضا أن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال كنت أنا وابن عمر  
مستندين إلى حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وإنما نسمع صوتها بالسواك تستن  
فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم  
فقلت لعائشة أي أمته ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول  
اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما  
اعتمر عمره إلا وهو شاهدها وفي رواية إلا وهو معه وما اعتمر في رجب قط أي وإنما  
اعتمر في ذي القعدة

ولكن روى الدارقطني رحمه الله عنها رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجت مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان فأمطر وصمت وقصر وأتممت قال

في الهدى إنه غلط عليها وهو الأظهر فإنه صلى الله عليه وسلم ما اعتمر في رمضان قط أقول وزاد بعضهم أنه اعتمر أيضا عمرتين عمرة في رجب وعمرة في شوال فيكون اعتمر ستة إلا أن يقال يجوز أن يكون مستند القائل بأنه اعتمر في رجب قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما المتقدم وقد تقدم رده وجزاز أن يكون قوله اعتمر في شوال أي خرج للعمرة في شوال وهي العمرة التي كانت في ضمن حجة الوداع والله أعلم باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم

التي يمكن التحدي بها سواء تحدي بها بالفعل كالقرآن وتمنى اليهود الموت أولا وتلك المعجزة اصطلاحا هي الحاصلة له صلى الله عليه وسلم بعد البعثة إلى وفاته وأما الأمور الحاصلة له بين يدي أيام مولده وبعثته وقبل ذلك من الأمور الخارقة للعادة الغربية الموهنة للكفر التي يعجز عن بلوغها قوي البشر ولا يقدر عليها إلا خالق القوى والقدر لأنها في الاصطلاح يقال لها إرهابات وتأسيسات للرسالة لا تسمى في الاصطلاح معجزات

وهي إذا تليت على قلب المؤمن زادته إيمانا وإذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته إيقانا فإن كل من أرسله الله عز وجل لم يخله من آية أيده بها مخالفة للعادات لكون ما يدعيه من الرسالة مخالفا لها فيستدل بتلك الآية على صدقة فيما يدعيه لأن اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها

وقد كانت للأنبيا أي الرسل معجزات مختلفه أي وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة وأعظمهم آية وأظهرهم برهانا أي فقد جاء مامن الأنبياء من نبي إلى وقد أعطى من الآيات من آمن عليه البشر أي آمنوا بسبب إظهاره وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله عز وجل إلي وهو القرآن لأنه الذي تحداهم به فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة

أي فإنه لما غلب السحر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه في معجزاته فألقى العصا وقلق البحر ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام جاءهم بالقرآن وهذا السياق يدل على أن المعجزة خاصة بالرسول عليهم الصلاة والسلام ويوافق ذلك قول صاحب المواقف وشرحه وهي أي المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به إظهار صدق من ادعى بأنه رسول الله

لكنه قال في شروط المعجزة الرابع ان يكون اى الامر الخارق للعادة ظاهرا على يد مدعى النبوة ليعلم انه تصديق له انتهى فيحتمل انه أراد بالنبوة الرسالة ويتحتمل انه أراد بها ما يعم الرسالة للشخص نفسه لان النبي غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوة متضمنه لدعواه الرسالة لنفسه فهو رسول إلى نفسه فتكون المعجزة عانه في حق الرسول والنبي الذي ليس برسول

ومما يؤيد هذا الثاني قول النسفي رحمه الله في عقائده وأيدهم قال السعد رحمه الله اى الأنبياء بالمعجزات الناقضات للعادات

ثم قال وقد روى بيان عددهم في بعض الأحاديث قال السعد على ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال مائة الف وأربعة وعشرون ألفا وفى رواية مائتا الف وأربعة وعشرون ألفا ويؤيده أيضا قول الإمام السنوسي في شرح عقيدته الكبرى ان معجزة النبي غير الرسول يجوز ان تتأخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا إلى آخر ما ذكر ومما يؤيد هذا الثاني أيضا ما نقله في الخصائص الصغرى عن بعضهم وأقره فرض الله على الأنبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الأولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها انتهى فقد قابل بين المعجزة والكرامة وفيه تصريح بأنه يجب على النبي غير الرسل اظهار المعجزة وعن القرافى المالكي رحمه الله انه يجب على النبي انه يخبر بنبوته وذكر في الأصل ان الغرض ذكر نبذه من معجزاته صلى الله عليه وسلم والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم كالبحر المتدافق بالأمواج

وفد ذكر بعض العلماء ان معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وفى كلام بعض اخر انه صلى الله عليه وسلم اعطى ثلاثة آلاف معجزة أي غير القران فان فيه ستين وقيل سبعين الف معجزة تقريبا

قال في الخصائص قال الحلبي وليس في شئ معجزات غيره ما ينجو نحو اختراع الأجسام فان ذلك من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة هذا كلامه وفيه ان هذا معارض بقول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام \* (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) \* الآية والغرض ذكر تلك النبذه مجموعته وان كان أكثرها قد سبق لكنه مفرق اى وانبه على ما تقدم بقولي اى كما تقدم واسكت عن ذلك فيما لم يتقدم

فمن معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو أعظمها القرآن اى لأنه تعالى اتى به مشتملا على اخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء الماضية التي عرفها أهل الكتاب وهو صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرا ولا يكتب ولا عرف بمجالسه الكهان والأخبار لأنه صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين أظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار القرون الماضية والأمم السالفة التي اشتمل عليها اى ومن كان من العرب يكتب ويقراً ويجالس الأخبار لم يدرك علم ما أخبر به القرآن خصوصا عن المغيبات المستقبله الدالة على صدقه لوقوعها على اخبر به وقد اعجز الفحصاء البلغاء اى لحسن تاليفه والتام كلماته بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته أحكمت آياته وفصلت كلماته فحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه أحلامهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر وقد جاء على وصف مباين لأوصاف كلامهم النثر لان نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا الاشعار واسجاع الكهان

وقد تحداهم ودعاهم إلى معارضته والإتيان بأقصر سورة منه أي وهو دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل له ذلك إلا وهو واثق مستيقن أنهم لا يستطيعون ذلك لكونه من عند الله إذ استحيل أن يقول صلى الله عليه وسلم ذلك وهو يعلم أنه الذي تولى نظمه ولم ينزل عليه من عند الله إذ لا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه وهم أهل فصاحة وشعر وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا في البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير كذابا ولو كان في استطاعة أحد منهم ذلك لما عدلوا عن ذلك إلى المحاربة التي فيها قتل صناديدهم ونهب أموالهم وسبي ذراريهم أي لأن النفوس إذا قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع في المعارضة فهو ممتنع في نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال إنما لم تقع المعارضة منهم لأن الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لأنه وإن كان صرفهم عنها فيه إعجاز لكن الإعجاز في الأول أكمل وأتم وهو اللائق بعظيم فضل القرآن

ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ صلى الله عليه وسلم \* (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) \* وقال له أعده فأعاد ذلك قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وإنه ليعلو ولا يعلى

عليه وفي رواية قرأ عليه \* (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب) \*

الآيات فانطلق حتى أتى منزل أهله بني مخزوم فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إلى آخر ما تقدم ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأ قريش كلها فقال أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد على هيئة الحزين فمر به الوليد فقال له مالي أراك كئيبا قال وما يمنعني ان أحزن وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على أمرك وزعمو أنك إنما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه فغضب الوليد وقال أوليس قد علمت قريش أنني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام فانطلق مع أبي جهل حتى أتى مجلس بني مخزوم فقال هل تزعمون أن محمدا كذاب فهل رأيتموه كذبكم قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه خرفكم قط أي أتى بالخرافات من القول قالوا لا قال تزعمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما تخبر به الكهنة قالوا لا فعند ذلك قالت له قريش فما هو يا أبا المغيرة فقال إن هذا إلا سحر يؤثر

وقد سمع أعرابي رجلا يقرأ \* (فاصدع بما تؤمر) \* فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ \* (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) \* فقال أشهد أن مخلوقا لن يقدر على مثل هذا الكلام

أي ولما سمع الأصمعي من جارية خماسية أو سداسية فصاحة فعجب منها فقالت له أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى \* (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) \* الآية فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ولما أراد بعضهم معارضة بعض سوره وقد أوتى من الفصاحة والبلاغة الحظ الأوفى فسمع صبيا في المكتب يقرأ \* (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر) \* رجع عن المعارضة ومحا ما كتبه وقال والله ما هذا من كلام البشر قال بعضهم ولم يتحد صلى الله عليه وسلم بشيء من معجزاته إلا بالقرآن قال بعضهم كل جملة من القرآن معجزة وحفظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجحه بل لا يزال مع تكريره وترديده غضا طريا تتزايد حلاوته وتتعاظم محبته وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية يمل من الترداد ويعادي إذا أعيد يؤنس به في الخلوات

ويستراح بتلاوته من شدائد الأزمات واشتمل على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الإلهية وزيادة

وقد قال بعض بطارقة الروم لما أسلم لعمر رضي الله تعالى عنه إن آية \* (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه) \* جمعت جميع ما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من أحوال الدنيا والآخرة

قال الحلبي في مناجه ومن عظم قدر القرآن أن الله خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن هذا لنبي قط إنما يكون لكل من دعوة ثم يكون له حجة وغيرها وقد جمعها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن فهو دعوة وحجة دعوة بمعانيه حجة بألفاظه

وكفى الدعوة شرفاً أن تكون حجتها معها وكفى حجتها شرفاً أن لا تنفصل دعوتها عنها وجمع كل شيء أي خصوصاً الإخبار بالمغيبات وتوحد على طبق ما أخبر به والإخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين والأمم الماضية كقصص الأنبياء مع أممهم وتيسره للحفظ ولا تنقض عجايبه ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ومنها شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أي والتأمه من غير حصول أدنى ضرر ولا مشقة مع تكرار ذلك أربعاً أو خمساً كما تقدم ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس أي لما أخبر قريشاً بأنه أسرى به إلى بيت المقدس كما تقدم

ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بموت النجاشي يوم موته وصلاته عليه مع أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلي على عجل نصراني أي لم يره قط فأنزل الله تعالى \* (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم) \* الآية ومنا انشقاق القمر كما تقدم

ومنها ان الملائكة من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وجاءوا إلى منزله صلى الله عليه وسلم وقعدوا إلى بابه فخرج عليهم وقد خفضوا أبصارهم وسقطت ذقونهم في صدورهم وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشيء المقبوض وبفتحها المرة الواحدة

وقال شأهت الوجوه أي قبحت وألقاها على رؤوسهم فكل من أصابه شيء من ذلك  
قتل يوم بدر كما تقدم  
ومنها أنه صلى الله عليه وسلم هزم القوم يوم حنين بقبضة من تراب رمى بها في  
وجوههم كما تقدم له في بدر مثل ذلك  
ومنها نسج العنكبوت عليه صلى الله عليه وسلم في الغار أي وعلى بعض أتباعه كما  
تقدم  
ومنها ما وقع لسراقة رضي الله تعالى عنه من غوص قوائم فرسه في الأرض الجلد كما  
تقدم في خبر الهجرة  
ومنها در الشاة التي لم ينز الفحل عليها كما تقدم في قصة شاة أم معبد وفي قصة  
أخرى عن أبي العالفة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبياته التسعة يطلب طعاما  
وعنده ناس من أصحابه فلم يجد فنظر إلى عناق في الدار ما نتجت قط فمسح مكان  
ضرعها فدفت بضرع مدلى بين رجليها فدعا بقعب فحلب فيه فبعث إلى أبياته قعبا ثم  
قعبا ثم حلب فشرب وشربوا  
ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه أن يعز الله به الإسلام فكان  
كذلك كما تقدم  
ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعلي أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا  
منهما وكان كرم الله وجهه يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء  
ولا يتأثر كما تقدم  
أي ومن ذلك ما حدث به بلال رضي الله تعالى عنه قال أذنت في غداة باردة فخرج  
النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير في المسجد أحدا فقال أين الناس فقلت حبسهم البرد  
فقال اللهم أذهب عنهم البرد قال فلقد رأيتهم يتروحون في الصلاة  
ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد أصابه مرض واشتد به  
وسمعه يقول اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فاشقني وإن كان  
بلاء فصبرني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعد ذلك عليه فمسح صلى  
الله عليه وسلم بيده المباركة الشريفة ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض إليه

أي ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله تعالى عنه في الخندق ليلة انهزم الأحزاب بأن الله يذهب عنه البرد فكان كأنه يمشي في حمام كما تقدم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل في عيني علي كرم الله وجهه وهو أرمد فعوفي من ساعته كما تقدم في خيبر

أي ومنها أنه صلى الله عليه وسلم بصق في نحر كلثون بن الحصين وقد رمى فيه بسهم يوم أحد فبرأ كما تقدم

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على اثر سهم في وجه أبي قتادة في غزاة ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه كما تقدم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه يوم خيبر فبرئت كما تقدم

أي ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على رجل ورأس زيد بن معاذ رضي الله تعالى عنه حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الأشرف فبرأ كما تقدم

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق بن علي الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على يد معوذ بن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتصقت كما تقدم

ومنها أن محمد بن حاطب يحدث عن أمه أنها ولدت بأرض الحبشة وأنها خرجت به قال حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاما ففنى الحطب فذهب أطلب فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فقدمت المدينة فأتيت بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك أي بعد الإسلام قالت فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فيك ومسح على ذراعك ودعا لك ثم تفل على يدك ثم قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما قالت فما قمت من عنده صلى الله عليه وسلم حتى برئت يدك

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على عاتق خبيب وقد أصيبت يوم بدر بضربه على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه فالتصق كما تقدم ومنها رد عين قتادة بعد أن سألت على خده فكانت أحسن عينيه كما تقدم ومنها أن ضريرا شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ذهاب بصره وأنه لا قائد له فقال له صلى الله عليه وسلم توضحاً وصل ركعتين ولقنه دعاء فدعا به فأبصر لوقته أي ومنها أن رجلاً ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر قال بعضهم رأيتَهُ وهو ابن ثمانين يدخل الخيط في الإبرة ومنها أن عتبة بن فرقد السلمي كان يشم منه رائحة الطيب ولا يمس طيباً لكونه صلى الله عليه وسلم نفث في يده الشريفة ومر بها صلى الله عليه وسلم على جسده قال بعض نساء عتبه كنا أربع نسوة ما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبته وما يمس عتبة الطيب وإذا خرج إلى الناس قالوا ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة فقلن له يوماً إنا لنجهد في الطيب ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك فقال أخذني الشرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت إليه ذلك فأمرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه الشريفة وذلك بها الأخرى ثم مسح ظهري وبطني بيديه فعبق هذا الطيب من يديه يومئذ وإلى ذلك أشار صاحب الأصل بقوله رحمه الله

ورحمنا به

\* وعتبه لما مسه راح عاطرا

\* يضوع الشذا منه بأعطر ما يحوى

\*

ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما بأن الله يعلمه التأويل والفقهاء في الدين فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال اللهم علمه الكتاب وفي لفظ الحكمة وعنه رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءاً فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس قال اللهم بارك فيه وانشر منه فكان كما دعا ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجمل جابر رضي الله عنهما فصار سابقاً بعد أن كان مسبقاً كما تقدم

ومنها دعاءه صلى الله عليه وسلم لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا فقد ذكر أنه عاش فوق المائة وأخبر عنه نفسه أنه أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده حين قدم الحجاج البصرة وولد له بعد ذلك

أي ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة رضي الله عنهما بالإسلام فأسلمت فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أدعو أمي للإسلام وهي مشرقة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله قد كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة للإسلام فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مجاف أي مردود فسمعت أمي حس قدمي فقالت على رسلك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا

ومنها دعاءه صلى الله عليه وسلم في تمر حائط جابر رضي الله عنه بالبركة فأوفى منه ما عليه وهو ثلاثون وسقا بسبب دين استدانه والده من يهودي وفضل بعد ذلك ثلاثة عشر وسقا وفي رواية سبعة عشر وسقا أي مع قلة ما كان فيه من التمر حتى قال جابر رضي الله عنه كنت أود أن يؤدي الله دين والدي ولا أرجع إلى إختوتي بتمرة واحدة فإن النخل في ذلك العام لم يحمل إلا القليل وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي في أن يصبر إلى عام قابل وهو يأبى ويقول يا أبا القاسم لا أنظره فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف في النخيل ثم قال يا جابر جذ أي اقطع واقض فأخذت في الجذاذ ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجثته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذهبت فأخبرته فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها

وفي لفظ آخر عن جابر توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا النخل بما عليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال إذا جذذته ووضعت في المربرد فاعلمني فجذذته فلما وضعت في المربرد آذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة أي وهذا محمل رواية ودعا صلى الله عليه وسلم في تمر جابر بحذف حائط وقد يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم طاف في النخل أولا ودعا ثم لما قطع التمر ووضع في المربرد جاء وجلس عليه ودعا فلا مخالفة ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحدا له دين إلا قضيته وفضل مثله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال أشهد أنني رسول الله ومنها استسقاؤه صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعا ثم شكى له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبي لهب بأن يسلط عليه كلب فافترسه الأسد من بين القوم كما تقدم أي والأسد إنما يسمى كلبا لأنه يشبه الكلب في أنه إذا بال رفع رجله ومن ثم قيل إن كلب أهل الكهف كان أسدا وحكى أنه كان رجلا يسمى بالكلب لمالزمته للحراسة ويرده ما جاء ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقاة صالح وتقدم ذلك مع زيادة وأما عتبة مكبرا فقد أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه معتب هذا هو المشهور وبعضهم عكس فقال عتبة المكبر هو عقير الأسد وعتيبة المصغر هو الذي أسلم يوم الفتح ومنها شهادة الشجرة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت إلى منبتها ومنها أمره صلى الله عليه وسلم للشجرتين اللتين كانتا بشاطئ الوادي أن يجتمعا ليستتر بهما عند قضاء الحاجة فاجتمعتا ثم افتترقتا وذهبتا إلى محلهما كما تقدم في غزاة خيبر ومنها أمره صلى الله عليه وسلم أنسا أن يتلطف إلى نخلاته يقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن ليقضي حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن كما تقدم

ومنها مجيء الشجرة إليه صلى الله عليه وسلم لتظله وتسلم عليه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم نام أي في الشمس فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه لما استيقظ ذكر له ذلك فقال هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم علي فأذن لها ومنها حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومنها تسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم كما تقدم أي ومنها تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم آمين آمين آمين كما تقدم ومنها تسبيح الطعام بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم ومنها إعلام الشاة المسمومة له صلى الله عليه وسلم بأنها مسمومة كما تقدم ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه وسلم قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم أي ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها وفي لفظ من فجع هذه بفرخيها فقلنا نحن فقال صلى الله عليه وسلم ردهما إلى موضعهما ولا مانع من وجود البيض مع الفراخ ومنها سجود البعير له صلى الله عليه وسلم الذي استصعب على أهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر أحد أن يقرب إليه كما تقدم ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم في بعض حوائط الأنصار كما تقدم ومنها تكليم الجمل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومنها تكليم الحمار له صلى الله عليه وسلم في خيبر وهو اليعفور كما تقدم ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه وسلم أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادعاه ففي المعجم الكبير للطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصرنا بأرعابي أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجاء رجل آخر كأنه حرسي فقال الحرسي يا رسول الله هذا الأعرابي سرق سرب البعير فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله

صلى الله عليه وسلم ساعة فسمع رغاءه وحينه فلما هدا البعير اقبل على البي صلى الله عليه وسلم فقال للرجل انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الأعرابي فقال أي شيء قلت حين جئت لي قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقي صلاة وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل أبداه لي والبعير ينطق بعذرك وإن الملائكة قد سدوا الأفق أي ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلظفت بالشهادتين فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول الله خلصني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتر بطني فقال لها صيد قم وربيطة قوم ثم استحلفها ان ترجع فحلفت له فحلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوا له فحلها وعن زيد بن أرقم نحو هذا وزاد فأنا والله رأيتها لتسبح في البرية وتقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وذكر بعضهم أن حديث الغزاة موضوع أي ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم ومنها شهادة الضب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع المشركين بيد فلم يعد أحد منهم من مصرعة كما تقدم ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بأن طائفة من أمته يغزون البحر وأن أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم فكان كذلك كما تقدم ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه تصيبه بلوى شديدة فأصابته وقتل فيها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني والأثرة بضم الهمزة وسكون الثاء المثناة أي يستأسر عليكم غيركم بأمور

الدنيا فكان ما وقع في زمن معاوية في وقعة الجمل وصفين وفي زمن ولده يزيد في  
وقعة الحرة كما تقدم

ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة أي من  
الهجرة والذي ينبغي أن تكون المائة من حين وفاته صلى الله عليه وسلم لأن أبا الطفيل  
رضي الله عنه آخر من مات من الصحابة فكان موته بعد المائة من الوفاة  
وعن أب الطفيل رضي الله عنه قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على  
رأسي وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة

ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهو باب واسع جدا  
فمن ذلك أنه جيء إليه صلى الله عليه وسلم برجل سرق فقال اقتلوه فقيل له إنه سرق  
فقال اقتعوه ثم أتى به بعد إلى أبي بكر رضي الله عنه وقد سرق فقطع ثم ثالثة ورابعة  
إلى أن قطعت قوائمه ثم جيء به إلى أبي بكر وقد سرق فقال له أبو بكر رضي الله عنه  
لا أجد لك شيئا إلى ما قضى به فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك  
فإنه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لقيس بن خرشة العبسي رضي الله عنه وقد قال له يا  
رسول الله أبايعك على ما جاء من الله وعلى أن أقول الحق يا قيس عسى أن مر بك  
الدهر أن يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعك على  
شيء إلا وفيت به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذن لا يضرك شيء وكان  
قيس رضي الله عنه يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد ومن بعده فبلغ ذلك عبيد الله ابن  
زياد فأرسل إليه فقال له أنت الذي تفتري على الله وعلى رسوله فقال لا والله ولكن إن  
شئت أخبرتك بمن يفتري على الله ورسوله قال ومن هو قال من ترك العمل بكتاب الله  
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ومن ذلك قال أنت وأبوك ومن أمر كما قال  
وأنت الذي تزعم أنك لا يضرك بشر قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب اثتوني  
بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته أيتكن تنبجها كلام الحوآب وأيتكن  
صاحبة الجمل الأديب بالبدال المهملة والفك لغة في الأدب بالإدغام وهو كثير الشعر  
يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فكانت تلك عائشة رضي الله عنه فإنه

لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت عائشة بمكة لأنها خرجت إلى مكة وهو محاصر وكلمها مروان بن الحكم في عدم الخروج وقال لها لا تخرجي يا أمه فجاء إليها طلحة والزبير رضي الله عنهما بعد ان بايعا عليا على كره واستأذنا عليا كرم الله وجهه في العمرة فأذن لهما فقدموا مكة وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكة قبل المباعية لعلي فخرج مروان وغيره من أهل المدينة وجاء إلى عائشة رضي الله عنها يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان عاملا لعثمان باليمن فلما بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من على بعيره في أثناء الطريق فكسر فخذه وبلغه قتل عثمان فلا زالوا بعائشة حتى وافقت علي الخروج إلى العراق في طلب دم عثمان رضي الله عنه ودفع لها ذلك الجمل يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار وأعان الزبير بأربعمائة ألف دينار وصار يقول من خرج في طلب دم عثمان فعلي جهازه فحمل سبعين رجلا من قريش وطلبت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن يكون معهما فقال معاذ الله أن أدخل في الفتنة ويقال إن طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهم إلى الخروج معهم فقال لهم أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذا الأباطيل عنكم وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب كرم والله وجهه بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكما بايعتماه وسألتماه القيام بهذا الأمر ثم نكثتما بعد أن جعل الله عليكم شهيدا وإنه ما بدل ولا غير والقاتل لعثمان رضي الله عنه أخو زعيمكم ورئيسكم يعني عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فإنه أخذ بلحيته فضربها حتى تفلقت أضراسه وضربه بالمشقص فلما كانت عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق سمعت كلابا تنبح فسألت عن ذلك المحل فقيل لها هذا الحوآب فأرادت الرجوع لما تذكرت ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فإنها صرخت وأناخت بعيرها وقالت والله أنا صاحبة الحوآب ردوني ردوني ردوني فعند ذلك يقال إن طلحة والزبير أحضرا خمسين رجلا شهدوا أن هذا ليس بماء الحوآب وأن المخبر لها كذاب قال الشعبي وهي أول شهادة زورت في الإسلام وقال لها الزبير رضي الله عنه ولعل الله أن يصلح بك بين الناس فلما بلغ عليا كرك الله وجهه توجه عائشة ومن ذكر معها إلى العراق بعد أن كان أرد الذهاب إلى الشام وقام في الناس وقال ألا أن طلحة والزبير أم المؤمنين قد تمالتوا على سخط إمارتي وإني خارج إليهم ثم

جاءه الخبر أن ستين ألف شيخ تبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه أصابع زوجة عثمان فقال أمني يطبون دمع عثمان ولما أراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها أي المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يرجع إليها سلطان المسلمين فسبوه وقالوا له يا ابن اليهودية مالك ولهذا الأمر فقال لهم علي كرم الله وجهه دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم إن طلحة والزبير أم المؤمنين وصلوا إلى البصرة ووقع بينهم وبين أهل البصرة مقتلة كبيرة بعد أن افرقوا فرقتين إحداهما تقول صدقت وبرت يعني عائشة وجاءت بالمعروف وقال الأخرى كذبت ثم انحازت الأخرى إلى عسكر أم المؤمنين وقهروا أهل البصرة ونادى منادي الزبير وطلحة ألا من كان عنده أحد ممن غزا المدينة فليأت به فجيء بهم كما يجاء بالكلاب وكانوا ستمائة فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة إلا حرقوا بن زهير وكتب طلحة والزبير إلى أهل الشام إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله فوافقنا خيار أهل البصرة وخالفنا شرارهم ولم يفلت من قتله أمير المؤمنين عثمان من أهل البصرة إلى حرقوا بن زهير والله مقيده إن شاء الله وكتبوا لأهل الكوفة بمثله وكتبوا إلى أهل اليمامة بمثل ذلك وكتبوا إلى أهل المدينة بمثل ذلك ثم سار علي كرم الله وجهه إلى البصرة ثم أرسل إلى أهل الكوفة يستنفرهم إليه فنفروا إليه بعد أمور يطول ذكرها وكانوا سبعة آلاف والتقى الجيشان جيش علي كرم الله وجهه وجيش عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بعد أن كتب لطلحة والزبير أما بعد فقد علمتما أنني لما أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن رضي ببيعتي وأزمني إياها فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله وارجعا عما أنتما عليه فإنك يا طلحة شيخ المهاجرين وأنت يا زبير فارس قريش لو دفعتما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه والسلام

وكتب لعائشة رضي الله عنها أما بعد فإنك قد خرجت من بيتك تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين وطلبت بزعمك دم عثمان وأنت بالأمس تؤلّيين عليه فتقولين في ملا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا نعتلا فقد كفر قتله الله واليوم تطلبين بثأره فاتقى الله وارجعي إلى بيتك وأسبلي عليك سترك قبل أن يفضحك الله ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم فلما قرءوا الكتابين عرفوا أنه على الحق

وعند ذلك خرج طلحة والزبير رضي الله عنهما على فرسين وخرج إليهما علي كرم الله وجهه ودنا كل واحد من الآخر فقال لهما علي لعمرى لقد أعددتما خيلا ورجالا وسلاحا فاتقيا الله ولا تكونها \* (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) \* ألم تكونا أخوى في الله تحرمان دمي وأحرم دمكما فقال له طلحة رضي الله عنه ألبت الناس على عثمان فقال له علي كرم الله وجهه أنتما خذلتماه حتى قتل فسلط الله اليوم على أشرنا على عثمان ما يكره ثم توافقوا على الصلح وقتل من كان له دخل في قتل عثمان رضي الله عنه

وبات الفريقان على ذلك وبات الذي أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وباتوا يتشاورون ثم اتفقوا على انشباب الحرب فلما كان وقت الغلس ثاروا ووضعوا السلاح فثار الناس فخرج طلحة والزبير في وجوه الناس وقالوا ما هذا قالوا طرقتنا جيش علي فقالا علمنا أن عليا غير سفيه حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمه فقام علي كرم الله وجهه في وجوه الناس وقال ما هذا قالوا طرقتنا جيش عائشة فقال لقد علمت أن طلحة والزبير غير سفيهين حتى يستفكا الدماء ويستحلا الحرمه ونشبت الحرب فألبسوا هودج عائشة رضي الله عنها الدروع ووقفت على الجمل وصار كل من أخذ زمامه قتل وقتل طلحة رضي الله عنه جاءه سهم غرب يقال أرسله له مروان بن الحكم وهو كان في جيش أم المؤمنين وفي الزبير رضي الله عنه لما قال له علي كرم الله وجهه يا زبير أتذكر لما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تقاتلني وأنت ظالم لي فقال له علي كرم الله وجهه ترجع بالعار ولا ترجع بالنار فترك وذهب وصار الهودج مثل القنفذ من كثرة النشاب فعند ذلك عقروا الجمل ووقع الهودج على الأرض وجعلت تقول عائشة رضي الله عنها يا بني اتبعه ابتعنه

وعند ذلك قال علي كرم الله وجهه لمحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما انظر أختك هل أصابها شيء فلما جاءها وادخل بيده قالت من أنت قال ابن الخثعمية قالت محمد قال نعم قالت بأبي أنت وأمي الحمد لله الذي عافك وفي رواية قال لها أخوك محمد البار فقالت بل مذمم العاق تضرب عليها فسطاطا فلما كان من آخر الليل خرج بها وادخلها البصرة وانزلها في دار صفية بنت الحارث أم طلحة الطلحات وبكت

عائشة رضي الله عنها بكاء كثيرا قالت وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقد قال علي كرم الله وجهه مثل ذلك لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل إن القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا

ثم إن عليا كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين ثم دخل البصرة على بغلته متوجها لعائشة رضي الله عنها فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها ثم جهزها بكل شيء ينبغي لها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لا تعلمنها بأنكن نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وقال لأخيها محمد تجهز معها وفي رواية جهز معها أخيها عبد الرحمن في جماعة من شيوخ الصحابة فلما كان يوم خروجها جاء إليها علي كرم الله وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها ووودعتهم وقالت يا بني والله ما كان بني وابن علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه على معتبتي عليه عندي لمن الأخيار فقال علي أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وذهب معها نحو سبعة أميال ثم ذهبت إلى مكة حتى حجت ثم رجعت على المدينة وعلمت عند وصولها إلى مكة أن هؤلاء الرجال حولها نساء فإنهن كشفن عن وجوههن وعرفنها الحال فشكرت وقالت والله لا يزداد ابن أبي طالب إلا كرما

وقيل إن كعب بن سعد أتى عائشة رضي الله عنها وقال لعل الله أن يصلح بك والأولى الصلح والسكون والنظر في قتلة عثمان بعد ذلك فوافقت وركبت هودجها وقد ألبسوه الأدرع ثم بعثوا حملها وذهب إلى علي كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك فقال له قد أحسنت وأشرف القوم على الصلح فخافت قتلة عثمان رضي الله عنه فأشار عليهم ابن السوداء الذي هو السبائي هو أصل الفتنة أن يفترقوا فرقتين تكون كل فرقة في عسكر من العسكرين فإذا جاء وقت السحر ضربت كل فرقة منهما إلى العسكر الذي فيه الفرقة الأخرى فنادت كل فرقة في المعسكر الذي هي في غررنا ففعلوا ذلك فنشبت الحرب وحصل ما تقدم

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد ولعل الله أن صلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فصالح معاوية رضي الله عنها وحقن دماء الفئتين من المسلمين أي فإن الحسن رضي الله عنه لما بويع له بالخلافة يوم مات أبوه

كان في الخلافة سبعة اشهر وقيل ستة اشهر ولما سار إلى قتال معاوية كان معه أكثر من أربعين ألفا فلما سار عدا عليه شخص وضربه بخنجر في فخذه ليقتله فقال الحسن قتلتم أبي بالأمس ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهدا في العادلين ورغبة في القاسطين لتعلمن نبأ بعد حين

أي ويذكر انه بينما هو يصلي إذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإننا أمراؤكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم\* (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)\* فما زال يقولها حتى ما بقي احمد من أهل المسجد إلا وهو يبكي

ثم كتب إلى معاوية رضي الله عنهما بتسليم الأمر أي بعد أن أرسل إليه معاوية رضي الله عنه رجلين يكلمانه في الإصلاح فإن عمرو بن العاص لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية إني لأرى هذا الكتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فخلع الحسن رضي الله عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية تورعا وزهدا وقطعا للشر وإطفاء لثائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله المتقدم وغص منه شيعته حتى قال له بعضهم يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له لا تقل ذلك كرهت أن أقتلكم في طلب الملك وعند ذلك أي لما انبرم الصلح طلب منه معاوية رضي الله عنها أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه سلم الأمر إلى معاوية فأجابه إلى ذلك وصعد المنبر وحمد الله إلى أن قال في خطبته أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا إلا إن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه إما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي فإن كان حقي فقد تركته لله ولصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت رضي الله عنه إلى معاوية وقال\* (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)\* أي ثم انتقل من الكوفة إلى المدنية وأقام بها وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضي الله عنه أن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد إلى أحد من بعده عهدا

وقيل على أن يكون الأمر للحسن بعده فلما سم الحسن اتهم ذلك زوجته بنت الأشعث بن قيس وأن ذلك بدسياسة من يزيد ولد معاوية ووعداها أن يتزوجها وبذل

لها مائة ألف درهم حرصا على أن يكون الأمر له فإن معاوية عرض بذلك في حياة الحسن ولم يكشفه إلا بعد موته  
ولما جاء الخبر لمعاوية بموته رضي الله عنه قال يا عجا من الحسن بن علي شرب شربة من عسل بما رومة يعني بئر رومة فقضى نحبه وأتى ابن عباس رضي الله عنهما معاوية وهو لا يعلم الخبر فقال له معاوية هل عندك خبير المدينة قال لا فقال معاوية يا ابن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسؤك فأظهر عدم التشوش وقال أما ما أبقاك الله لي يا أمير المؤمنين فلا يحزنني الله ولا يسوءني فأعطاه على تلك الكلمة ألف ألف

وذكر بعضهم قال كنا عند الحسن رضي الله عنه ومعنا الحسين رضي الله عنه فقال الحسن لقد سقيت السم مرارا وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي فقال له الحسين أي أخي ومن سقاك قال وما تريد أتريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة ولئن كان غير ما أحب أن يتل بي بريئا وكان الحسن رضي الله عنه رجلا حليما لم يسمع منه كلمة فحش وكان مروان وهو وال على المدينة يسبه ويسب عليا كرم الله وجهه كل جمعة على المنبر فقبل له في ذلك فقال لا أمحو شيئا بأن أسبه ولكن مواعدي وموعده الله فإن كان صادقا جازاه الله بصدقه وإن كان كاذبا فالله أشد نقمة

وأغلظ عليه رضي الله عنه مروان يوما وهو ساكت ثم امتخط مروان يمينه فقال له الحسن رضي الله تعالى أف لك أما علمت أن اليمين لها شرف فنجعل مروان وبكى مروان في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار إلى الجبل  
ومن ثم وقع بين الحسن والحسين رضي الله تعالى عنه بعض الشحناء فتهاجرا ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين إن الذي منعني من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل مني وكرهت أن أنزعك ما أنت أحق به مني وقد تقدم ذلك

ومن شعره الحسن رضي الله تعالى عنه  
\* من ظن أن الناس يغنونه  
\* فليس بالرحمن بالوائق  
\*

ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الأسود العنسي الكذاب أي الذي ادعى النبوة ليله قتله بصنعاء وبمن قتله كما تقدم

أي ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بأن رجلا من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن حارثة و تكلم غيره أيضا فعن ابن المسيب أن رجلا من الأنصار توفي فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجل

ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم بأن أمته تتخذ الخصيان وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يستوصوا بهم خيرا فقال سيكون قوم ينالهم الخصاء فاستوصوا بهم خيرا وهو يقتضى ان الخصاء لم يكن في غير هذه الآمه  
ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الأمانة والعلم والخشوع وعلم الفرائض أي قرب قيام الساعة

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل رضى الله تعالى عنه يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب لعنه الله وإخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات باب واسع منه الإخبار بالحوادث الكائنة بعده إلى آخر الزمان والإخبار عن أحوال يوم القيامة من القضاء والحشر والحساب والإخبار عن الجنة والنار

فعن حذيفة رضى الله تعالى عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوما وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر فنزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فأخبر بما كان وبما هو كائن

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن في جماعة من المهاجرين والأنصار يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدى غدا وقبرى وكان كذلك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن ولم يقدم إلا في خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه  
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام جده

صلى الله عليه وسلم فإنها كانت قبضية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنها كانت قبضية كما علمت ومنها إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم فمن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لثعلبة بن حاطب الأنصاري أي غير البدرى لأن ذاك قتل بأحد وهذا تأخر إلى زمن عثمان رضي الله تعالى عنه كما سيأتي خلافا لمن وهم في ذلك لأن من شهد بدرا لا يدخل النار وكثيرا ما يقع الاشتراك في الاسم واسم الأب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة ابن عبيد الله لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة من بعده فأنزل الله تعالى\* (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)\* الآية ظن بعضهم أن المراد بطلحة هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك وهو أجل مقاما من أن يصدر منه مثل ذلك

ولما قال ثعلبة بن حاطب له يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فصارت تنمي كما تنمي الدود وضاعت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل ودايا من أوديتها فكان يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فإنه كان يشهدا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترك الجمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فأخبروه بخبره فقال صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة قالها ثلاثا فلما نزل قوله تعالى\* (خذ من أموالهم صدقة)\* الآية بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة وأسنانها وقال لهما مرا ثعلبة فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدق وأقرأه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا ثم مرا عليه أرياني كتابكما أنظر فيه فنظر فيه فقال ما هذه إلا أخية الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة فلما

أخبراه بالذي صنع ثعلبة أنزل الله تعالى \* (ومنهم من عاهد الله) \* الآيات وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فأرسل إليه بأن الله قد أنزل فيك قرآنا وهو كذا كذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه الصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني وأبى أن يقبل منه شيئا فأتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها ثم فعل كذلك مع عمر رضي الله تعالى عنه ثم مع عثمان رضي الله تعالى عنه وكل يأبى أن يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رجل من بني النجار حفظ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بأهل الكتاب وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتب له فقال صلى الله عليه وسلم اجعله آية فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوه وألقوه فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا مثل الأول فحفروا واعمقوا فلفظته الأرض في المرة الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل يمينك فقال لا أستطيع أي قال ذلك تكبرا وعنادا فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد أي ومن ذلك المرأة التي خطبها صلى الله عليه وسلم فقال له أبوها إن بها برصا ولم يكن بها برص وإنما قال ذلك امتناعا من خطبته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت ومن ذلك أن فاطمة رضي الله تعالى عنها جاءت إليه صلى الله عليه وسلم فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها صلى الله عليه وسلم ادن مني يا فاطمة فدنت منه فرفع يده فوضعها على صدرها وفرد بين أصابعه وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد فذهبت الصفرة عنها حالا ولم تشك بعد ذلك جوعا

ومن ذلك ما حدث به واثلة بن الأسقع قال حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا إذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلاً من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة فلم يأتنا أحد فأصبحنا صياماً ثم أتت علينا الليلة القابلة فلم يأتنا أحد فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بالذي كان من أمرنا فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء فما بقيت امرأة ألا أرسلت تقسم ما أمسي في بيتها ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما بيدك لا يملكهما أحد غيرك فلم يكن إلا مستأذن يستأذن فإذا بشاة مصلية ورطب فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا ومنها تساقط الأصنام التي حول العبة بإشارته صلى الله عليه وسلم إليها أو طعنه فيها بقضيب كان يده قائلًا \* (جاء الحق وزهق الباطل) \* كما تقدم ومنها تكثير الطعام وقد وقع له ذلك في مواطن كثيرة فمن ذلك اطعام الف من صاع شعير في حفر الخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان كما تقدم

ومن ذلك إطعام أهل الخندق من تمر يسير كما تقدم ومن ذلك جمع ما فضل من الأزواد ودعاؤه صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وقسمتها في العسكر فقامت بهم كما تقدم في الحديدية وتبوك ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة في تمرات قد صفهن في يده وقال ادع لي فيهن بالبركة أي فدعا له صلى الله عليه وسلم بذلك قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه نطعم حتى انقطع في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه أي بانقطاع المزود الذي أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون به التمر والمزود وعاء من جلد يوضع فيه الزاد وقال له إذا أردت شيئاً فأدخل يدك ولا تكفأ فيكفا عليك قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وكان لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان انقطع حقوى فسقط وفي رواية كان معلقاً خلف رحلي فوقع في زمن عثمان أي في زمن محاصرته وقتله وذهب وفي رواية فلما قتل عثمان انتهب بيتي وانتهب المزود أي بعد سقوطه من حقوه فلا يخالف ما سبق

وقد جاء في بعض الروايات عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يا رسول الله ادع لي فيهن بالبركة فصفهن ثم دعا فيهن بالبركة وقال خذهن واجعل في مزودك ما أردت منهن أي إذا أردت أخذ شيء منهن أدخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثرا أي وفي لفظ غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الناس مجاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود فقال ائني به فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم قال لي ادع لي عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم خذ ما جئت به أدخل يدك فاقبض ولا تكفأه قال فقبضت على أكثر ما جئت به ثم أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر وأطعمت وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب مني

ومن ذلك تكثير الطعام الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصابعه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصفة لقصعة تريد فأكلوا حتى لم يبق إلا اليسير في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه أي لأنه كان من أهل الصفة كل بسم الله قال أبو هريرة فوالذي نفسي بيده ما زلت أكل منها حتى شبعت كما تقدم قيل وكان أصحاب الصفة حينئذ تسعين وقيل مائة ونيفا وقيل أربعمائة

ومن ذلك تكثير الطعام الذي جاء به أنس رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فعنه رضي الله تعالى عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرؤك السلام وتقول لك إن هذا لك منا قليل قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له إن أمي تقرئك السلام وتقول لك إن هذا منا لك قليل فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت فدعوت من سمي ومن لقيت قيل لأنس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التور ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه

فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال يا أنس ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت

ومن ذلك تكثير الطعام الذي صنعه أبو أيوب الأنصاري فعنه رضي الله تعالى عنه قال صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنه طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادع لي ثلاثين من اشراف الأنصار قال فشق ذلك علي ما عندي ما أزيدة فقال اذهب فادع لي ثلاثين من اشراف الأنصار قال أبو أيوب رضي الله تعالى عنه فدعوتهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي ستين من اشراف الأنصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي تسعين من الأنصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرجوا فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار

قال ومنها تكثير اللبن في القدح فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه اشتد به الجوع يوما قال فمر علي أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقمتم إليه وسألته عن آية من كتاب الله ليشبغني فمر ولم يفعل ثم مر علي عمر ففعلت معه وفعل معي كذلك ثم مر صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رأني وعرف ما في نفسي ثم قال يا أبا هريرة وفي لفظ يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق فتبعته صلى الله عليه وسلم إلى أن دخل بيته وأذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال صلى الله عليه وسلم أي لأهل بيته من أين هذا اللبن فقيل أهدى لك فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادع لي أهل الصفة فسأني ذلك فقلت ما هذا اللبن في أهل الصفة وما أظن أن ينالني من هذا اللبن شيء أي لأنهم كانوا أربعمائة على ما تقدم فدعوتهم فاقبلوا واخذوا مجالسهم من البيت فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله خذ فأعطاهم فأخذت القدح فجلست أعطيه الرجل فيشرب حتى يروي حتى لم يبق إلا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقعد فاشرب فشربت فقال لي اشرب فشربت فما زال يقول لي اشرب فأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأعطيته القدح فحمد الله

عز وجل سمى وشرب الفضلة اه أي وقد تقدم ذلك وفي لفظ حتى إذا لم يبق إلا أنا وهو فأخذ القدح على يده ونظر إلي وتبسم فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب الحديث وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لأبي هريرة يا أبا هر قال إنما أنا أبو هريرة فقال صلى الله عليه وسلم الذكر خير من الأنثى

ولما وقع القتال بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يصلي خلف علي كرم الله وجهه ويحضر طعام معاوية وعند القتال يصعد على تل فقيل له في ذلك فقال الصلاة خلف علي أقوم وطعام معاوية أدسم والقعود على هذا التل اسلم

ومن ذلك ما حدثت به بنت خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنهما قالت خرج خباب في سرية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملاً حلابها جفنة لنا فلما جاء خباب عاد حلابها لما كان عليه أولاً فقلت لأبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلبها فتمتلئ جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها ومن ذلك ما حدث به بعض الصحابة أنه قال كنا زهاء أربعمائة رجل فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه صلى الله عليه وسلم فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روى وسقى أصحابه حتى رويوا ثم قال لي صلى الله عليه وسلم املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذتها فوتدت لها وتدا ثم ربطتها بحبل ثم قمت في بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ذهب بها الذي جاء بها

ومنها أن امرأة كانت أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا في عكة فقبله وترك في العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة فكان يأتيها بنوها يسألونها الأدم فتعمد إلى تلك العكة فتجد فيها سمنا فما زالت تقيم بها أدم بيتها بقية حياته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان حتى كان من أمر علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ما كان وفي رواية أنها عصرتها فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها عصرتها قالت نعم قال لو تركتها ما زال دائما ويحتمل أن الواقعة تعددت وعن أم سليم أم انس رضي الله تعالى عنهما قالت كان لي شاة فجمعت من سمنها

ما ملأت به عكة وأرسلت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما جئت رأيت العكة مملوءة سمنًا قالت فقلت للتي أرسلتها معها كيف الخبر فأخبرتني الخبر فما صدقتها وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له يا رسول الله وجهت إليك عكة سمن قال قد وصلت فقلت بالذي بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنًا تقطر قال افتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه صلى الله عليه وسلم اذهبي فكلي واطعمي الحديث أي ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الأشجعي فعنه رضي الله تعالى عنه قال خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وأنا علي فرس عجفاء ضعيفة فكنت في آخر الناس فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله عجفاء ضعيفة فرفع محقنة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رأيتني ما أملك رأسها قدام القوم ولقد بعثت من بطنها باثني عشر ألفا

ومنها أن جليبيبا على وزن قنيديل الأنصاري وكان قصيرا دميما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه فقال يا رسول الله إذا تجدني كاسدا فقال إنك عند الله لست بكاسد فخطب له صلى الله عليه وسلم جارية من أولاد الأنصار فكره أبو الجارية وأنها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قبلت \* (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) \* وقالت رضيت وسلمت لما رضي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اصبب الخير عليها صبا ولا تجعل عيشها كذا فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا مع كونها أيما فإنه رضي الله تعالى عنه قتل عنها في بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل سبعة من المشركين ووقف عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وقال هذا مني وأنا منه وحمله صلى الله عليه وسلم على ساعديه ماله سرير غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفروا له فوضعه في قبره ولم يغسله ولم يصل إليه

ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم حتى شرب القوم وتوضئوا وهم ألف وأربعمائة قال وفي رواية ألف وخمسمائة وفي رواية فشربوا وسقوا وملئوا

قراهم وكان في المعكسر اثنا عشر ألف بعير والخيل اثنا عشر ألف فرس أي وهذه في غزوة تبوك وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم عدة مواطن عظيمة تقدمت وتكررت الروايات بحسب تكرار الوقائع وهو أشرف المياه كما قاله السراج البلقيني ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التي هي خروج الماء من بين الأصابع عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أبلغ من نبع الماء من الحجر الذي ضربه موسى عليه الصلاة والسلام لأن خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم والعظم والعصب كما تقدم اه

ومنها أن الماء فار بغرز سهم من كنانته صلى الله عليه وسلم في محله وقع له ذلك في الحديدية وفي تبوك فقد جاء أنه ورد في منصرفه من غزوة تبوك على ماء قليل لا يروى واحدا وشكوا إليه صلى الله عليه وسلم العطش فأخذ سما من كنانته وأمر أن يغرز فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفا كما تقدم

قال ومنها ما تقدم له صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب بذي المجاز من ضربه صلى الله عليه وسلم الأرض أو صخرة برجله حين عطش فخرج الماء كما تقدم ومنها ركوبه صلى الله عليه وسلم الفحل الذي قطع الطريق على من يمر لما سافر صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن كما تقدم ومنها انقلاب الماء المالح غدبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء أن قوما شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ملوحة في ماء بئرهم فجاء صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه حتى وقف على ذلك البئر فتغل فيه فتفجر بالماء العذب المعين ومنها أنه كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث صلى الله عليه وسلم وجه إليه أيها الماء اسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت

ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد جاء أن امرأة أتته بصبي لها أقرع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه ومنها إحياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا للإسلام فقال لا أو من بك حتى تحي لي بنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه قبرها فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال

صلى الله عليه وسلم أتحيين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا ومنها إبراء الأبرض فقد روى أن امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه بعضا فأذهبه الله ومنها إبراء الرئة واللقوة والقرحة والسلعة والحرارة والديبيلة والاستسقاء فإن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطها رسول الله فأخذها متعجبا يرى أنه قد هزىء به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية بقولة

\* ويكف من تربة الأرض داوى  
\* من تشكى من مؤلم استسقاء  
\*

ومنها أن أخت إسحاق الغنوي هاجرت من مكة تريد المدينة هي وأخوها إسحاق المذكور حتى إذا كانت في بعض الطريق قال لها أخوها اجلسي حتى أرجع إلى مكة فأخذ نفقة أنسيتهما قالت له إني أخشى عليك الفاسق أن يقتلك تعنى زوجها فذهب أخوها إلى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة فقال لها ما يقعدك وهنا قالت انتظر أخي قال لا أخ لك قد قتله زوجك بعد ما خرج من مكة قالت فقمتم وأنا استرجع وأبكي حتى دخلت المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ في بيت حفصة فأخبرته الخبر فأخذ ملء كفه ماء فضربني به فمن يومئذ لم ينزل من عيني دمعة وكانت تصيبني المصائب العظام غايته أن ينفر الدمع على مقلتي ولا يسيل على وجنتي

ومنها إبراء الجراحة كما تقدم

ومنها إبراء الكسر فقد مسح صلى الله عليه وسلم على رجل ابن عتيك رضي الله تعالى عنه وقد انكسرت فكأنها لم تكسر قط كما تقدم ومنها إبراء الجنون أي ومنها أن امرأة جاءت صلى الله عليه وسلم بابن لها لا يتكلم وقد بلغ أوان الكلام فأتى بماء فمضمض وغسل يديه ثم أعطها صلى الله عليه وسلم إياه وأمرها أن تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس ومنا أن بعض الصحابة ثبتت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها اثر

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى جذلا من الحطب فصار سيفا وقع ذلك لعكاشة ابن محصن رضي الله تعالى عنه يوم بدر كما تقدم ووقع ذلك لعبد الرحمن بن جحش أيضا يوم أحد كما تقدم

أي ومنها انقلاب الماء لبنا وزبدا ومنها أنه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر أحد على إزالة شيء منها فضربها فصار كشيئا كما تقدم

أي ومن إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عن النابغة الجعدي رضي الله تعالى عنه قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياتا منها

\* فلا خير في حلم إذا لم يكن له

\* بوادر تحمى صفوه أن يكذرا

\* ولا خير في جهل إذا لم يكن له

\* حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

\*

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجدت لا أفضض الله فاك من هذه إشارة إلى أسنانه قال النابغة رضي الله تعالى عنه فلقد أتت على نيف ومائة سنة وما ذهب لي سن قيل عاش مائة واثنيتي عشرة سنة وقيل مائة وثمانين سنة أي كما تقدم وفي لفظ كان من أحسن الناس ثغرا وكان إذا سقطت له سن نبت له أخرى أي وعلى هذا الأخير فالمراد لا أخلى الله فاك من الأسنان

ومن ذلك أن امرأة جاءت بابن لها صغير فقالت يا رسول إن يا بني هذا جنونا وإنه يأخذه عند غذائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي

ومنها ابراء وجع الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فقال له صلى الله عليه وسلم أدن مني فوالذي بعثني بالحق لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على الخد الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي يمكن التحدي بها والحمد لله وحده

باب نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم  
أي ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الأنبياء وغيرهم وما اختص به  
عن غير الأنبياء وفيما اختصت به أمته صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الأنبياء  
وغيرهم وفيما اشتركت فيه مع الأنبياء دون أممهم  
لا يخفى أن ذكر خصائصه صلى الله عليه وسلم مندوب قال في الروضة ولا يبعد القول  
بوجوب ذلك ليعرف فلا يتأسى به جاهل في ذلك ثم لا يخفى أن الذي من خصائصه  
صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس إما أن يكون اختص بوجوبه عليه لأن الله علم أنه  
صلى الله عليه وسلم أقوم به واصبر عليه من غيره ولأن ثواب الفرض أفضل من ثواب  
النفل غالباً

وقد جاء ما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه أو اختص بتحريمه عليه  
لأن الله علم أنه صلى الله عليه وسلم أصبر على تركه ولمزيد فضل تركه أو اختص  
بإباحته له تسهيلاً عليه أو اختص باتصافه به لمزيد فضله وشرفه  
فمن القسم الأول صلاة الضحى أي بما هو أقلها وهو ركعتان وركعتا الفجر وصلاة  
الوتر قال صلى الله عليه وسلم ثلاث علي وفرائض ولكم تطوع الوتر وركعتا الفجر  
وركعتا الضحى

أي وفي الامتاع أن هذا الحديث ضعف من جميع طرقه ومع ذلك ففي ثبوت خصوصية  
هذه الثلاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم تظر فإن الذي ينبغي ولا يعدل عنه إلى غيره  
أن لا تثبت خصوصيته إلا بدليل صحيح

وفي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سبحة الضحى قط وإني لأسبحها وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى  
عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها

ويدعها حتى نقول لا يصلّيها وهذا يدل بظاهره ويقتضي عدم الوجوب إذ لو كانت واجبة في حقه صلى الله عليه وسلم لكان مداومته عليها أشهر من أن تخفي هذا كلامه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الضحى يوم الفتح في بيت أم هاني واطب عليها إلى أن مات وأنه صلى الله عليه وسلم ثمان ركعات وجاء في حديث مرسل كان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين وأربعاً وستاً وثمانياً وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو ادني كماله والسواك قال في الإمتاع وهل هو بالنسبة إلى الصلاة المفروضة أو في كل الأحوال المؤكدة في حقنا أو فميا هو أعم من ذلك وغسل الجمعة والأضحية واستدل بوجوبهما بقوله تعالى \* (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي) \* إلى قوله \* (وبذلك أمرت) \* قال في الإمتاع والامر على الوجوب هذا كلامه وفيه نظر لأن أمر للوجوب والندب والذي للوجوب إنما هو صيغة أفعال

قال في الإمتاع إن الأمدي وابن الحاجب رحمهما الله عدا ركعتي الفجر من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا سلف لها في ذلك إلا حديث ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

واعترض كون الوتر واجبا عليه صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين صلاه على البعير إذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة وأجاب النووي رحمه الله بأن جواز هذا الواجب على الراحلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وأجاب القرافي المالكي رحمه الله بأن الوتر لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم إلا في الحضر ووافقه على ذلك من أئمتنا الحلبي والعز ابن عبد السلام والعقيدة وأنه صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يؤدي فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها وانه يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في كل يوم وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان في ليلة الاسراء كذا في الخصائص الصغرة للسيوطي والمشاورة في أمر الدين والدنيا لذوي الأحلام من الأمور الاجتهادية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت هذه الآية \* (وشاورهم في الأمر) \* قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة في أمتي فمن شاور

منهم لم يعدم رشداً ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا وقد قيل الاستشارة حصن من  
الندامة ومصايرة العدو وإن كثر

وفي الحاوث للماوردي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا بارز رجلا لا ينفك عنه قبل  
قتله هذا كلامه ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم بارز أحدا  
وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين وأداء الجنائيات والكفارات عن من لزمته وهو  
معسر وتخيير نسائه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة أي بين زينة الدنيا ومفارقته  
وبين اختيار الآخرة والبقاء في عصمته وأن من اختارت الدنيا يفارقها ومن اختارت  
الآخرة يمسكها ولا يفارقها أي لأن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم  
\* (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن  
وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد  
للمحسنات منكن أجرا عظيما) \*

قيل اختلف سلف هذه الأمة في سبب نزول هذه الآية على تسعة أقوال فقد قيل نزلت  
لما طلبن منه صلى الله عليه وسلم زيادة في النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما  
ذكر كما تقدم

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن على النبي  
صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ليأذن لهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم  
أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه أي قد  
سألته النفقة وهو حاجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله تعالى عنه لأقولن شيئا  
أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته  
سألتنى النفقة فقمتم إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن  
حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى عائشة فوجأ عنها  
وقام عمر رضي الله تعالى عنه إلى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا  
يجتمع بهن شهرا

فعن عم رضي الله تعالى عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلا ودق  
عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان  
لأننا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أعظم من

ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ودخلت علي حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة أي لأن نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه في طلب النفقة اقسام أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله تعالى عنه لأقولن من الكلام شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج فقال قد ذكرت لك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال ذكرت لك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فإذا الغلام يدعوني فقال أدخل قد أذن لك فدخلت فسلمت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ علي زمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه إلي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب علي النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطقف نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعته فأنكرت عليها فقالت تنكر علي أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها بغضب زوجها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إلى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره إحداها اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها بغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسألينه شيئا وسليني ما بدالك ولا يغرنك إن كانت جارتك أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك زمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر الله يا رسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى

عليه أن يخير نساءه في قوله تعالى \* (يا أيها النبي قل لأزواجك) \* الآية فنزل ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعددهن قال إن الشهر تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفي الثالثة حبس إبهامه ثم قال يا عائشة إنني ذاك لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك فقالت وما هو يا رسول الله فقرا \* (يا أيها النبي قل لأزواجك) \* الآية قلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية أفيك يا رسول الله استشيرني أبوي بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم قلت له لا تخير امرأة من نسائك بالذي قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني ولكن بعثني معلما بشيرا ثم فعل أزواجه صلى الله عليه وسلم ما فعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن وقد ذكر الأقوال التسعة في الإمتاع وذكر فيه أن التخيير كان بعد فتح مكة لأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يقدم المدينة إلا بعد الفتح مع أبيه العباس رضي الله تعالى عنهما وذكر أنه حضر الواقعة

ومن القسم الثاني تحريم أكل الصدقة واجبة أو مندوبة وكذا الكفارة والمنذورة والموقوف عليه إلا على جهة عامة كالأبار الموقوفة على المسلمين ويشاركه في الصدقة الواجبة آله دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة هي المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس لما سأله عمه العباس رضي الله تعالى عنه أن يستعمله على الصدقات قال صلى الله عليه وسلم ما كنت لأستعملك على غسلات ذنوب الناس ولما أخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة وفي رواية إن آل محمد لا يأكلون الصدقة

واختلف علماء السلف هل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تشارك النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فذهب الحسن رحمه الله تعالى إلى أن الأنبياء تشاركه في ذلك وذهب سفيان بن عيينة على اختصاصه بذلك دونهم وأن يعطى شيئا لأجل أن يأخذ شيئا أكثر منه وأن يتعلم الكتابة أو الشعر وإنشاءه وروايته لا التمثل به وأنه إذا لبس لامته للقتال

لا يدعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وهذا الأخير مما شاركه فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخائنة الأعين وهي الإيحاء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر كما تقدم وإمساك من كرهته ونكاح الكتابية قيل والتسرى بها والراجح خلافه ونكاح الأمة المسلمة لأنه لا يخشى العنت أي الزنا

ومن القسم الثالث القبلة في الصوم مع وجود الشهوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضي الله تعالى عنها وهو صائم ويمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبيع ريقه المختلط بريقها والخلوة بالأجنبية وأنه صلى الله عليه وسلم إذا رغب في امرأة خلية كان له أن يدخل بها من غير لفظ نكاح أو هبة ومن غير ولي ولا شهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم في زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها كما تقدم ومن غير رضاها وأنه إذا رغب في امرأة متزوجة يجب على زوجها أن يطلقها له صلى الله عليه وسلم وأنه إذا رغب في أمة وجب على سيدها أن يهبها له وله أن يزوج المرأة لمن يشاء بغير رضاها وله أن يتزوج في حال إحرامه ومن ذلك نكاح ميمونة على ما تقدم وأن يصطفى من الغنيمة ما شاء قبل القسمة من جارية أو غيرها

ومن صفاياها صلى الله عليه وسلم صفة وذو الفقار كما تقدم وأن يتزوج من غير مهر كما وقع لصفية رضي الله تعالى عنها وقد قال المحققون معنى ما في البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر فقول أنس رضي الله تعالى عنه أمهرها نفسها معناه أنه لما لم يصدقها شيئاً كان العتق كأنه المهر وإن لم يكن في الحقيقة كذلك وأن يدخل مكة بغير إحرام اتفاقاً وأن يقضى بعلمه ولو في حدود الله تعالى

قال القرطبي في تفسيره اجمع العلماء على أنه ليس لأحد أن يقضى بعلمه إلا النبي صلى الله عليه وسلم

قال الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للأنبياء إلى إحداهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقوله إني على علم لا ينبغي لك أن تعلمه وأنت على علم لا ينبغي لي أن أعلمه هذا كلامه وكتب عليه الشهاب القسطلاني رحمه الله هذه غفلة كبيرة وجراءة على الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام إذ يلزم منه خلو بعض أهل العزم عليهم الصلاة والسلام من علم الحقيقة الذي لا يجوز خلو بعض آحاد الأولياء عنه وإخلاء الخضر بل بقية بعض الأنبياء عليه الصلاة والسلام عن علم الشريعة وأعجب من ذلك أنه بين له وجه الخطأ فأجاب بقوله مرادي الجمع بين الحكم والقضاء هذا كلامه

وأقول ذكر السيوطي في كتابه الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر هل يقول مسلم إن الذي خص به نبينا صلى الله عليه وسلم أي عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يورث نقصا في حق سائر الأنبياء معاذ الله وكل مسلم يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء على الإطلاق وذلك لا يورث نقصا في حق أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وهذا الاعتراض كان لا يحتاج إلى جواب عنه لكن خشيت أن يسمعه جاهل فيؤديه ذلك إلى انكار خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي فضل بها على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام توهمها منه أن ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله في الكفر والزندقة هذا كلامه

ومما حكم فيه بالظاهر والباطن معا قوله صلى الله عليه وسلم في ولد وليدة زمعة والد سودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها لما اختصم فيه سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وعبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخي عهد إلى أنه ابنه انظر إلى شبهه به وقال عبد بن زمعة هذا أخي ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شبهه فرأى شبهها بينا بعتبة ثم قال هو لك يا عبد الولد للفراش واحتجى منه يا سودة بنت زمعة زاد في رواية فليس بأخ لك فقد جعله صلى الله عليه وسلم أحبا لسودة عملا بظاهر الشرع ونفى أخوته عنها بمقتضى الباطن فقد حكم في هذه القصة بالظاهر والباطن معا

وأما حكمه صلى الله عليه وسلم بالباطن فقد جاء في أمور متكررة من ذلك قتله الحارث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى وارث ولا قيام بينه ولا قبل الدية كما قدم

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل مات أخوه إن أخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يا رسول الله قد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة قال أعطها فإنها محقة

ومن ذلك أن امرأة جاءت إلى أخرى وقالت لها فلانه تستعيرك حليك وهي كاذبة فأعارتها إياه فبعد مدة جاءت للمرأة تطلب حليها فقالت لم أطلب حليك فجاءت للمرأة التي اخذته فأنكرت أخذه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته القصة فدعاها فقالت والذي بعثك بالحق ما استعرت منها شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فأخذ وأمر بها فقطعت وأن يقضى لنفسه ولولده وأن يشهد لنفسه ولولده وأن يقبل الهدية ممن يريد الحكومة عنده وأن يقضى في حال غضبه وأن يقطع الأرض قبل أن يفتحها ومما شاركه فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا القسم ان له صلى الله عليه وسلم أن يصلي بعد نومه غير متمكن أي في النوم الذي تنام فيه عينه وقلبه بناء على أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان وحينئذ يكون قوله نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا المراد به غالباً إذ يبعد أن يكون بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لم إلا نوم واحد وله صلى الله عليه وسلم نومان وإباحة ترك إخراج زكاة المال لأنه كبقية الأنبياء لا ملك لهم مع الله وما في أيديهم من المال وديعة لله عندهم يذبلونه في محله ويمنعونه في غير محله ولأن الزكاة طهرة وهم مبرءون من الدنس كذا في الخصائص الصغرى نقلاً عن سيدي الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله وفيها بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختص بأن ماله باق بعد موته على ملكه ينفق منه إلى أهله في أحد الوجهين وصححه إمام الحرمين والذي صححه النووي الوجه الآخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة وما قاله ابن عطاء الله بناه على مذهب امامة سيدنا مالك ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى خلافة ففي الخصائص الصغرى قبل هذا وذكر مالك رضي الله تعالى عنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يملك الأموال إنما كان له التصرف وأخذ قدر كفايته وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره أنه يملك هذا كلام الخصائص ومن القسم الرابع أنه صلى الله عليه وسلم أول من أخذ عليه الميثاق يوم \* (ألست بربكم) \* وأنه أول من قال بلى أي وأنه خص بالبسملة وفيه ما تقدم أن ذلك على وجه وأن الأصح خلافة لما في القرآن في سورة النمل وفي المرفوع أنزل علي آية لم تنزل على نبي بعد سليمان

غيري \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \* وجاء بسم الله فاتحة كل كتاب وفيه أن الإنجيل من جملتها وهو كتاب عيسى ابن مريم وهو بعد سليمان عليهما السلام وقد قدمنا ذلك عند الكلام على أوائل البعث وبفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة \* (آمن الرسول) \* إلى ختامها وآية الكرسي اعطيها من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر فقد جاء أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتم سورة البقرة والكوثر

وذكر الجلال السيوطي رحمه الله في الخصائص الصغرى أن مما خص به أنه اعطى من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد غيره والسبع الطوال والمفصل وأن دار هجرته التي هي المدينة آخر الدنيا خرابا وان جميع ما في الكون خلق لأجله وأنه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء وما فيها كما تقدم وعلى بعض الأحجار وورق الأشجار وبعض الحيوانات كما تقدم قال بعضهم وعلى سائر ما في الملكوت وذكر الملائكة له صلى الله عليه وسلم في كل ساعة وذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في الأذان في عهد آدم والملكوت الأعلى كما تقدم

ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه يحرم نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى على الأنبياء بخلاف زوجات الأنبياء بعد موتهم لا يحرم نكاحهن على المؤمنين قال شيخنا الشمس الرملي والأقرب عدم حرمتهن على الأتقياء من أممهم

وفيه أنه إذا لم يحرم على آحاد المؤمنين فعلى الأتقياء بطريق الأولى إلا أن يقال أفرق ممكن يدل عليه قوله والأقرب وإلا فهذا مما يتوقف فيه على النقل

وقيل ومن ذلك أنه يجب على أزوجه صلى الله عليه وسلم من بعده الجلوس في بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو حج أو عمرة والراجح خلاف ذلك فقد حججن مع عمر رضي الله تعالى عنه وعنهن إلا سودة وزينب فخرجن في الهودج عليهن الطيالسة الخضضر وعثمان رضي الله تعالى عنه يسير أمامهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن إليك إليك وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه خلفهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن مثل ذلك ولا ترى هودجهن إلا مد البصر ولما ولي عثمان رضي الله تعالى عنه حج بهن أيضا إلا سودة وزينب

وأنه يحرم أيضا رؤية أشخاص زوجاته صلى الله عليه وسلم في الأرز وسؤالهن مشافهة أي من غير حجاب

ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف وأن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين آدم فمن بعد أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وينصروه إن أدركوه وأن يأخذوا العهد على أممهم بذلك كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم يحشر على البراق فقد جاء تبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدواب ويبعث صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة رضي الله تعالى عنهم على ناقته العضباء والقصوى ويبعث بلال رضي الله تعالى عنه على ناقه من نوق الجنة وأن في كل يوم ينزل على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه إلى أن يمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحون لا يعودون إلى أن تقوم الساعة وأنه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الوحي وأنه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وأن خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وخاتم الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام كان في يمينهم كما تقدم وتقدم ما فيه وأن له صلى الله عليه وسلم وعلم ألف اسم ونقل عن تفسير الفخر الرازي أن له صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف اسم وأنه صلى الله عليه وسلم تسمى من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسما وأنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلق عليها مرتين كما تقدم وغيره لم يره كذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر والباطن كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة ساعة من نهار وأنه حرم ما بين لابتي المدينة كما تقدم وأنه لم تر عورته قط وأن من رآها طمست عيناه كما تقدم وأنه إذا مشى في الشمس أو في القمر لا يكون له صلى الله عليه وسلم ظل لأنه كان نورا وأنه إذا وقع شيء من شعره في النار لا يحترق وأن وطأه أثر في الصخر على ما تقدم وأن الذباب لا يقع على ثيابه فضلا عن جسده الشريف ولا يمتص نحو البعوض والقمل دمه كما تقدم وهذا لا ينافي كون القمل يكون في ثوبه ومن ثم جاء كان صلى الله عليه وسلم يلقى ثوبه وأن عرقه أطيب من الريح المسك كما تقدم

وكان صلى الله عليه وسلم إذا ركب دابة لا تبول ولا تروث وهو راكبها ولو بنى مسجده إلى صنعاء اليمن كان مسجده أي في المضاعفة خلافا لجمع منهم ابن حجر الهيثمي

وقد قال الحافظ السيوطي نص العلماء على أن المسجدين أي المكي والمدني ولو  
وسعا لم تختلف أحكامهما الثابتة لهما  
وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال لو مد مسجد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى ذي الحليفة لكان منه فهذا الأثر مصرح بأن أحكام مسجد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثابتة له فالتوسعة لا تمنع استمرار الحكم وتقدم ما في ذلك وأنه  
يجب على أمته صلى الله عليه وسلم أن تصلي وتسلم عليه في التشهد الأخير وعند  
كلما يذكر عند بعضهم وأن القمر شق له صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأن الحجر  
والشجر سلما عليه صلى الله عليه وسلم وشهادة الشجر له صلى الله عليه وسلم بالنبوة  
واجابته دعوته وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وأن الجذع  
اليابس حن إليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس  
كافة الإنس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك وقد يتوقف  
في كفر العامي بجحد إرساله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الجن وإلى الملائكة على  
ما

هو الراجح كما تقدم

قال بعضهم والقول بمقابلة مبني على تفضيل الملائكة على الأنبياء وهو قول مرجوح  
ذهب إليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من أهل السنة الأشاعرة واستدلوا بأمر كلها  
مردودة وتقدم عن البارزي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الحيوانات  
والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له بالرسالة صلى الله عليه وسلم وقد  
يتوقف في الاستدلال بذلك

وتقدم عن الحافظ السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم أرسل لنفسه وتقدم  
الفرق بين عموم رسالته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم  
وأنه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم  
معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسح والغرق كسائر الأمم المكذبة كما تقدم وأن  
الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل  
خاطبه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المدثر يا أيها المزمّل  
وقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى وان الله أقسم بحياته  
صلى الله عليه وسلم قال تعالى \* (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) \*  
وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما حلف الله تعالى بحياة أحد

إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم وأقسم الله على رسالته بقوله \* (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) \* وأن إسرائيل عليه السلام أهبط إليه صلى الله عليه وسلم ولم يهبط إلى نبي قبله كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله وأنه يحرم نكاح موطأته صلى الله عليه وسلم من الزوجات والسراري إلا من باعه أو وهبه من السراري في حياته إن فرض ذلك وذهب المارودي إلى تحريمها وفي كلام بعضهم وتحرم زوجاته صلى الله عليه وسلم على غيره ولو قبل الدخول ولو مختارة للفراق خلافا لما في الشرح الصغير للرافعي من حل المختارة للفراق وأنه يحرم التزوج على بناته صلى الله عليه وسلم وقيل على فاطمة خاصة رضي الله تعالى عنه وأما التسري عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزويج عليهن حاصل في التسري إلا أن يفرق

وأوتي صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا من أهل الجنة في الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطى صلى الله عليه وسلم قوة أربعة آلاف رجل وسليمان صلوات الله وسلامه عليه أعطى قوة مائة رجل وقيل ألف رجل أي من رجال الدنيا وأن فضلاته صلى الله عليه وسلم طاهرة كما تقدم وأنه كان له صلى الله عليه وسلم أن يخصص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين لأن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من أعرابي فاستبقه النبي صلى الله عليه وسلم وسلم ليقضيه ثمن فرسه فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم وتباطأ الأعرابي والفرس معه فساومه في الفرس رجال لا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه بزيادة عما اشتراه به صلى الله عليه وسلم فقال الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه وإلا بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع نداء الأعرابي أوليس قد ابتعته منك فقال الأعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته منك فقال الأعرابي شاهدان يشهدان أنني بعته فلما سمع خزيمة رضي الله تعالى عنه ذلك قال أنا اشهد أنك بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا فقال يا رسول الله إنا نصدقك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته رضي الله تعالى عنه في القضايا بشهادة رجلين ومنه أخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه

وترخيصة صلى الله عليه وسلم لأم عطية رضي الله تعالى عنها ولخولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها في النياحة لجماعة مخصوصين  
وترخيصة صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها في عدم الإحداد لما قتل زوجها سيدنا جعفر بن أبي طالب حيث قال لها تسلى ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت  
وتجوز التضحية بالعناق لأبي بردة ولعقبة بن عامر رضي الله تعالى عنهما وزاد بعضهم ثلاث آخرين

وتزويجه صلى الله عليه وسلم لشخص امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لأحد غيرك مهراً ولعل المراد سورة مجهولة فلا يخالفه ذلك ما عند أئمتنا من جواز ذلك على معين من السور القرآنية

وتزويجه صلى الله عليه وسلم أم سليم أبا طلحة رضي الله تعالى عنهما على إسلامه كما تقدم وإعادة امرأة أبي ركانة إليه بعد أن طلقها ثلاث من غير محلل وتخصيصه صلى الله عليه وسلم نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن دون بقية الورثة وقد ألغز في ذلك بعضهم بقوله

\* سلم لي مفتي الأنا وقل له  
\* هذا سؤال في الفرائض مبهم  
\* قوم إذا ماتوا تحوز ديارهم  
\* زوجاتهم فلغيرها لا تقسم  
\* وبقية المال الذي قد خلفوا  
\* يجرى على أهل التوارث منهم  
\*

وأنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم أهل البقيع فيخرجون معي ثم أنتظر أهل مكة أي وفي رواية وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله وفيه أن الاستثناء إنما هو من نفخة الفزع التي هي النفخة الأولى التي يفزع بسببها أهل السماوات والأرض وتمر الجبال من السحاب وترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة في البحر تضربها الأمواج المعنية بقوله تعالى \* (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) \* والمعنية بقوله تعالى \* (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) \* الآية قال صلى الله عليه وسلم والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا يا رسول الله

(۳۸۴)

فمن استثنى الله في قوله إلا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفرع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فرع ذلك اليوم وآمنهم منه وفيه أن هذا يقتضي أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يفرعون لأنهم أحياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع الشهداء والقياس قد يمنع لأنه يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل وأنه من يكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة وأنه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود على يمين العرش وأنه الذي يشفع في فصل القضاء بين أهل الموقف وأنه له صلى الله عليه وسلم شفاعات في ذلك اليوم وهي إحدى عشرة شفاعة ذكرها في مزيل الخفاء وأنه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد في ذلك اليوم آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وأنه خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإمامهم في ذلك اليوم كما تقدم وأول من يؤذن له في السجود وأول من ينظر إلى الرب عز وجل وأنه يسجد أولاً فيقول له الرب جل جلاله ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم ثانياً ثم ثالثاً كذلك فيشفع

وأنه أول من يفيق من الصعقة وفيه أن نفخة الصعقة وهي النفخة الثانية التي هي نفخة الموت لأهل السماوات والأرض إلا أن يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة أثبتها ابن حزم

فقد قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله وأغرب ابن حزم رحمه الله تعالى فادعى أن النفخ في الصور يقع أربع مرات فعليه تكون هذه النفخة ليست هي المذكورة في القرآن وأنها تكون في الموقف بعد النفخة الثالثة التي هي نفخة البعث التي بسببها يكون القيام من القبور إلى المحشر المعنية بقوله تعالى\* (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)\* وهذه النفخة الرابعة تسمى نفخة الصعق أيضاً الآن بها يحصل لجميع أهل السماوات والأرض في ذلك الوقت غشى وهوشبيه بالموت ويكون أول من يفيق من تلك الصعقة هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذاً بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أنا أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة وحينئذ لا يحتاج إلى الجواب بأنه صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله لا أدري قبل أن أعلمه الله تعالى بأنه أول من

تنشق عنه الأرض على الإطلاق وأن موسى عليه الصلاة والسلام سبقه إلى العرش لأنه صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الأرض ينتظر خروج أهل البقيع ومجيء أهل مكة فليتأمل ذلك

وأول من يمر على الصراط وأول من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وأن له الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة

وقيل إنه في الجنة لا يصل لأحد شيء إلى بواسطته صلى الله عليه وسلم وانه لا يقرأ في الجنة إلا كتابه ولا يتكلم في الجنة إلا بلسانه

ومما شارك فيه الأنبياء في هذا القسم أن من دعاه صلى الله عليه وسلم في الصلاة تجب عليه الإجابة قولاً وفعلاً ولو كثيراً ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنها تبطل

ومنه أيضاً العصمة من الذنب مطلقاً كبيراً أو صغيراً عمداً أو سهواً وعدم التثاؤب والاحتلام لأن كلا من الشيطان ولم ير أثر لقضاء حاجته صلى الله عليه وسلم بل كانت الأرض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة المسك قال وأنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء

واستشكل بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما ابنتى بأم سلمة رضي الله تعالى عنها دخل عليها في الظلمة فوطئ صلى الله عليه وسلم على ابنتها زينب فبكت فلما كانت الليلة القابلة دخل صلى الله عليه وسلم في ظلمة أيضاً فقال أنظروا ربائبكم لا أطأ عليها وزينب هذه ولدتها من أبي سلمة بالحبشة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهي إذا ذاك طفلة فنضح صلى الله عليه وسلم وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى عجزت وقاربت المائة سنة

وكان صلى الله عليه وسلم يظر من خلفه كما ينظر أمامه أي وعن يمينه وعن شماله فقد جاء إنني لأنظر إلى ما وراء ظهري كما أنظر إلى أمامي فقليل كان له صلى الله عليه وسلم بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لا تحجبهما الثياب وقيل كانت تنطبع صورة المحسوسات التي خلفه في حائط قبلته كما تنطبع في الصورة في المرآة وهذا يدل على أن ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر أكثر الروايات أي وكانت تلك الصلاة إلى حائط فليتأمل

وكان صلى الله عليه وسلم يرى الثريا اثنا عشر نجما وغيره لا يزيد على تسعة ولو أمعن النظر

واختصت هذه الأمة المحمدية بأمر لم يشاركها فيه من قبلهم من الأمم وهي أنها خير الأمم وأكرم الخلق على الله قال تعالى \* (كنتم خير أمة أخرجت للناس) \* وفي الحديث إن الله اختار أمتي على سائر الأمم وإن الله ينظر إليها في أول ليلة من رمضان وأعطيت الاجتهاد في الأحكام وظهر الله ذكرها في الكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وأثنى عليها وأعطيت الصلوات الخمس أي جمعت لهم على ما تقدم وأعطيت صلاة العشاء

فقد أخرج أبو داود والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنكم فضلتم بها أي بصلاة العشاء على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم وفيه ما تقدم

وأعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير وأعطيت التأمين أي قول آمين عقب الدعاء فقد جاء أعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله أعطها هارون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون عليهما الصلاة والسلام وتقدم في آمين عقب الفاتحة ليس من القرآن اتفاقا

وأعطيت الاستنجاء بالحجر وأعطيت الأذان والإقامة والركوع في الصلاة وأما قوله تعالى لمريم \* (واركعي مع الراكعين) \* فالمراد بالركوع الخضوع كما تقدم ويلزمه أنها أعطيت في الرفع منه سمع الله لمن حمده وفي الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد إلى آخره وأعطيت تحريم الكلام في الصلاة دون الصوم عكس من قبلهم وأعطيت الجماعة في الصلاة وأعطيت الاصطفاف فيها كصفوف الملائكة وأعطيت صلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر وأعطيت قصر الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين فيه على ما تقدم وفي المطر والمرض على قول اختاره جمع من العلماء ومنهم والذي رحمه الله وأعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته وأعطيت شهر رمضان على ما تقدم وأعطيت فيه أمورا منها تصفيد الشياطين

وقد سئلت ما فائدة تصفيد الشياطين في رمضان مع وجود الفساد والشر وقتل الأنفس فيه وقد أجبت عنه أربعة أجوبة حاصلها أن فائدة ذلك قلة الشر لا نفيه بالكلية وقد

ذكرت ذلك في كتابي إسعاف الإخوان في شرح غاية الإحسان وهو كتاب ألفته في الصوم وما يتعلق به

ومنها صلاة الملائكة عليهم حين يفطروا ومنا أن ريح فمهم بعد الزوال أطيب عند الله من ريح المسك وفيه أن هذا لا يختص بصوم رمضان ومنها أن الجنة تزين فيه من رأس الحول إلى رأس الحول وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وتفتح أبواب السماء في أول ليلة منه

ومنها أنه يغفر لهم في آخر ليلة منه وأعطيت العقيقة عن الأنثى وأعطيت العذبة في العمامة وأعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت وأعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة وأعطيت صلاة الجمعة وأعطيت ساعة الإجابة في يومها وأعطيت ليلة القدر وأعطيت السحور وتعجيل الفطر وأعطيت الاسترجاع عند المصيبة وأعطيت الحوقلة أي لا حول ولا قوة إلا بالله وأعطيت رفع الإصر عنها ومنه وجوب القصاص في الخطأ والمؤاخذة بحديث النفس والنسيان وما وقع عليه الإكراه وأن اجماعها حجة لأنها لا تجتمع على ضلالة أي محرم وأعطيت أن اختلاف علمائها رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء الأمة المجتهدون كما أن المراد ذلك بما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابي رحمة أي ويقاس بأصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد قال بعضهم وما ذكره بعض الأصوليين والفقهاء أنه صلى الله عليه وسلم قال اختلاف أمتي رحمة لا يعرف من خرج بعد البحث الشديد وإنما يعرف عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف أمة محمد رحمة قال الحافظ السيوطي ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا وأن الطاعون لهم رحمة وكان على من قبلهم عذابا وأعطيت الإسناد للحديث قال أبو حاتم الرازي رحمه الله لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام من يحفظون آثار الرسل أي ويأخذها واحد عن الآخر إلا في هذه الأمة أي حتى إن الواحد منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا أو أكثر وإن فيها الأقطاب والانجاب والأوتاد ويقال لهم العمدة والأبدال والأخيار العصب فالأبدال بالشام واختلفت الروايات في عددهم فأكثر الروايات أنهم أربعون رجلا وفي بعض الروايات أربعون

رجالاً وأربعون امرأة كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلاً وكلما ماتت امرأة ابدل الله مكانها امرأة فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وعن الفضل بن فضاله قال الأبدال بالشام في حمص خمسة وعشرون رجلاً وفي دمشق ثلاثة عشر وفي نيسان اثنان وفي رواية عن حذيفة بن اليمان الأبدال بالشام ثلاثون رجلاً على منهاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أربعون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال وعن الحسن البصري رحمه الله لن تخلوا الأرض من سبعين صديقاً وهم الأبدال أربعون بالشام وثلاثون في سائر الأرض وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال اللذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله الغضب في ذات الله وجاء في وصف الأبدال إنهم لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة وكلن بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم وفي لفظ لجميع المسلمين وعن أبي سليمان الأبدال بالشام والنجباء بمصر وفي لفظ الأبدال في الشام والنجباء من أهل مصر وفي رواية عن علي كرم الله وجهه أيضاً والنجباء بالكوفة والعصب باليمن والأخيار بالعراق وفي لفظ والعصب بالعراق وعن بعضهم النقباء ثلاثمائة وسبعون والبلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث أي الذي هو القطب واحد فمسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سائحون من الأرض والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمدة فإن أجيئوا وإلا ابتهل الغوث فما تتم مسألته حتى يجاب وجاء عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبي

قط إلا أعطى سبعة نجباء وزراء رفقاء وإني أعطيت خمسة عشر حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال ومصعب وأسقط الترمذي حذيفة وأبا ذر والمقداد وأنهم أي أمته صلى الله عليه وسلم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب يمحصها الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم وأنها أول من تنشق عنها الأرض وأنها في الموقف تكون على مكان عال مشرف على الأمم وأنها أول من يحاسب وأنها أول من يدخل الجنة من الأمم وأن لكل منها نورين كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها تمر على الصراط كالبرق الخاطف وأنها تشفع في بعضها وأن لها ما سمعت وما سعى لها وأنها اختصت عن من الأمم ما عدا الأنبياء بوصف الإسلام على الراجح كما تقدم لأنه لم يوصف بالإسلام أحد الأمم السالفة سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد شرفت بأن توصف بالوصف الذي توصف به الأنبياء تشريفا لها وتكريما فقد قال زيد بن أسلم أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير لم يذكر الله بالسلام غير هذه الأمة أي وما ورد مما يوهم خلاف ذلك مؤول

وقد خصت هذه الأمة بخصائص لم تكن لأحد سواها إلا للأنبياء فقط فمن ذلك الوضوء فإنه لم يكن أحد يتوضأ إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا في التوراة والإنجيل وصف هذه الأمة أنهم يوضئون أطرافهم وفي بعض الآثار افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الأنبياء لكن تقدم في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال هذا وضوء الأمم من قبلكم من توضأ مرة آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الحديث كما ترى يقتضى مشاركة الأمم مع هذه الأمة في أصل الوضوء والاختصاص إنما هو بالتثليث وتقدم الكلام على ذلك أي والغسل من الجنابة ففيما أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الأمة وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم وأن منها سبعين ألفا مع كل واحد من هؤلاء

السبعين ألفا سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أي وباجلال الله تعالى توقير المشايخ منهم وأنهم إذا حضروا القتال في سبيل الله حضرتهم الملائكة لنصرة الدين وأن الملائكة تنزل عليهم في كل سنة ليلة القدر تسلم عليهم وأكل صدقاتهم في بطونهم وإثابتهم عليها وتعجيل الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة كصلة الرحم فإنها تزيد في العمر ويثاب عليها في الآخرة وما دعوا به استجيب لهم روى الترمذي رحمه الله أعطيت هذه الأمة ما لم يعط أحد بقوله تعالى \* (ادعوني أستجب لكم) \* وإنما يقال هذا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الأمة إن دعوني استجب لهم فإما أن يكون عاجلا وإما أن يكون أن اصرف عنهم سوءا وإما أن أدخلهم في الآخرة ومخالطة الحائض سوى الوطء وما ألحق به وهو مباشرة ما بين سرتها وركبتها وتقدم وصفهم في الكتب القديمة بما لا ينبغي إعادته هنا لطوله باب ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم

ولد له صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله تعالى عنها قبل البعثة القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصف وقيل حتى مشى وقيل بلغ ركوب الدابة وقيل عاش سبت ليال وهو أول من مات من ولده قبل البعثة ثم ولدت قبل البعثة أيضا زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أكبر بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وبعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة

وبعد البعثة ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله ويسمى الطيب الطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا في بطن واحدة قبل البعثة أي وقيل اللذان ولدا في بطن واحدة قبل البعثة الطاهر والمطهر وقيل ولد له أيضا قبل البعثة في بطن واحدة الطيب والمطيب وقيل ولده له قبل البعثة عبد مناف مات هؤلاء

قبل البعثة وهم يرضعون أما عبد الله الذي ولد له بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فكان آخر الأولاد من خديجة رضي الله تعالى عنها وبهذا يظهر التوقف في قول السهيلي رحمه الله كلهم ولدوا بعد النبوة وأجاب بعضهم بأن المراد بعد ظهور دلائل النبوة

وفيه أن دلائل النبوة وجدت قبل تزوجه بخديجة رضي الله تعالى عنها وعند موت عبد الله هذا قال العاص بن وائل والد عمرو بن العاصي وقيل أبو لهب قد انقطع ولده أي لا ولد له ذكر لأن ما عدا ذكر عند العرب لا يذكر فهو أبتري فأنزل الله تعالى \* (إن شائتك هو الأبتري) \*

أقول في مسلم عن انس رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا إغفى إغفاءه ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله فقال أنزل على أنفا سورة فقراً بسم الله الرحمن الرحيم \* (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائتك هو الأبتري) \* ولا يخفى أن هذا يقتضي أن السورة المذكورة مدنية ثم رأيت الإمام النووي رجح ذلك لما ذكر

وقد يقال يجوز أن يكون \* (إن شائتك هو الأبتري) \* نزل بمكة وما عداه نزل بالمدينة وقد يعبر عن معظم السورة بالسورة ثم رأيت في الإتيان ذكر أن مما نزل دفعة واحدة سوراً منها الفاتحة والإخلاص والكوثر ثم رأيت الإمام الرافعي رحمه الله قال فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النوم لأن رؤيا الأنبياء وحي وهذا غير صحيح لكن الأشبه أن يقال القرآن كله نزل يقظة وكان صلى الله عليه وسلم خطر له في النوم سورة كوثر المنزل عليه في اليقظة أي قبل ذلك

وفيه أن قوله أنفا لا يناسبه قال أو يحمل الإغفاءة على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ثم رأيت الجلال السيوطي في الإتيان نظر في جواب الرافعي الأول بما ذكرته واستحسن الجواب الثاني

وفي المواهب أن العاصي بن وائل اجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في باب من أبواب المسجد فتحدثا وصناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص المسجد قالوا له من ذا الذي كنت تتحدث معه قال ذاك الأبتري يعني النبي صلى الله عليه

وسلم وقد كان توفي أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله تعالى عنها أي الذكور فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله \* (إن شأنك هو الأبر) \* أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أي باغضك هو الأبر أي المقطوع عن كل خير أو المقطوع رحمه بينه وبين ولده لأن الإسلام حجزهم عنه فلا توارث بينهم فلا يقال العاص وأبو لهب لها أولاد ذكور فالأول له عمرو وهشام رضي الله تعالى عنهما والثاني له عتبة ومعتب رضي الله تعالى عنهما

قيل وكان بين كل ولدين لخديجة سنة وكانت رضي الله تعالى عنها تعق عن الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة وكانت تسترضع لهم

وذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره في قوله تعالى \* (يهب لمن يشاء إناثا) \* كلوط عليه الصلاة والسلام كان له إناث ولم يكن له ذكور \* (ويهب لمن يشاء الذكور) \* كإبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه لم يكن له بنت \* (أو يزوجهم ذكرا وإناثا) \* كنبينا صلى الله عليه وسلم \* (ويجعل من يشاء عقيما) \* كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فإنهما لم يولد لهما ولد

أما زينب رضي الله تعالى عنها فتزوجها ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة شقيقتها وهو العاصي بن الربيع كما تقدم وذكر بعضهم بدل هالة هند قال وهالة صحابية وهند لا أعرف لها إسلاما ويحتمل أن يكون أحدهما اسما والآخر لقباً فهما واحدة

وفي سنة ثمان من الهجرة أي من ذي الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضي الله تعالى عنها وكان صلى الله عليه وسلم معجبا بها لأنها كانت بيضاء جميلة ولده إبراهيم وعق عنه صلى الله عليه وسلم بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الأرض أي وغارت نساؤه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن من ذلك ولا كعائشة رضي الله تعالى عنها حتى إنه صلى الله عليه وسلم قال لها انظري إلى شبهه فقالت ما أرى شيئا فقال ألا تري إلى بياضه ولحمه وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله تعالى عنها وهبتها له صلى الله عليه وسلم وسلمى زوجة أبي رافع رضي الله تعالى عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعمه العباس

رضي الله تعالى عنه قبل ذلك وهبه له صلى الله عليه وسلم واسمه إبراهيم وكن قبليا وقيل غير ذلك اعتقه صلى الله عليه وسلم لما أخبره بإسلام العباس وزوجه مولاته سلمى المذكورة وقيل كان مولى لسعيد بن العاص فورثه بنوه وهم ثمانية فأعتقوه كلهم إلى ولده خالد فإنه لم يعتق نصيبه منه فكلمه صلى الله عليه وسلم أن يعتق نصيبه أو يبيعه أو يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فأعتقه قيل بعد أن سأله صلى الله عليه وسلم أبو رافع في ذل كوقى عقبه من أشارف المدينة وكان ولده عبد الله كاتباً وخازناً لعلي كرم الله وجهه أيام خلافته فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته أن مارية قد ولدت غلاماً فجاء أبو رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره فوهب له عبداً

وروى أبو رافع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه واغتسل عند كل واحدة منهن غسلان قال أبو رافع فقلت له يا رسول الله لو جعلته غسلًا واحداً قال هذا أزكى وأطيب وسمي صلى الله عليه وسلم ابنه يومئذ أي يوم ولادته وقيل سماه سبع ولادته ودفعه لأم بردة خولة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس لترضعه وأعطاهم قطعة نخل فكانت ترضع في بني مازن وترجع به إلى المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ينطلق إليها فيدخل البيت ويأخذه فيقبله ثم يرجع ولما احتضر جاء صلى الله عليه وسلم فوجده في حجر أمه فأخذه صلى الله عليه وسلم في حجره وقال يا إبراهيم إنا لن نغني عنك شيئاً ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال إنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهاننا عن الصياح أي وفي لفظ تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا أنه وعد صادق وموعد جامع فإن الآخر منا يتبع الأول وجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ما وجدناه أي وفي لفظ ولولا أنه أمر حق ووعد صادق وأنها سبيل مأتية لحزنا عليك حزناً شديداً أشد من هذا وإنابك يا إبراهيم لمحزونون وفي لفظ وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون

وعن سيرين لما نزل بإبراهيم الموت صرت كلما صحت أنا واخوتي نهانا صلى الله عليه وسلم عن الصياح أي ولما بكى صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر وعمر رضي الله تعالى

عنهما أنت أحق من علم الله حقه قال تدمع العين وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أو لم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكني نهيت عن صوتين أحمقين وآخرين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب وورنة شيطان وصوت عند نعمة لهو وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم وذكر أنه لما مات كان صلى الله عليه وسلم مستقبلا للجبل فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بي لهدك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون وصرخ أسامة رضي الله تعالى عنه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رأيتك تبكي فقال له صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان

ولما مات ولد سليمان بن عبد الملك التفت إلى ولي عهده عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وقال له إني أجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة فقال له عمر رضي الله تعالى عنه اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر والتفت إلى وزيره رجاء فقال له رجاء اقضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعده ولذلك قيل

\* في إفاضة الكئيب لدمعته

\* ما يذهب من لوعته

\* وفي إرساله لعبرته

\* ما يعينه على سلوته

\*

ومات سنة عشر من الهجرة

واختلف في سنه فقيل سنة وعشرة اشهر وستة أيام وقيل ثمانية عشر شهرا مات عند ظئره أم بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير

وفي رواية غسله الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير

وفي كلام ابن الأثير رحمه الله قيل إن الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما غسل إبراهيم ونزل في قبره هو واسامه بن زيد وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر قال الزبر ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة وهو أول قبر رش عليه الماء وفيه أنه رش على قبر عثمان بن مظعون بالماء وهو سابق على سيدنا إبراهيم كما تقدم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم وكبر أربعا أي وقيل لم يصل عليه أي لم يقع الصلاة

عليه من أحد وفي كلام النووي رحمه الله القول بالصلاة عليه وهو قول جمهور العلماء وهو الصحيح

وما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه لم يصل عليه قال ابن عبد البر رحمه الله إنه غلط فقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الأطفال إذا استهلوا عملاً مستفيضاً عن السلف والخلف

وقال الإمام أحمد رحمه الله في خبر عائشة رضي الله تعالى عنها إنه خبر منكر جداً أي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم الطفل يصل على وجهه صلى الله عليه وسلم وأطفالكم فإنه من أفراطكم وقد جاء في المرفوع إذا استهل المولود صلى الله عليه وسلم وورث وجاء أحق ما صليت على أطفالكم ومن المقرر أنه إذا تعارض الإثبات والنفي قدم الإثبات على النفي

ولما كسفت الشمس في ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكسف لموت أحد ولا لحياته وفي لفظ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته الحديث وفد بالبقيع وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولقنه صلى الله عليه وسلم قال الإمام السبكي وهو غريب وقد احتج به بعض أئمتنا على استحباب تلقين الطفل

وفي التتمة للمتولي من أئمتنا والأصل في التلقين ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن إبراهيم قال قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني فقيل له يا رسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا فأنزل الله تعالى \* (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) \* أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال يا بني إن القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون يا بني قل الله ربي والإسلام ديني ورسول الله الله أبي فبكت الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم عمر رضي الله عنه بكى حتى ارتفع صوته فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج إلى تلقين مثلك يلقنه التوحيد مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى

النبى صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى \*  
(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) \* يريد بذلك وقت  
الموت أي عند وجود الفتانين وعند السؤال في القبر فتلا النبي صلى الله عليه وسلم  
الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا لله

وفيه أن هذا يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم لم يلحق أحدا قبل ولده إبراهيم وهذا  
الحديث استند إليه من يقول بأن الأطفال يسألون في القبر فيسن تلقينهم  
وذهب جمع إلى أنهم لا يسألون وأن السؤال خاص بالمكلف وبه أفتى الحافظ ابن  
حجر رحمه الله فقال والذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول  
النووي رحمه الله في الروضة وشرح المذهب التلقين إنما هو في حق الميت المكلف  
أما الصبي ونحوه فلا يلحق قال الزركشي وهو مبني على أن غير المكلف لا يسأل في  
قبره

وذكر القرطبي رحمه الله ان الذي يقتضيه ظواهر الأخبار ان الأطفال يسألون وأن العقل  
يكمل لهم

وذكر أن الأحاديث مصرحة بسؤال الكافر أي من هذه الأمة ويخالفه قولهم حكمة  
السؤال تمييز المؤمن من المنافق الذي كان يظهر الإسلام في الدنيا وأما الكافر الجاحد  
فلا يسأل قال الفاكهاني إن الملائكة لا يسألون

قال بعضهم ووجه ظاهر فإن الملائكة إنما يموتون عند النفخة الأولى أي فلم يبق  
منهم من يقع منه السؤال وأما عذاب القبر فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم الفرق بين  
فتنة القبر وعذابه وهو أن الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال وأما العذاب فعام يكون  
ناشئا عن عدم جواب السؤال ويكون من غير ذلك

وقد اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الأنبياء عليهم الصلاة  
والسلام وما ذاك إلا أن الأنبياء قبل نبينا كان الواحد منهم إذا أتى أمته وأبوا عليه  
اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث رحمة بتأخير العذاب  
ولما أعطاه الله السيف دخل في دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله تعالى فتاني القبر  
ليستخرجنا بالسؤال ما كان في نفس الميت فيثبت الله المسلم ويزل المنافق  
وفي بعض الآثار تكرر السؤال في المجلس الواحد ثلاث مرات وفي بعضها أن المؤمن  
يسأل سبعة أيام المنافق أربعين يوما أي قد يقع ذلك

وفي بعض الآثار أن فتاني القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان وفي بعضها ثلاثة أنكر ونكير ورومان وقيل أربعة منكر ونكير يكونان للمناق ومبشر وبشير للمؤمن

ونقل الحافظ السيوطي عن شيخه الجلال البلقيني رحمه الله أن السؤال يكون بالسريانية واستغربه وقال لم أره لغيره وفي كلام الحافظ السيوطي لم يثبت في التقلين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة وآخر من أفنى بذلك العز بن عبد السلام وإنما استحسنته ابن الصلاح وتبعه النووي نظرا إلى أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال وحينئذ فقول الإمام السبكي حديث تلقين النبي صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له أصل أي صحيح أو حسن

وقال صلى الله عليه وسلم في حق إبراهيم إن له ظئرا تتم رضاعه وفي رواية إن له ضئرين يكملان رضاعه في الجنة وقال لو عاش لو وضعت الجزية عن كل قبطي وفي لفظ لأعتقت القبط وما استرق قبطي قط وفي لفظ مارق له خال قال بعضهم معناه لو عاش فرآه أخواله القبط لأسلموا فرحا به وتكرمة له فوضعت الجزية عنهم لأنه لا توضع على مسلم ومعنى الثاني إذا أسلموا وهم أحرار لم يجز عليهم الرق لأن الحر المسلم لا يجري عليه الرق وذكر أن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما كلم معاوية في أن يضع الخراج عن أهل بلد مارية وهي حفنة بالحاء المهملة واسكان الفاء وبالنون قرية من قرى الصعيد فعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم

أي وقال النووي رحمه الله وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام في المغيبات ومجازفة وهجوم على بعض الزلات قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنه لم يظهر له وجه تأويله وهو أن القضية الشرعية لا تستلزم الوقوع أي وكان اللائق به أن يكون نبيا وان لم يكن ذلك ثم رأيت الجلال السيوطي رحمه الله نقل عن الأستاذ أبي بكر بن فورك وأقره أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره وقال يا بني إن القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون وكنى به صلى الله

عليه وسلم فقد جاء ان جبريل عليه السلام قال له السلام عليك يا أبا إبراهيم إن الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية وأمرك ان تسميه إبراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرّة عين لك في الدنيا والآخرة زاد الحافظ الدمياطي رحمه الله فاطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك

أقول وسبب اطمئنانه صلى الله عليه وسلم بذلك أن مابورا كان يأوى إليها ويأتي إليها بالماء والحطب فاتهمت به وقال المنافقون عالج يدخل على علة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا كرم الله وجهه ليقتله فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله أقتله أو أرى فيه رأي فقال بل ترى رأيك فيه فلما رأى السيف بيد علي كرم الله وجهه تكشف وفي لفظ فإذا هو في ركي يتبرد فقال علي كرم الله وجهه اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب أي ممسوح فكف عنه علي كرم الله وجهه ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أصبت إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب أي وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه الصلاة والسلام المذكور فالمراد مزيد الاطمئنان

وفي كلام بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مارية رضي الله تعالى عنها وهي حامل بولده إبراهيم فوجد عندها من ذكر فوقع في نفسه شيء فخرج صلى الله عليه وسلم وهو متغير اللون فلقية عمر رضي الله تعالى عنه فعرف الغيظ في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية رضي الله عنها وهو عندها فأهوى إليه السيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه فإذا هو محبوب فلما رآه عمر رضي الله عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ألا أخبرك يا عمر إن جبريل عليه الصلاة والسلام أتاني فأخبرني أن الله برأها ونزهها مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الخلق بي وأمرني أن اسميه إبراهيم وكناني بأبي إبراهيم ولولا أنني أكره أن أحول كنيتي التي تكنيت بها لتكنيت بأبي إبراهيم والله أعلم

أي وفي النور إنني لا أعرف في الصحابة خصيا إلا هذا وشخص آخر يقال له سفد رآه مولاه يقبل جارية له فخصاه وجدعه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه سيده

وفي كلام بعضهم عد ابن منده وأبو نعيم مابورا في الصحابة وقد غلطا في ذلك فإنه لم يسلم وما زال نصرانيا ومنه أي بسببه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله عنه باب ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم

أعمامه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر وهم الحارث وهو أكبر أولاده جده عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الحارث لا شقيق له وحمزة وشقيقاه المقوم بفتح الواو وكسرهما مشددة وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة والجحل السقاء الضخم أي وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم وهو في الأصل الخلخال والعباس وشقيقه ضرار وقد تقدم أن أم العباس رضي الله عنه أول من كست الكعبة الحرير وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب قيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده أي لأنه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا وذكر بعضهم في أعمامه العوام

وعماته صلى الله عليه وسلم ست وهن أم حكيم وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وهؤلاء الخمسة أشقاء لعبد الله والده صلى الله عليه وسلم وصفية أي وهي شقيقة حمزة ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا البعثة إلا حمزة والعباس وحكى إسلام أبي طالب وقد تقدما ما فيه ولم يسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف إلا صفية أي وهي أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت أي وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه

قيل وأسلمت عاتكة التي هي صاحبة الرؤيا يوم بدر وقيل وأروى قال بعضهم والمشهور أن عاتكة لم تسلم

باب ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم لا يخفى ان أزواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنا عشرة امرأة خديجة رضي الله تعالى عنها وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت أبي هالة بن زرارة التيمي وقيل كانت تحت عتيق بن عائد المخزومي أولا ثم تحت أبي هالة كما تقدم وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشرها في الجنة من قصب لا صخب

فيه ولا نصب أي ليس فيه رفع صوت ولا تعب أي من دره مجوفة فقد جاء أنها قالت له يا رسول الله هل في الجنة قصب فقال إن من لؤلؤ مجبي بالجيم وبالموحدة مشددة أي مجوف وجوزيت رضي الله تعالى عنها بهذا البيت لأنها أول من بنى بيتا في الإسلام بتزوجها برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء من كسا مسلما على عري كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحقي جزاء وفاقا وعن عائشة رضي الله عنها ما غرت على أحد ما غرت على خديجة رضي الله عنها ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له صلى الله عليه وسلم وقد مدح خديجة رضي الله عنها ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بذلك الله خيرا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بن حين كذبتني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها واتفق له صلى الله عليه وسلم أنه أرسل لحما لامرأة تناوله صلى الله عليه وسلم ودفعه لآخر يدفعه لها فقالت له عائشة رضي الله عنها لم تحرز يدك فقال إن خديجة أوصتني بها فقالت عائشة لكأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فلبث ما شاء الله ثم رجع فإذا أم رومان أم عائشة رضي الله عنهما فقالت يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حديثه السن وأنت أحق من يتجاوز عنها فأخذ بشدق عائشة رضي الله عنها وقال أليست القائلة كأنما ليس على وجه الأرض امرأة إلا خديجة والله لقد آمنت بي إذ كفر بي قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه

ثم سودة بنت زمعة وأمها من بني النجار لأنها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب كما تقدم

ثم أم عبد الله عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما اكتنت بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فصار يقال لها أم عبد الله كما تقدم

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فما زلت أكتني به أي وكان يدعوها أما لأنه رضي الله عنه تربى في حجرها ويقال إنها أتت منه صلى الله عليه وسلم بسقط أي وسمى عبد الله قال الحافظ الدمياطي ولم يثبت كما تقدم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال وهي بنت سبع سنين وبنى صلى الله عليه وسلم بها وهي بنت تسع سنين أي في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها أريتك في النوم مرتين أرى ملكا يحملك في سرقة أي شقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف فأراك فأقول إن كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهي بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرها ودفن في بيتها كما سيأتي وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه بالبقيع وقيل سعيد بن زيد ودفنت به ليلا وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية وكان مروان استخلف أبا هريرة رضي الله عنه لما ذهب إلى العمرة في تلك السنة ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهي شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس ابن حذافة رضي الله عنه فتوفى عنها بجراح أصابته بيدر وقيل بأحد وهو خطأ لما سيأتي ثم أن تزوجه صلى الله عليه وسلم لها في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين أقول وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية سنة إحدى وأربعين والله أعلم وطلقها صلى الله عليه وسلم وقيل في سبب طلاقها أنه صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاستأذنت في زيارة أبيها أي وقيل في زيارة عائشة لأنهما كانتا متصادقتين أي بينهما المصافاة فأذن لها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة

فأبصرت مارية مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له إني رأيت من كان معك في البيت وغضبت وبكت أي وقالت يا رسول الله لقد جئت إلي بشيء ما جئت به إلى أحد من نسائك في يومي وفي بيتي وعلى فراشي فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهها الغيرة قال لها اسكتي فهي حرام علي ابتغي بذلك رضاك وفي رواية أما ترضين أن احرمها على نفسي ولا أقربها أبدا قالت بلى وحلف أن لا يقربها أي قال إنها حرام وفي رواية قد حرمتها علي ومع ذلك أخبرك أن أباك الخليفة من بعد أبي بكر فاكتمي علي

وفي رواية قال لها لا تخبري بما أسررت إليك فأخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها فقالت قد أراحنا الله من مارية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّمها علي نفسه وقصت عليها القصة وقيل خلا صلى الله عليه وسلم بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكنمي علي قد حرمت مارية على نفسي فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين بينهما المصافاة كما تقدم فطلقها وأنزل الله تعالى عند تحريم مارية قوله \* (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك) \* إلى قوله \* (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) \* أي أوجب عليك كفارة ككفارة أيمانكم لأن الكفارة تحل ما عقدته اليمين لأنه هذا ليس من الأيمان أي وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أن حفصة قد نبأت عائشة بما أسره إليها من أمر مارية وأمر الخلافة فلما أخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ما أسرته لها وهو أمر مارية وأعرض عما أسره إليها من أمر الخلافة خوفا أن ينتشر ذلك من الناس قالت عائشة من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ومن ثم كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول والله إن خلافة أبي بكر وعمر لفي كتبنا الله ثم يقرأ هذه الآية

ولما أفشت حفصة رضي الله عنها سره صلى الله عليه وسلم طلقها كما تقدم فجاءه جبريل عليه السلام يأمره بمراجعتها لأنها صوامة قوامة وإنها إحدى زوجاته صلى الله عليه وسلم في الجنة وفي رواية تأتي راجعها رحمة لعمر وقيل هم صلى الله عليه وسلم بتطليقها ولم

يفعل فقد جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضا عنها كما سيأتي قال في الينبوع وهذا هو المشهور فسيأتي ما يدل على صحته أي والذي سيأتي قول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه يا رسول الله أطلقتهن قال لا وفيه أن هذا كان عند طلبهن منه صلى الله عليه وسلم والنفقة وهذا الواقعة غير تلك وقيل في سبب نزول الآية غير ذلك

وفي البخاري في سبب نزول الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير أي أجد منك ريح مغافير فدخل على حفصة رضي الله عنها فقالت له ذلك فقال لها لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا أي لأنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يظهر منه ريح كريهة لأن المغافير صمغ العوسج من شجر الثمام كريح الريح

وعن عمر رضي الله عنه أن امرأته راجعته في شيء فأنكر عليها مراجعتها فقالت له عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر رضي الله عنه فدخل على حفصة رضي الله عنها فقال لها يا بنية إنك لتراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقالت له حفصة والله إنا لنراجعه فقلت تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم يا بنية لا تغررك هذه التي أعجبها حسنا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها يريد عائشة قال ثم دخلت على أم سلمة لقرابتي منه فكلمتها فقال يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبغني ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فأخذتني والله أخذنا كسرتني عن بعض ما كنت أحد فخرجت من عندها فأنا في منزلي فجاءني صاحب لي من الأنصار واخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه فقلت رغم أنف حفصة وعائشة فأخذت ثوبي وجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو في مشربة له يرقى إليها بعجلة وهو

جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشربة وينحدر منها عليه و غلام  
 له أسود يقال له رباح على راس العجلة فقلت له قل له هذا عمر بن الخطاب فأذن لي  
 أي بعد أن قال له يا رباح استأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي  
 كل مرة ينظر رباح إلى المشربة ولا يرد له جوابا وفي الثالثة رفع له عمر رضي الله عنه  
 صوته فأوماً إليه أن ارق قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت  
 عليه القصة فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم  
 ويأتي أن هذا كان عند اجتماعهن عليه في النفقة لا لأجل معاتبة الله إياه بسبب  
 الحديث الذي أفشته حفصة ويحتمل أنه لا اجتماع الأمرين  
 وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر ابن  
 الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللتين قال  
 الله تعالى فيهما \* (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) \* فقال اعجبا لك يا ابن عباس  
 هما عائشة و حفصة أي فإن الله خاطبهما بقوله \* (إن تتوبا إلى الله) \* أي فهو خير  
 لكما \* (فقد صغت قلوبكما) \* أي مالتا عما يجب عليكما من طاعة رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وابتغاء مرضاته ثم استقبل الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء  
 فلما قدمنا المدينة على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب  
 نسائهم فصخب علي امرأتي فراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن  
 أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه فقالت وإن إحداهن  
 لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني ذلك منهن فدخلت على حفصة فقلت لها أتغاضب  
 إحداهن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت  
 أفأتمنين أن يغضب الله بغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكي لا تستكثري النبي  
 صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجره وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن  
 كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فأخبرت  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت  
 أظن هذا فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا  
 أطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو معتزل في المشربة أي الغرفة  
 فإنه صلى الله عليه وسلم لما عاتبه سبحانه بسبب الحديث الذي أفشته حفصة على  
 عائشة حلف

لا يدخل على نسائه شهرا فصار صلى الله عليه وسلم يتغدى ويتعشى وحده في تلك المشربة فجئت المشربة فقلت لغلام أسود استأذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال ذكرتك له فصمت فرجعت ثم

غلبنى ما أجد فجئت الغلام ثم قلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا إذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من آدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت له وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع بصره إلي فقال لا فقلت الله أكبر كنا معاشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة فإذا قوم تلغبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رآته صلى الله عليه وسلم تبسم

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضا فلا ينافي ما تقدم أنه لم يطلقها وإنما أراد ذلك ويدل له ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام إنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة ومن هذا وما يأتي يعلم بأنه صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه وأما الظهار فلم يظاهر ابدا خلافا لم زعمه

أي وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب اعتزاله صلى الله عليه وسلم لنسائه في المشربة أنه شجر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين حفصة أمر فقال لها اجعلي بني وبينك رجلا قالت نعم قال فأبوك إذن فأرسلت إلى عمر فجاء فلما دخل عليها قال لها النبي صلى الله عليه وسلم تكلمي فقالت بل أنت يا رسول الله تكلم

ولا تقل إلا حقاً فرفع عمر رضي الله عنه يده فوجأها في وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد إلى الغرفة فمكث فيه شهراً لا يعرف شيئاً من نسائه ونزلت آية التخيير ويقال لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ويروى أن سبب نزول الآية التخيير أن نساءه صلى الله عليه وسلم اجتمعن عليه فسألته النفقة ولم يكن عنده شيء فألى أن لا يجتمع بهن شهراً وصعد المشربة الحديث وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوساً ببابه ليؤذن لهم قال فأذن لأبي بكر رضي الله عنه فدخل ثم أقبل عمر ماشياً فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله نساؤه أي قد سأله النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله عنه لأقولن شيئاً أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة فوجأ عنقها كل يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع بهن شهراً وفي رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه أنه كر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلاً فدق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا اجاءت غسان لأننا كنا حدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو هذا معتزلاً في هذه المشربة أي لأن نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه صلى الله عليه وسلم في طلب النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله عنه لأقولن من الكلام شيئاً أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاماً له صلى الله عليه وسلم أسود فقلت له استأذن لعمر فدخل الغلام ثم

خرج وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقك يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه إلي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعته فأنكرت عليها فقالت تنكر أن راجعتك فوالله لقد رأيت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إلى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره إحداها اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسألينه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة رضي الله تعالى عنها فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد اثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى صلى الله عليه وسلم جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر الله يا رسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما انزل الله تعالى عليه ان يخبرنساءه في قوله تعالى \* (يا أيها النبي قل لأزواجك) \* الآية فنزل ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما اعددهن فقال صلى الله عليه وسلم إن الشهر تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفي الثالثة حبس إبهامه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة إنني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي وفي رواية إنني أعرض عليك أمرا وأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت وما هو يا رسول الله

فقرأ علي \* (يا أيها النبي قل لأزواجك) \* الآية قلت أفي هذا استأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت رضي الله تعالى عنها ثم قلت له لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت لك فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا ثم فعل بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن

ثم زينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها وهي أخت ميمونة لأمها كانت تدعى أي في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها إليهم أي كما سمي صلى الله عليه وسلم جعفر ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بأبي المساكين لحبه لهم وجلوسه عندهم وتحديثه معهم واحسانه إليهم رضي الله تعالى عنه كانت قبله تحت الطفيل بن الحارث فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها إليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي وذلك على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهر وفي لفظ أن عبيدة بن الحارث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ أنها كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وهو أصح

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزینب فعمدت أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أُمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا وفلانا رجلا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمي ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله قيل لأنس ما عددهم قال كانوا ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عنده عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت فمكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر وقيل شهران أو ثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها ولم يمتم من أزواجه صلى الله عليه وسلم في حياته إلا هي وخديجة رضي الله تعالى عنهما ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد زينب هذه أم سلمة واسمها هند وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة رضي الله تعالى عنه عبد الله بن عبد الأسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وكانت هي وهو أول من هاجر إلى الحبشة على ما تقدم فلما مات أبو سلمة رضي الله تعالى عنه قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلي الله ان يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكن خيرا من أبي سلمة ولما اعتدت أم سلمة رضي الله تعالى عنها ارسل صلى الله عليه وسلم يخطبها مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه أي وكان خطبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأبت وخطبها عمر فأبت فلما جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له إني امرأة مسنة وإني أم أيتام أي لأنها رضي الله تعالى عنها كان معها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرية وإني شديدة الغيرة فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول لها أما قولك إني امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة أن تتزوج أسن منها وأما قولك إني أم أيتام فإن كلهم على الله وعلى رسوله وأما قولك إني شديدة الغيرة فإني ادعو الله أن يذهب ذلك عنك أي وفيه أنهم قالوا يا رسول الله ألا تتزوج من نساء الأنصار قال إن فيهن غيرة شديدة وفي لفظ أنها قالت زيادة على ما تقدم ليس لي ههنا أحد من أوليائي فيزوجني فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله أن يذهبها عنك وأما ما ذكرت من صيبتك فإن الله سيكفيهم وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه أي على متاع منه رحي وجفنة وفراش حشوه ليف وقيمة ذلك المتاع عشرة دراهم وقيل أربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلني بيت زينب أم المساكين رضي الله تعالى عنها بعد أن ماتت فإذا جرة فيها شيء من شعير وإذا رحي وبرمة وقدر وكعب أي ظرف الأدم فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه

وماتت أم سلمة رضي الله تعالى عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وقيل سعيد بن زيد وغلط قائله

وذكر بعضهم أن تزويج ولدها لها رضي الله تعالى عنهما إنما كان بالعصوبة لأن كان ابن عمها

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد أم سلمة رضي الله تعالى عنها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وكان اسمها برة فسمها صلى الله عليه وسلم زينب أي خشي أن يقال خرج من عند برة وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجها الله إياها أي لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة يخطبها له صلى الله عليه وسلم قال زيد فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل فأنزل الله تعالى\* (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) \* فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن فكانت رضي الله تعالى عنها تفتخر بذلك على نساءه صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله أنكحني إياه من فوق سبع سماوات وهذا يرد ما قيل إن أخاها أبا أحمد بن جحش زوجها منه صلى الله عليه وسلم

قال في النور ويمكن تأويل تزويج أخيها إياها

أي وقد ذكر مقاتل رحمه الله أن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما لما أراد أن يتزوج زينب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اخطب على قال له من قال زينب بنت جحش قال لا أراها تفعل إنها أكرم من ذلك نفساً فقال يا رسول الله إذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علي فعلت فقال صلى الله عليه وسلم إنها امرأة لسنا فذهب زيد رضي الله تعالى عنه إلى علي كرم الله وجهه فحمله على أن يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال إنني فاعل ذلك ومرسلك يا علي إلى أهلها فتكلمهم ففعل ثم عاد يخبره بكراتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيت لكم وأقضى أن تنكحوه فأنكحوه وساق لهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخماراً وملحفة وإزاراً

وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولم عليها وأطعم المساكين خبزاً ولحماً أي وتزوجها صلى الله عليه وسلم هلال ذي القعدة سنة اربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة وقيل نزلت في ذلك اليوم آية الحجاب فإنه صلى الله عليه وسلم لما دعا القوم وطعموا تهيأ صلى الله عليه وسلم للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس فلم يدخل فأنزل الله تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) \* الآية وتكلم في ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الأولاد وقد تزوج امرأة ابنه أي لأن زيد بن حارثة كان يقال له زيد بن محمد أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان تبناه كما تقدم فأنزل الله تعالى \* (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) \* وأنزل \* (ادعوهم لأبائهم) \* فيمن حينئذ كان يقال له رضي الله تعالى عنه زيد بن حارثة كما تقدم وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقاً به ماتت رضي الله تعالى عنها بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاثة وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أي فإن عمر رضي الله تعالى عنه أرسل إلي زينب رضي الله تعالى عنه بالذي لها من العطاء فسترته بثوب وأمرت بتفرقة فكان خمسة وثمانين درهما ثم قالت اللهم لا تدركني عاماً لعمر بعد عامي هذا فماتت وهي أول من جعل على نعشها قبلة أي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها فلا يخالف ما سبق مما ظاهره أنه فعل لها ذلك وفي كلام بعضهم أن زينب هذه أول من حمل على نعش وقيل أول من حمل على نعش فاطمة رضي الله تعالى عنها وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في حقها هي التي كانت تساويني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله وأصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب رضي الله تعالى عنها وقال صلى الله عليه وسلم في حقها إنها لأواهة فقال رجل يا رسول الله ما الأواه قال الخاشع المتضرع وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقاً به كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم بعض نسائه أينا أسرع بك لحوقاً قال أطولكن يدا فآخذن

قصة يذرعنها وفي لفظ عن عائشة رضي الله تعالى عنها فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتناول فكانت سودة رضي الله تعالى عنه أطولهن فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها أي وكانت سودة رضي الله تعالى عنه أطولهن فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها أي وكانت امرأة قصيرة علموا أن المراد بطول اليد الصدقة لأنها كانت تعمل وتتصدق لا الجارحة وما في البخاري من أنها سودة قال ابن الجوزي غلط من بعض الرواة والعجب من البخاري رحمه الله كيف لم ينبه عليه ولا علم بفساد ذلك الخطأ فإنه قال لحوق سودة به صلى الله عليه وسلم من أعلام النبوة وكل ذلك وهم وانما هي زينب فإنها كانت أطولهن يدا بالعطاء وجمع الطيبي رحمه الله بأنه يمكن أن يقال إن سودة رضي الله تعالى عنها أول نسائه صلى الله عليه وسلم موتا التي اجتمعن عند موته وكانت زينب رضي الله تعالى عنها غائبة وفيه أن في رواية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة أي فقد قال له بعضهن وفي لفظ قلن له أيننا أسرع لحوقا بك يا رسول الله وقد قال الإمام النووي أجمع أهل السير على أن زينب رضي الله تعالى عنها أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وسلم بعده ثم جويرية رضي الله تعالى عنها بنت الحارث من بني المصطلق سببت في غزوة بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقيل إنها كانت بملك اليمين فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وكان اسمها برة فسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية أي لما تقدم وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسافع بن صفوان وتقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كانت جويرية عليها ملاحه وحلاوة لا يكاد يراها أحد الا وقعت بنفسه وكانت بنت عشرين سنة أي وتوفيت في المدينة سنة ست وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة يومئذ وقد بلغت سبعين سنة وقيل خمسا وستين سنة ثم ريحانة بنت يزيد من بني النضير وقيل من بني قريظة وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم قال الحافظ الدمياطي

رحمه الله ولذلك ينسبها بعض الرواة إلى بني قريظة وكانت جميلة وسيمة وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا وقيل كان موطوءة له صلى الله عليه وسلم بملك المين أي فقد ذكر بعضه انه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين أن تكون في ملكه وعليه فتكون من السراري لا من الزوجات قال الحافظ الدمي والأيام أن زوجها أثبت عند أهل العلم وقال العراقي ان الثاني أي كونها سرية أضبط ودخل بها صلى الله عليه وسلم بعد أن حاضت حيضة أي وذلك في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية سنة ست من الهجرة وغارت عليه صلى الله عليه وسلم غيرة شديدة فطلقها فأكثر البكاء فراجعها صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد للقول بأنها كانت زوجة قيل ماتت مرجعه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ودفنها بالبقيع ثم أم حبيبة رضي الله عنها وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنهما وهي بنت عمه عثمان بن عفان هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى ارض الحبشة الهجرة الثاني فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى وهي ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت في حجره رضي الله تعالى عنها وتنصر عبيد الله بن جحش هناك وثبتت هي على الإسلام رضي الله تعالى عنها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي رحمة الله فزوجه صلى الله عليه وسلم إياها وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة دينار أي والذي تولى عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاصي على الأصح وكلته في ذلك وهو ابن عم أبيها وقيل الذي تولى عقد النكاح عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وقيل كان الصداق أربعة آلاف درهم وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة في سنة سبع وقيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعليه يحمل ما في

كلام العامري أن النبي صلى الله عليه وسلم جدد نكاح أم حبيبة رضي الله تعالى عنها بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنه تطيباً لخاطره  
ثم صفية رضي الله تعالى عنها بنت حي بن أخطب سيد بني النضير قتل مع بني قريظة كما تقدم وكانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وقتل عنها يوم خيبر وتقدمت قصة قتله في خيبر ولم تلد لأحد منهما واصطفها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها لأنه لما جمع سبي خيبر جاءه دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية رضي الله تعالى عنها فقيل يا رسول الله إنها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها فحجبها وجهتها له أم سليم رضي الله تعالى عنها واهدتها له من الليل وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة فأولم صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق وفي لفظ لما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده شيء فليجيء به فبسط نطعا فجعل الرجل يأتي بالأقط وجعل الرجل يأتي بالتمر وجعل الرجل يأتي بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وعن أنس قال كانت صفية عاقلة فاضلة ودخل عليها صلى الله عليه وسلم يوما وهي تبكي فقال لها في ذلك فقالت قد بلغني أن عائشة وحفصة ينالان مني ويقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوليني لهن كيف تكن خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى عليهما الصلاة والسلام وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم أي فهي بنت نبي وزوج نبي ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرها في وجهها فسألها عن ذلك فقالت رأيت كأن القمر وقع في حجري فذكرت ذلك لأبي وتقدم في رواية أنها ذكرت ذلك لزوجها كنانة فضرب وجهي ضربة أثرت في هذا الأثر وقال إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب  
ولامانع من تعدد الواقعة فقد قال في النور لعلهما فعلا بها ذلك وتقدم في رواية أنها رأت الشمس وقعت على صدرها وتقدم أنه يجوز تعدد الرؤيا أو أنها رأت الشمس والقمر في وقت واحد

وفي زمن خلافة عمر رضي الله عنه أتت جارية لها إلى عمر رضي الله عنه فقالت له يا أمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصل اليهود فسألها عمر رضي الله عنه فقالت أما السبت فإنني لا أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت قالت الشيطان قالت اذهبي فأنت حرة قال الحفاظ الدمياطي رحمه الله ماتت في رمضان سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع وخلفت ما قيمته مائة ألف درهم من ارض وعرض وأوصت لابن أختها يثثها وكان يهوديا

وذكر الرافعي رحمه الله عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه أنها أوصت لأخيها وكان يهوديا بثلاثين ألفا أي وهذا لا يعارض ما ذكر لأنه يجوز أن يكون من روى عنه إمامنا لم يعتبر ما زاد على الثلاثين الذي هو تنمة الثلث وهو ثلاثة وثلث لأن ثلث المائة ثلاثة وثلثون وثلث أو أن القائل أوصت بثثها تجوز وأطلق على الثلاثين ثلثا ثم ميمونة رضي الله عنها بنت الحارث وكان اسمها برة فسمها صلى الله عليه وسلم ميمونة زوجها له صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه وهي خالة ابنة عبد الله ابن عباس وأختها أسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه وكانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو ففارقها فخلف عليها أبو رهم فتوفى عنها فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم أي كما عليه جمهور علماء المدينة في عمرة القضاء

وفي الهدى يشبه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم خلافا لابن عباس ووهمه في ذلك قال لان السفير بينهما في النكاح وهو أبو رافع أعلم بالقصة وهو رجل بالغ وابن عباس كان سنة نحو عشر سنين قال ولا يخفى ان مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وكان ذلك سنة سبع

وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وبنى بها بسرف بعد أن أحل على ما تقدم وماتت سنة إحدى وخمسين على الأصح وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذي هو محل الدخول بها

والحاصل أن جملة من خطبه صلى الله عليه وسلم من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم

يعقد عليه ومهن من عقد عليه وهذا القسم أيضا منه من دخل به ومنه من لم يدخل به وفي لفظ جملة من عقد عليه ثلاثة وعشرون امرأة والذي دخل به منهن اثنا عشرة فمن غير المدخول بها غزية وهي أم شريك العامرية وهذه قبل دخوله بها طلقها ولم يراجعها وهناك أم شريك السلمية أخرى وهي خولة أو خويلة ولم يدخل بها وهناك أم شريك ثالثة وهي الغفارية وأم شريك رابعة وهي الأنصارية واختلف في الواهبة نفسها فقيل ميمونة وقيل أم شريك غزية وقيل أم شريك خولة التي لم يدخل بها

ورجح القول الثاني الحصني حيث اقتصر عليه في كتاب المؤمنات فقال ومنهن أم شريك واسمها غزية وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها على ما قاله الأكثرون فلم تتزوج حتى مات عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للإسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكننا نسيرك إليهم قالت فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثا لا يطعموني ولا يسقوني وكانوا إذا نزلوا منزلا أوقفوني في الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت قليلا ثم نزع مني ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع مرارا فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا انحلت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا فقالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموها عند ذلك وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها قال وفي ذلك أن من صدق في حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب هذا كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرجأ من نسائه خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة

وميمونة وآوى إليه أربعا عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة وهؤلاء التسعة مات عنهن  
صلى الله عليه وسلم وقد نظمهن بعضهم قال  
\* توفي رسول الله عن تسع نسوة  
\* إليهن تعزى المكرمات وتنسب  
\* فعائشة ميمونة وصفية  
\* وحفصة تتلوهن هند وزينب  
\* جويرية مع رملة ثم سودة  
\* ثلاث وست ذكرهن مهذب  
\*

ومن جملة اللاتي لم يدخل به النبي صلى الله عليه وسلم التي ماتت من الفرح لما  
علمت أنه صلى الله عليه وسلم تزوج بها وهي عز أخت دحية الكلبي رضي الله تعالى  
عنهما التي ماتت قبل دخوله بها  
ومن جملتهن سودة القرشية التي خطبها صلى الله عليه وسلم فاعتذرت بينهما وكانوا  
خمسة وقيل ستة فقال لها خيرا  
ومن جملتهن التي تعوذت منه صلى الله عليه وسلم فقالت أعذو بالله منك فقال لها لقد  
عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني وفي لفظ عذت بعظيم وفي لفظ عائد الله  
وفي كلام بعضهم أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبن عليه لجمالها فقلن  
لها إنه صلى الله عليه وسلم يعجبه إذا دنا منك أن تقول لي له أعوذ بالله منك فلما دنا  
منها قالت أعوذ بالله منك وفي رواية قلن لها إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله  
منه فلما دخل عليها قالت له أعوذ بالله منك فصرف صلى الله عليه وسلم وجهه عنها  
وقال ما تقدم وطلقها وأمر أسامة رضي الله تعالى عنه فمتعها بثلاثة أثواب  
وفي لفظ أتى أبو أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية أي أسماء بنت  
النعمان بن أبي الجون الكندية فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها  
فقالت تعال أنت وفي رواية فقال هبي نفسك فقالت تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى  
صلى الله عليه وسلم بيده إليها لتسكت فقالت أعوذ بالله منك قال عذت معاذ فخرج  
فقال يا أبا أسيد اكسها رازقين وألحقها بأهلها وهذا هو المشهور  
وروى هذا الخبر عن أسيد بن أبي أسيد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
امرأة يتزوجها من بلجون أي من بني الجون فجئت بها فأنزلتها بالشعب في أجم

ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله جئتك بأهلك فأتاها صلى الله عليه وسلم فأهوى إليها ليقبلها فقالت أعوذ بالله منك الحديث ومن حملتهن التي اختارت الدنيا وقيل التي كانت تلتقط البعر هي المستعيذة منه ومن حملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة فوق بنت قيس أخت الأشعث ابن قيس الكندي زوجة إياها أخوها وهي بحضرموت ومات صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليه وأوصى صلى الله عليه وسلم بأن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما هي من أمهات المؤمنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام من ربي عز وجل أي وعنه صلى الله عليه وسلم أن خديجة رضي الله تعالى عنها تزوجها قبل نزول الوحي أي وقد ألفت في أزواجه صلى الله عليه وسلم الحافظ الدمياطي جزءاً فليطلب وكذا ألفت فيهن الشمس الشامي وأما سراريه صلى الله عليه وسلم فأربع مارية القبطية أم ولده سيدنا إبراهيم وريحانة على ما تقدم وجارية وهبتها له صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها أخرى اسمها زليخة القرظية باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله عليه وسلم من الأحرار فمن الرجال أنس بن مالك الأنصاري رضي الله تعالى عنه كان من أخص خدامه صلى الله عليه وسلم خدمة من حين قدم المدينة إلى وفاته صلى الله عليه وسلم عشر سنين كما تقدم فعن أنس رضي الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة يعني زوج أمه بيدي فانطلق بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

إن أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر وتقدم في بعض الروايات ان ابتداء خدمته صلى الله عليه وسلم كان عند خروجه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومات وقد جاوز المائة

وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه كان صاحب سواكه ونعله صلى الله عليه وسلم إذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه إياها فإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وكان رضي الله تعالى عنه يمشي بالعصا أمامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الحجرة أي ومعيقب الرومي رضي الله تعالى عنه كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه كان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودها في الأسفار وكان عالما بكتاب الله عز وجل وبالفرائض فصيحاً شاعراً مفهماً ويأتي أنه ولي مصر لمعاوية رضي الله تعالى عنهما وتوفي بها وصرف عنها مسلمة بن مخلد رضي الله تعالى عنه

واسقع بن شريك صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان رضي الله تعالى عنه يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أسقع قم فارحل فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء فسكت صلى الله عليه وسلم وجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بآية التيمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسقع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين فقممت وتيممت ثم رحلت له صلى الله عليه وسلم ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى مر بماء فقال له يا أسقع أمس هذا جلدك وتقدم أن سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة رضي الله تعالى عنها في بعض الغزوات

وبلال مؤذنه صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله تعالى عنه على نفقاته وهو مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه أي لأنه الذي اشتراه وهو يعذب في الله وأعتقه كما تقدم ومن النساء أمة الله بنت رزينة وخولة ومارية أم الرباب ومارية وجدة المثني ابن صالح وقيل التي قبلها

باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله عليه وسلم  
الذين أعتقهم

فمن الرجال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم أن خديجة رضي الله تعالى عنها وهبته له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ابن محمد فلما نزل \* (ادعوهم لآبائهم) \* أي وقوله تعالى \* (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) \* الآية قيل له زيد بن حارثة كما تقدم وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة وأخو أسامة لأمه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية رضي الله تعالى عنهم

وأبو رافع كان قبطيا وكان العباس رضي الله تعالى عنهما فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أسلم العباس وبشر أبو رافع رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس اعتقه

وشقران كان حبشيا وقيل فارسيا وكان لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم

وثوبان وأنجشة اشتراه صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديدية وأعتقه وكان رضي الله تعالى عنه يحدو بالنساء قال له صلى الله عليه وسلم وقد حدا بهن رويدا رويدا يا أنجشة رفقا بالقوارير يعني النساء لأن الحداء إذا سمعته الإبل أسرع في المشي فتزعج الراكب والنساء يضعفن من شدة الحركة وشبههن صلى الله عليه وسلم في ضعفهن بالقوارير وهي الأواني من الزجاج

ورباح كان أسود ويسار كان نوبيا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قتله العرنيون وقد تقدم أن هذا غير يسار الذي كان دليلا لسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

وسفينة وكان أسود وكان لأم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش وكان اسمه بهران وقيل رومان وقيل غير ذلك وإنما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لأنه حمل أمتعة للصحابة رضي الله تعالى عنه ثقلت عليهم فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم أحمل وإنما أنت سفينة قال رضي الله تعالى عنه فلو حملت يومئذ وقر بعير أبو بعيرين إلى أن عد سبعة ما ثقل علي وقيل لأنه انكسرت به السفينة في البحر فركب لوحا من ألواحها فنجا

وذكر أن البحر ألقاه على أجمة سبع فأقبل نحوه فقال له أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء إلي وضربني بمنكبيه ثم مشى أمامي حتى أقامني على الطريق ثم همهم وضربني بذنبه فرأيت أنه يودعني وقيل إنما وقع له ذلك لما أضل الجيش الذي كان فيه بأرض الروم

وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أي لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أدى عنه نجوم كتابته وفي كونه كان رقيقا ما تقدم

أي والخصي التي أهداه له المقوقس الذي هو مابور المتقدم ذكره وآخر يقال له سندر وفي كلام بعضهم أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه أربعين رقبة ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين التي أهديت له صلى الله عليه وسلم مع مارية أي وتقدم أنها أختها

وذكر بعضهم أن سيرين هذه وهبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وتقدم أن المقوقس أهدى معهما قنسر وأنها أخت مارية وسيرين فهن الثلاث أخوات وتقدم انه اهدى اليه صلى الله عليه وسلم رابعة باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم فقد ذكر بعضهم أن كتابه صلى الله عليه وسلم كانوا ستة وعشرين كاتباً على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلماء

وفي السيرة للعراقي أنهم كانوا اثنين وأربعين منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمداً حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي لفظ كان يقول اكتب كذا فأقول أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ونزل فيه \* (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) \*

أي ثم لما كان يوم الفتح وامر صلى الله عليه وسلم بقتله فر إلى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لأن كان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه عثمان رضي الله تعالى عنه ثم جاء بعدما اطمأن الناس واستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فصمت له رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت عنه إلا لتقتلوه إلى آخر ما تقدم ثم اسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى ان يختم عمره بالصلاة فمات ساجداً في صلاة الصبح وقيل بعد التسليمة الأولى وقيل الثانية

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنهم أي وعبد الله بن الأرقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم قال عمر في حقه ما رأيت أحشى الله منه وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الأنصار بالمدينة كان في أغلب أحواله يكتب الوحي وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون في عهده عليه الصلاة والسلام

وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان أي وأخوه يزيد قال بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم بالسريانية قال إني لا آمن يهود على كتابي فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم إليهم وأقرأ له كتبهم والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة أي ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله ابن أبي ابن سلول

باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم  
قبل أن ينزل عليه قوله تعالى \* (والله يعصمك من الناس) \*  
سعد بن معاذ حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة يوم بدر أي الليلة التي صبيحتها ذلك  
اليوم وفي ذلك اليوم لم يحرسه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر الصديق رضي الله  
تعالى عنه شاهرا سيفه حين نام بالعريش  
وفي كلام بعضهم أن سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه كان مع أبي بكر رضي الله  
تعالى عنه في العريش يحرسانه صلى الله عليه وسلم في بدر  
ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم أحد  
والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق  
والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه حرسه يوم الحديبية  
وأبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة بني بصفية  
ببعض طرق خيبر  
وبلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس رضي الله عنهم حرسوه صلى الله  
عليه وسلم بوادي القرى  
أي وحرسه صلى الله عليه وسلم ابن أبي مرثد الغنوي في الليلة التي كانت في صبيحتها  
وقعة حنين حيث قال صلى الله عليه وسلم ألا رجل يحرسنا الليلة فقال أنا يا رسول الله  
فدعا له صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الآية وهي \* (والله يعصمك من الناس) \* ترك  
الحرس  
باب يذكر فيه من ولي السوق في زمنه صلى الله عليه وسلم  
وتصدق هذه الولاية الآن بالحسبة ومتوليها بالمحتسب كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم استعمل سعد بن سعيد بن العاصي بعد الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن  
الخطاب رضي الله تعالى عنه على سوق المدينة

باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه وسلم  
منهم نعيمان كان صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى نعيمان لا يتمالك نفسه أن يضحك  
لأنه كان مزاحا وتقدم عنه ويأتي أيضا ما وقع بينه وبين سليط أو سويط  
ومنهم الذي كان يحده في الخمر واسمه عبد الله ويلقب بالخممار  
باب يذكر فيه أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم  
منهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه كان أمين رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على نسائه  
وكذا أبو أسد بن أسيد الساعدي كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نسائه وهو آخر  
من مات من أهل بدر رضي الله تعالى عنهم وكان ممن ابصر الملائكة يوم بدر وكف  
بصره  
وبلال المؤذن رضي الله تعالى عنه كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نفقاته  
ومعقيب كان أمينه صلى الله عليه وسلم على خاتمه الشريف  
باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عليه وسلم  
الذين كانوا يناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش  
حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله تعالى عنهم أجمعين

باب يذكر فيه من كان يضرب الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم وهم علي كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنهم وعاصم بن ثابت أي والضحاك بن سفيان رضي الله تعالى عنه ولعل المراد من كان يتكرر من ذلك فلا ينافي ما تقدم في قصة الحارث بن سويد أنه قال لعويمر بن ساعدة رضي الله تعالى عنه اضرب عنقه

باب يذكر فيه مؤذنه صلى الله عليه وسلم وهم بلال وابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنهما بالمدينة وسعد القرظ مولى عمار ابن ياسر رضي الله تعالى عنهما بقاء وقيل له القرظ لا تجارة فيه ومن قال القرظي فقد أخطأ وأبو محذورة رضي الله تعالى عنه بمكة أي وأذن بين يديه صلى الله عليه وسلم زياد بن الحارث الصدائي كما تقدم

وقد يقال مراد الأصل من تكرار أذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبد العزيز بن الأصم فإنه أذن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة

باب يذكر فيه العشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد نظم ذلك بعضهم في بيت فقال

\* لقد بشرت بعد النبي محمد  
\* بجنة عدن زمرة سعداء  
\* سعيد وسعد والزبير وعامر  
\* وطلحة والزهري والخلفاء \*

أي وربما أسقط بعضهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وهو غريب جدا

باب يذكره فيه حوار يوه صلى الله عليه وسلم  
بالحاء المهملة أي أنصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفاء الأربعة وحمزة  
وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص  
وطلحة والزبير وهو أكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند اطلاق حوار ي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب يذكر فيه سلاحه صلى الله عليه وسلم  
كان له صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدروع سبعة ومن القسي ستة ومن  
الأتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ومن الحراب ثلاثة ومن الخود اثنان فأما السيوف فسيوف  
يقال له مأثور بهمزة ساكنة ثم ثاء مثلثة ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقدم به  
المدينة أي ويقال إنه من عمل الجن وسيوف يقال له العضب أي القاطع أرسل به إليه  
سعد بن عباد رضي الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم إلى بدر وسيف  
يقال له ذو الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر  
كان للعاص بن وائل قتل يوم بدر كافرا وكان قائمته وقيعته بفتح القاف وكسر  
الموحدة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته بإسكان اللام وفتحها  
وعلاقتها بكسر العين فضة وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم في حرب من الحروب  
ويقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وسيوف يقال له الصمصامة بفتح  
الصاد المهملة وإسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو ابن معد  
يكرب أهده صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعيد بن العاص حيث استعمله صلى الله  
عليه وسلم على اليمن وسيوف يقال له القلعي بفتح اللام نسبة إلى برج القلعة موضع  
بالبادية وسيوف يقال له الحيف بفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو الموت  
وهذه الثلاثة من سلاح بني قينقاع مثلث النون وسيوف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم

السين المهملة ثم واو ساكنة موحدة أي يرسب ويستقر في الضربة وهو أحد السيوف التسعة التي أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام وسيف يقال له المحزم بكسر الميم ثم حاء ساكنة ثم ذال معجمة مفتوحة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طي الذي يقال له الغلس وسيف يقال له القضيبي من قضب الشيء قطعه فعمل بمعنى فاعل أي قاطع

وأما الدروع فدرع يقال لها ذات الفضول بضم الفاء وبالضاد المعجمة لطولها أرسل بها إليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه حين سار إلى بدر أي وكانت من حديد وهي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعاً من الشعير وكان الدين إلى سنة ودرع يقال لها ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة مخففة وفي آخره حاء مهملة ودرع يقال لها ذات الحواشي ودرع يقال لها السفيرية بالفاء والسفر موضع يصنع به الدروع قال في النور والذي أحفظه في هذه الدرع السعدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة مفتوحة ودرع يقال لها الفضة ويقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بني قينقاع يقال إنها درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت كما تقدم ودرع يقال لها البتراء بفتح الموحدة ثم مثناة فوق ساكنة ممدودة قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخاء المعجمة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف قيل لها ذلك لنعومتها

وأما القسي فقوي يقال لها البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسي وهو من سلاح بني قينقاع وقوي يقال لها الروحاء وقوي يقال لها الصفراء من نبع وهو شجر يتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام كسرت يوم أحد وقوس يقال لها الزوراء ويقال لها الكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها قيل وهي التي اندقت سيئها يوم أحد أي وقوس يقال لها السداد

وأما الأتراس فترس يقال لها الزلوق لان السلاح يزلق عنه وترس يقال لها فتق بضم الفاء وفتح التاء المثناة فوق وبالقاف وترس يقال لها تمثال عقاب أو كبش فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه فذهب  
وأما الرماح فرمح يقال له المثنى ورمح يقال لها المثنوى بضم الميم واسكان التاء

المثلثة وكسر الواو من الثوى وهو الإقامة لان المطعون به يقيم موضعه ولا ينتقل أي وثلاث رماح أصابها من سلاح بني قينقاع يقال لأحدها المشنى بضم الميم واسكان التاء المثلثة ثم نون مفتوحة وفي الأصل المشنى بتقديم النون على التاء وأما الحراب فحربة يقال لها النبعة وحربة يقال لها البيضاء وحربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة قال جاء بها الزبير رضي الله تعالى عنه من أرض الحبشة أعطاها له النجاشي رحمه الله وقاتل بها بين يدي النجاشي عدوا للنجاشي وظهر النجاشي على ذلك العدو وشهد بها الزبير رضي الله تعالى عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر فكانت تحمل بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال رضي الله تعالى عنه فتركز بين يديه صلى الله عليه وسلم ويصلي إليها وكذا كان يصلي إليها في أسفاره أي وكان صلى الله عليه وسلم يمشي بها وهي في يده ورابعة يقال لها المهر وخامسة يقال لها النمر وكان له صلى الله عليه وسلم محجن طوله قدر ذراع أو أكثر ييسير يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره يسمى الذقن وكان له رأس معقفة كالصولجان وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب من شوحط يسمى الممشوق قيل وهذا القضيب هو الذي كانت تتداوله الخلفاء ه أي وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة بكسر الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الصاد وهي ما يمسكه بيده من عصا أو مقرعة تسمعون ويقال لها العسيب وأما الخود جمع خودة وهي ما يجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة فخودة يقال لها الموشح بالميم وبالشين المعجمة مشددة مفتوحة والحاء المهملة وخودة يقال لها السبوغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة أو ذات السبوغ باب يذكر فيه خيله وبغاله وحمرة صلى الله عليه وسلم كان له صلى الله عليه وسلم سبعة أفراس وكان له بغال ست وكان له من الحمير اثنان وكان له من الإبل المعدة للركوب ثلاثة فأما أفراسه صلى الله عليه وسلم ففرس يقال له السكب شبه بسكب الماء وانصبابه

لشدة جريه وهي أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم اشتراه من أعرابي بعشرة أواق وكان اسمه عند الأعرابي الضرس أي بفتح الضاد وكسر الراء وبالسين المهملة الصعب السيء الخلق وكان أغر أي له غرة وهي بياض في وجهه محجلا طلق اليمين كميتا أي بين السواد والحمرة وقال ابن الأثير كان أسود أدهم وفرس يقال له المرتجز أي سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بأنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من صاحبه بعد أن أنكر بيعه له وقال له ائت بمن يشهد لك فجعل شهادة خزيمة بشهادتين بعد ان قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم تحضر فقال لتصديقي إياك يا رسول الله وإن قولك كالمعاينة فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ذو الشهادتين فسمى ذا الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أو شهد عليه فهو حسيبه لكن جاء أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الأعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فأصبحت من العد شائلة برجلها وفرس يقال له اللحيف بالحاء المهملة واللام المضمومة فعيل بمعنى فاعل لأنه كان يلحف الأرض بذنبه لطوله أي يغطيها وقيل لأنه كان يلتحف معرفته وقيل هو بضم اللام مصغرا وقيل بالحاء المعجمة مع فتح اللام وهو الأكثر وهذا الفرس أهده له صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو من أرض البلقاء بالشام وفرس يقال له اللزاز أي أهده له المقوقس كما تقدم مأخوذ من قولهم لاززته أي لاصقته فكان يحلق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك وفرس يقال له الطرف أي بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل وفرس يقال له الورد وهو بين الكميت والأشقر أهده له صلى الله عليه وسلم تميم الداري رضي الله تعالى عنه وأهده صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه وفرس يقال له سبحة أي بفتح السين وإسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أي سريع الجري هذا هو المشهور وعد بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فأوصل جملتها إلى خمسة عشر بل إلى العشرين وقد ذكر الحافظ الدمياطي أسماء الخمسة عشر في سيرته وقال فيها وقد ذكرناها وشرحناها في كتابنا كتاب الخيل وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتين من ليف قال ولم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه فقيل له يا رسول الله تمسح بكم قميصك فقال صلى الله عليه وسلم إن جبريل عليه السلام عاتبني في الخيل وفي رواية في الفرس أي في أمتها وفي رواية في سياستها وقال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة أه

أي وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قام إلى فرسه الطرف فعلق عليه شعيره وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح بردائه فقيل له يا رسول الله تمسح ظهره بردئك فقال نعم وما يدريك لعل جبريل عليه الصلاة والسلام أمرني بذلك وعن بعضهم قال دخلت على تميم الداري رضي الله تعالى عنه وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقى لفرسه شعيرا فقلت أيها الأمير ما كان لهذا غيرك فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وكان صلى الله عليه وسلم يضم الخيل للسباق فيأمر باضمارها بالحشيش اليابس شيئا بعد شيء ويأمر بسقيها غدوة وعشيا ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجري الشوط والشوطان وأما بغاله صلى الله عليه وسلم فبغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل في الأصل القنفذ وقيل ذكر القنفاذ وقيل عظيمها وهذه أول بغلة ركبت في الإسلام وفي لفظ رؤيت في الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يركبها في المدينة وفي الاسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علي كرم الله وجهه الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضي الله تعالى عنه وركبها بعد علي ابنه الحسن ثم الحسين رضي الله تعالى عنهما ثم محمدا بن الحنفية رحمه الله وسئل ابن الصلاح رحمه الله هل كانت أنثى أو ذكرا والتاء للوحدة فأجاب بالأول قال بعضهم واجماع أهل الحديث علي أنها كانت ذكرا ورماها رجل بسهم فقتلها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني إلى زوجته أم سلمة فأتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا

وعذارا ثم دخل البيت فأخرج عباءة فثناها ثم ربعها على ظهرها ثم سمي وركب ثم اردفني خلفه وبغلة يقال لها فضة أهداها له عمرو بن عمرو الجذامي كما تقدم ووهبها صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أي وأوصلها بعضهم إلى سبعة وفي مزيل الخفاء وفي سيرة مغلطاي كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضه والتي أهداها له ابن العلماء أي بفتح العين المهملة واسكان اللام وبالمد في غزوة تبوك والآلية وبغله أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشي هذا كلامه

وعقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه كان صاحب بغله رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود به في الأسفار وتوفى بمصر ودفن بقرافتها وقبره معروف بها وكان واليها من قبل معاوية بن عتبة بن أبي سفيان ثم صرف عنها بمسلمة بن مخلد وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مدة من الليل فقال أنخ فأنخت فنزل عن راحلته ثم قال اركب فقلت سبحان الله أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك فأمرني فقال اركب فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ذكره في الامتاع

وأمر حمرة صلى الله عليه وسلم فحمار يقال له يعفور وحمار يقال له عفير العين المهملة وقيل بالمعجمة وغلط قائله وكان اشهب ومات في حجة الوداع والأول أهداه له فروة بن عمرو الجذامي وقيل المقوقس والثاني أهداه له المقوقس وقيل فروة بن عمرو كذا في سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله والعفرة هي الغبرة أي وأوصل بعضهم حمرة صلى الله عليه وسلم إلى أربعة وتقدم أن يعفورا وجده صلى الله عليه وسلم في خيبر وأنه مات النبي صلى الله عليه وسلم طرح نفسه في بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته وما فيها

وأما إبلة صلى الله عليه وسلم التي كان يركبها فناقة يقال لها القصواء وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على

المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه

وفي رواية إن الناس لم يرفعوا شيئا من الدنيا إلا وضعه الله عز وجل ويقال إن هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشرب حتى ماتت وقيل إن التي كانت لا تسبق ثم سبقت هي القصواء وكانت العضباء يسبق بها صاحبها الذي كانت عنده الحاج ومن ثم قيل لها سابقة الحاج وقيل إن هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المفهوم من الأصل وهو موافق في ذلك لابن الجوزي رحمه الله حيث قال إن القصواء هي العضباء وهي الجدعاء وقيل القصواء واحدة والجدعاء واحدة وفي كلام بعضهم وأما البقر فلم ينقل أنه صلبى ملك شيئا منها أي للقنية فلا ينافي انه صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر

وأما غنمه صلى الله عليه وسلم فقبل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله تعالى عنها وجاء اتخذوا الغنم فإنها بركة وكان له صلى الله عليه وسلم شياه يختص بشرب لبنها وماتت له صلى الله عليه وسلم شاة فقال ما فعلتم بإهابها قالوا إنها ميتة قال دباغها طهورها واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت وقال الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء اتخذوا الديك الأبيض فإن دارا فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر ولا الدويرات حولها واتخذوا هذا الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم

وفي العرائس أن آدم قال يا رب شغلت بطلب الرزق لا أعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فأهبط الله ديكا وأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم عليه السلام من الخلق فكان الديك إذا سمع التسبيح ممن في السماء سبح في الأرض فيسبح آدم بتسبيحه

باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة وإن شاركه فيها غيره  
قال قد خلق الله تعالى أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سليمة من العيب حتى  
صلحت لحلول الأنفس الكاملة وهم في ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم أصخ  
الأنبياء مزاجا وأكملهم جسدا

وعن أنس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبينا  
صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وصوتا انتهى وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم  
الظاهرة لا تدرك حقائقها وإلى هذا يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله  
\* إنما مثلوا صفاتك لنا  
\* سب من كما مثل النجوم الماء  
\*

وتقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم في خبر أم معبد رضي الله عنها  
ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان ضخم الهامة أي الرأس ووصف صلى الله عليه  
وسلم بأنه كان فخما مفخما أي عظيما في الصدور والعيون يتلألأ وجهه كالقمر ليلة  
البدر قال كان في وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكثم  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن  
الشمس تجري في وجهه وفي رواية تجري من وجهه وعن ابن عباس رضي الله عنهما  
لم يرقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يرقم مع  
سراج قط إلا غلب ضوءه السراج انتهى أقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين  
والذال المعجمتين مشددة ثم موحدة على وزن معظم البائن الطويل في نحافة وأطول  
من المربوع قال وعن علي كرم الله وجهه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة القوم والممغط المتناهي في الطول  
والمتردد المجتمع الخلق أي القصير جدا لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى  
الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارقه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم نسب للربعة أي لا طويل ولا قصير عظيم الهامة أي وفي رواية ضخم الرأس رجل  
الشعر إذا انفرقت عقيصته وفي لفظ عقيقتة وهي الشعر المعقوص فرق أي إذا انفرقت  
من

ذات نفسها فرقتها أي أبقاها مفروقة وإلا تركها معقوفة أي تركها على حالها لم يفرقتها  
لم يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره قال أي جعله وقرة  
وحاصل الأحاديث أن شعره صلى الله عليه وسلم وصف بأنه جممة ووصف بأنه وفرة  
ووصف بأنه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذي ينزل على شحمة الأذن والجممة بالذي  
ينزل على المنكبين قال بعضهم كان شعره صلى الله عليه وسلم يقصر ويطول بحسب  
الأوقات فإذا غفل عن تقصيره وصل إلى منكبيه وإذا قصره تارة ينزل عن شحمة أذنه  
وتارة لا ينزل عنها

وجاء في وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد قطط أي بالغ في الجعودة ولا  
رجل سبط أي بالغ في السبوطه فلا ينافي ما جاء عن علي كرم الله وجهه كان شعر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبطا

وعم أم هانئ رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم أربع غدائر أي ضفائر تخرج  
أذنه اليمنى من بين ضفيرتين وأذنه اليسرى كذلك قال ابن القيم رحمه الله لم يحلق  
صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف إلا أربع مرات انتهى أزهر اللون أي أبيض مشرب  
بحمرة أي وهي المراد بالسمره وفي رواية كان أسمر ومن ثم جاءه في رواية كان  
بياضه صلى الله عليه وسلم إلى سمرة لأن العرب قد تطلق على من كان كذلك أي  
بياضه إلى حمرة أسمر ومن ثم جاء ليس بالأبيض الأمهق أي شديد البياض الذي لا  
يخالطه حمرة كلون الجص

وعن علي كرم الله وجهه ليس أبيض شديد الوضح وفي رواية شديد البياض ولا  
معارضة لأن محمول على ما كان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء أنور المتجرد  
وهو ما كشف عنه الثوب من البدن

وقيل المراد بالأمهق الأخضر فقد قيل إن المهق خضرة الماء ولا بالآدم أي شديد الأدمة  
واسع الجبين أي وفي رواية مفاض الجبين أي واسعة وفي رواية كان جبين رسول الله  
صلى الله عليه وسلم صلتا أي أملس وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلألأ أزج الحاجبين سوايغ من غير قرن أي بين  
حاجبيه فرجة وهو البلج أي والقرن بالتحريك اتصال شعر الحاجبين وورد مقرون  
الحاجبين أي شعرهما متصل بالآخر لا حاجز بينهما

ولا منافاة لأن ذلك يجوز أن يكون بحسب الرائي لأن الفرجة التي كانت بين حاجبيه يسيرة لا تبين إلا لمن دقق النظر بينهما عرق يدره الغضب أي إذا غضب امتلاً ذلك العرق دماً فيظهر ويرتفع أقنى العينين أي سائله مرتفع وسطه أي وفي وسطه احدياب وفي رواية دقيق العينين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أي مرتفعا أدعج العينين أي شديد سواد العينين وفي كلام بعضهم الدعج سواد العين ويقابله الأشهل وهو من في سواد عينيه حمرة وقد جاء أشهل العينين وأشكل العينين أي في بياض عينيه صلى الله عليه وسلم حمرة وكانت يف الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم كما تقدم أي وفي رواية أنجل العينين أي واسعهما أهدب الأشفار أي طويل هذب شعر العينين

أي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أكحل العينين والكحل سواد هذب العين حلقة وعن جابر رضي الله عنه إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل أي في عينيه كحل وليس بالكحل سهل الخدين أي وفي رواية أسيل الخدين أي ليس في خديه نتوء وارتفاع ضليع الفم أي واسعه أشنب أي وفي ريقه برد وعذوبة مفلج الأسنان أي مفروق ما بين الثنايا كما في رواية أفلج الثنيتين لأن الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وفي رواية براق الثنايا كان إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه يفتر عن مثل حب الغمام أي إذا ضحك بانت أسنانه كالبرد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه حسن الثغر وعن أنس رضي الله عنه شممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته صلى الله عليه وسلم كث اللحية أي كثير شعرها وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكان له صلى الله عليه وسلم مشط من العاج وهو الدبل وقيل شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية ويقال لعظم الفيل عاج أيضا أي وليس مرادا هنا أي وكان له مقراض أي مقص يقض به أطراف شاربه

وفي المشكاة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يأخذ من شاربه فليس منا أي وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالمقراض من عرض لحيته وطولها

وقد لا ينافي ذلك ما جاء أمرني ربي باعفاء لحييتي وقص شاربي وقال من الفطرة قص الأظفار والشارب وحلق العانة

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه حتى كأن ثيابه ثياب زيات أو دهان أي وفي لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات أو دهان وليس في شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن أنس رضي الله عنه أن شيب لحيته صلى الله عليه وسلم كان في عنفقه وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عرف من مجموع الروايات أن الذي شاب في عنفقه صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب في غيرها وقال صلى الله عليه وسلم شيبنتني هود وأخواتها فقال له أبو بكر رضي الله عنه ما أخواتها يا رسول الله قال الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة

وفي رواية شيبنتني هود والواقعة والمرسلات وعم يستاءلون وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبه صلى الله عليه وسلم لم يخضب وقيل كان يخضب بالحناء والكتم

وقال صلى الله عليه وسلم أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم ونهى صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم أي واسعوه وهو مما تمدح به العرب وتذم بصغر الفم غاض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة دقيق المسربة بفتح الميم وإسكان السين ثم راء مضمومة وهو الخيط الشعر الذي بين الصدر والسرة كأن عنقه جيد دمية هي صورة تتخذ من العاج في صفاء الفضة

أي عن علي كرم الله وجهه كأن عنقه إبريق فضة معتدل الخلق بادنا متماسكا أي ذو لحم متماسك يمسك بعضه بعضا ليس مسترخي اللحم سواء البطن والصدر أي مستويهما عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام أي ملتقى كل عظمين كالمرفقين والمنكبين والركبتين موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة هو المنحر والسرة بشعر يجري كالخيط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق المسربة

عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك اشعر الذراعين والمناكب وأعالى الصدر طويل  
الزندان أي عظيم الذراعين رحب الراحة أي واسعها  
قال أنس رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سائل الأصابع أي طويلها شثن الكفين والقدمين أي يميلان إلى الغلظ وذلك  
ممدوح في الرجال مدموم في النساء أي وكانت سبابة يديه صلى الله عليه وسلم أطول  
من الوسطي قال ابن دحية رحمه الله وهذا باطل بيقين ولم يقله أحد من ثقات  
المسلمين أي وإنما كان ذلك في أصابع قدميه صلى الله عليه وسلم وهو في ذلك  
كغيره من الناس وفي رواية منهوس بالمهملة والمعجمة العقب أي قليل لحم القدمين  
سبط العظام أي ممتدها لا نتوء فيها  
وفي رواية سبط العصب وهو كل عظم فيه مخ خمصان الأخصمين ينبو عنهما الماء أي  
يتجافى أخصم القدم وهو وسطه أي شديد التجافي عن الأرض مسيح القدمين أي  
أملسهما وهذا يوافق ما جاء في رواية إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخصم إذا  
زال زال تقلعا أي يرفع رجله بقوة ويخطو تكفيا أي يتمايل إلى قدامه وقيل يمينا  
وشمالا كالمختال ولا يذم إلا من تكلفه لا من كان ذلك جبلة له ويمشي هونا أي  
برفق ووقار دون عجلة ذريع المشية أي واسعها إذا امشي كأنما ينحط من صبب أي  
وذكر في سفر السعادة أن هذه المشية مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حي وإن  
هذا النوع من المشي يسمى مشي الهوينا المذكور في قوله تعالى \* (وعباد الرحمن  
الذين يمشون على الأرض هونا) \* وهو أعدل أنواع المشي لأن الماشي إما مهاون  
بالمشي كالخشبة أوطائي ينزعج وهذان النوعان في غاية القبح لأن الأول يدل على  
الخمول  
وموت القلب والثاني يدل على خفة الدماغ وقلة العقل ثم قال وأنواع المشي عشرة  
هذه الثلاثة منها وذكر باقيها  
وكان صلى الله عليه وسلم إذا التفت التفت جميعا أي بسائر جده ولا يلوى عنقه كما  
يفعله أهل الخفة والطيش يفتح الكلام ويختمه بأشداقه  
لا يقال قد ذم صلى الله عليه وسلم المتشدين لأننا نقول المراد بهم من يكثر الكلام من  
غير احتياط ولا احتراز ومن يلوى أشداقه استهزاء بالناس  
وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم أي بالكلام القليل الألفاظ الكثير

المعائني فصلا لا فضول فيه ولا تقصير قال صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا

قال ومن تلك الكلمات لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها خيرا الأمور أو ساطها السعيد من وعظ بغيره إذا أشار بكفه كلها أه وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث قارب يده اليمنى من اليسرى فضرب بإبهام اليمنى راحة اليسرى أي وربما يسبح عند التعجب وربما حرك برأسه وعض شفته وربما ضرب بيده على فخذه وربما نكت الأرض بعود وإذا غضب أعرض بوجهه

أي وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمر وجهه الشريف وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته وفي رواية إذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء أي تنفس طويلا وقال حسبي الله ونعم الوكيل جل أي معظم ضحكه التبسم وكون معظم ضحكه ذلك لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم ضحك غير ما مرة حتى بدت نواجذه

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جرى به الضحك وضع يدع على فيه قال وكان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم يمشي منتعلا وربما مشى صلى الله عليه وسلم حافيا وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية أهديت إليه حتى يأكل منها صاحبها أي بعد أن أهديت إليه صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع ويلعقهن إذا فرغ يلحق الوسطى ثم التي يليها الإبهام وقال إن لعق الأصبع بركة

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بلعق الصحيفة ويقول إنكم لا تدرن في أي طعامكم البركة أه

ونحن نوضح بعض هذه الصفات الظاهرة بعبارة واضحة قريبة للأفهام فنقول كان صلى الله عليه وسلم عظيما معظما في الصدور والعيون كبير الرأس لأن كبر الرأس يدل على كثرة العقل غالبا ووجهه كالقمر ليلة البدر لون جسده الذي ليس تحت الثياب أبيض مشرب بحمرة طويل الحاجبين مع دقة ما بينهما خال من الشعر وهو البلج وضده القرن وهو أن يتصل شعر أحدهما بالآخر

بين حاجبيه عرق إذا غضب انتفح طويل الأنف مع حذب في وسطه ودقة في طرفه ليس في حذبه ارتفاع لأن العرب تدم به  
في عينيه شكلة وهي بياض وحمرة شديدة سواد العين مع اتساعها واسع الفم لان سعة الفم تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة ويقال لها الفلج كثير شعر اللحية شبيه قليل عنقه كالإبريق الفضة إذا مشى مال إلى أمامه  
باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الباطنة وإن شاركه فيها غيره  
كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح أي كثير المزاح فلا ينافي ما روى كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه قال وقد جاء إني لأمزح ولا أقول إلا حقا لكن جاء عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا وكان يقول إن الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه  
وجاء عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما رأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في النبي صلى الله عليه وسلم دعابة وعن بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة قال صلى الله عليه وسلم لعتمته صفية لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول \* (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) \* وهن العجائز الرمص أي والعروب المتحبة لزوجها التي تقول وتفعل ما تهيج به شهوته إياها وأترابا كأنهن ولدن في يوم واحد لأنهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة  
وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب أن يحمله على بعير فقال له إني حاملك علي ولد الناقة فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الإبل إلا النوق  
وقد أتى أزيهر وفي لفظ زاهر وكان يهدى للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية

فكان كلما قدم من البادية يأتي معه بطرف وهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد ان يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه وفي لفظ لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه جاءه يوما وهو يبيع متاعه في السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال أرسلني من هذا فلما عرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يمكن ظهره من صدره الشريف عليه الصلاة والسلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال يا رسول الله تجدني كاسدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند الله ليست بكاسد أو قال أنت عند الله غال ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جمع بين هذين اللفظين وكل روى ما سمع منهما

وعن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في قبض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال صلى الله عليه وسلم تقدموا فتقدموا ثم قال لي تعالى حتى أسبقك فسابقته فسبقته فسكت حتى إذا حملت اللحم وكنا في سفرة أخرى قال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لي تعالى حتى أسبقك فسابقته فسبقني فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول هذه بتلك وعن أنس رضي الله عنه قال دخل صلى الله عليه وسلم على أمي فوجد أخي أبا عمير حزينا فقال يا أم سليم ما بال أبي عمير حزينا فقالت يا رسول الله مات نغيره تعنى طيرا كان يلعب به فقال صلى الله عليه وسلم أبا عمير ما فعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي كلي أو لأطخن وجهك فأبت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرخى فخذه لسودة وقال الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقال صلى الله عليه وسلم يوما لعائشة ما أكثر بياض عينيك انتهى

وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهي وقد ترك نفسه من ثلاث الرياء والإكبار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب

عورته وكان صلى الله عليه وسلم يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشيء يقال ما ذقت ذواقا أي شيئا من طعام أو شراب وعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعجني بعجة بسوط في يده وقال بسم الله أو جعنتي قال فبت لنفسي لائما أقول أو جعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان فانطلقت وأنا متخوف فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعنتي فبعجتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ولما نزل قوله تعالى \* (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) \* قال له جبريل عليه السلام أي بعد أن سأله صلى الله عليه وسلم في ذلك إن ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وفي الحديث لا ينال عبد صريح الإيمان حتى يكون كذلك وفي الحديث إن ذلك أفضل أهل الدنيا والآخرة

وكان صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسألة لا يقطع على أحد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة يعظم النعمة إن دقت لا يغضب ولا ينتصر لها وإنما يغضب إذا تعرض للحق بشيء وعند غضبه لذلك لا يثنيه شيء عن الانتصار له ويكرم كريم كل قوم ويوليهم ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم فإن كان غائبا دعا له وإن كان شاهدا زاره وإن كان مريضا عاده ويسأل الناس عما الناس فيه أفضل الناس عنده أعمهم نصحية وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه

من جالسه أو نادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أبو بيميسور من القول عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء لا ترفع فيه الأصوات ولا يتنازعون عنده الحديث

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير أي على غاية من السكون والوقار لأن الطير لا تكاد تقع إلا على ساكن وإذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه أي لا يقطع بعضهم على بعض حديثه يضحك مما يضحكون ويعجب مما يعجبون

فقد ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجرا إلى بصرى ومعه نعيمان بن عمرو الأنصاري وسويط بن حرملة وكلاهما بدري وكان سويط على زاد أبي بكر فجاءه نعيمان وقال له اطعمني فقال لا حتى يأتي أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحكا مزاحا فيه دعابة وله أخبار ظريفة في دعابته فقال لسويط لأغيظنك فذهب إلى ناس وفي رواية فمروا بقوم فقال لهم نعيمان تشترون مني عبدا لي قالوا نعم قال إنه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر فإن كان إذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا علي عبدي قالوا لا بل نشتره ولا ننظر في قوله فاشتروه منه بعشرة قلائص فاقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم له وقالوا له قد اشتريناك فقال هو كاذب أنا رجل حر وفي رواية أنهم وضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره خبره فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم أنه يمزح وردوا عليهم القلائص وردوا سليطا منهم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله كاملا لأن سفر أبي بكر رضي الله عنه كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بعام

ووقع لنعيمان هذا أنه مر بمخرمة بن نوفل رضي الله عنه وقد كف بصره وهو يقول الا رجل يقودني حتى أبول فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال له ههنا فبال فصاح الناس به فقال من قادني قيل نعيمان فقال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال له هل لك في نعيمان قال نعم قال فقم فقام معه فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلي فقال دونك الرجل فجمع يديه في العصا ثم ضربه فقال الناس أمير المؤمنين فقال من قادني فقيل نعيمان قال لا أعود إلى نعيان أبدا

وجاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائمه فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحررتها فأكلناها فإننا قد قرمنا إلى اللحم ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقها فنحرهما نعيمان فخرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا قالوا نعيمان فأتبعه صلى الله عليه وسلم يسأل عنه فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد فأشار إليه رجل ورفع صوته ما رأيته يا رسول الله وأشار بأصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعفر وجهه بالتراب فقال له ما حملك على ما صنعت قال الذين دلوك علي يا رسول الله هم اللذين أمروني فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه التراب ويضحك ثم غرم صلى الله عليه وسلم ثمنها

وكان رضي الله عنه إذا دخل المدينة طرفة اشتراها في ذمته ثم جاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله هذه هدية فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أعط هذا ثمن ما جئت به إليك فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم تهدي ذلك لي فيقول يا رسول الله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن يكون لك فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمانه

وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر ضحوك السن أي أكثر أحواله ذلك حسبما رآه هذا المخبر فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الأحران دائم الفكرة ليست له راحة فإنه بحسب ما كان عند ذلك المخبر

وفي كلام ابن القيم رحمه الله قد صانه الله عن الحزن في الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان دائم البشر ضحوك السن كذا قال

وفي كلام الإمام أبي العباس بن تيمية رحمه الله ليس المراد الحزن الذي هو الألم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فإن ذلك منهي عنه وإنما المراد به الاهتمام واليقظة لما يستقبله من الأمور وهذا مشترك بين القلب والعين وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القرآن أي ما ذكره القرآن \* (وإنك لعلى خلق عظيم) \* وإنه تأدب بأدابه وتخلق بمحاسنه

وقد قال صلى الله عليه وسلم بعث لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال قال وذكر في عوراف المعارف أن في قول عائشة رضي الله عنها خلقه القرآن سرا غامضا حيث عدلت إلى ذلك عن قولها كان متخلقا بأخلاق الله سترا للحال بلطف المقال استحياء من سبحات ذي الجلال اه أي فكان صلى الله عليه وسلم متصفا بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع لأوليائه ومواساة عباده وإرادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لأذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم إلى ما يجمع لهم خيري الدنيا والآخرة مع التعفف عن أموالهم إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة التي اتصف بها صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية وخوفا من الله أي ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول أنا أتقاكم لله وأخوفكم منه وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فدخل معي في لحافي ثم قال ذريني أتعبد لربي فقام صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضي الله عنه فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة \* (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبواب) \* إلى قوله \* (سبحانك فقنا عذاب النار) \*

وكان صلى الله عليه وسلم يقول أواه من عذاب الله قبل أن لا ينفع أواه أي ومن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من صنعت له النورة ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل أن لا يكون أواه أي وفي سفر السعادة لم يدخل صلى الله عليه وسلم الحمام أبدا والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله تعالى المشهورة بحمام النبي صلى الله عليه وسلم لعلها بنيت في موضع اغتسل فيه صلى الله عليه وسلم مرة هذا كلامه وأرسل صلى الله عليه وسلم وصيفة فأبطأت عليه فقال لها لولا خوف القصاص

لأوجعتك بهذا السواك وما ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة امرأة ولا خادمة من أهله

قال وعن خادمة أنس رضي الله عنه ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر فتوانيت عنه أو ما صنعتته فلامني ولا لامني أحد من أهله صلى الله عليه وسلم إلا قال دعوه وفي لفظ خدمته في السفر والحضر عشر سنين والله ما قال لي في شيء صنعتته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا وهذا يدل على أنه رضي الله عنه خدمه صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة وتقدم أن في بعض الروايات ما يدل على أن ابتداء خدمة أنس له صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر وتقدم ما فيه

ووصف صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة بأنه حلمه صلى الله عليه وسلم يسبق غضبه ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما وقد تقدمت قصته صلى الله عليه وسلم مع اليهودي الذي طلب منه وفاء ما اقترض منه صلى الله عليه وسلم قبل حلول الأجل ونظيرها

وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس أثقله شره قال ابن بطال رحمه الله إن هذا الرجل هو عيينة بن حصن كأنه كان يقال له الأحمق المطاع وهو صلى الله عليه وسلم إنما تطلق في وجهه تألفا له ليسلم قومه لأنه كان المطاع فيهم وأما ذمه صلى الله عليه وسلم له فلأنه يعلم ما يقع منه بعد فإنه ارتد في زمن الصديق رضي الله عنه وحارب ثم رجع وأسلم

أي وقد قيل إن سبب نزول قوله تعالى \* (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) \* الآية أن عيينة هذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم قال على أن تبني لي مقصورة في مسجدك هذا أكون أنا وقومي فيها وتكون أنت معي

ومن تأمل سيرته صلى الله عليه وسلم مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والضعفاء والمساكين علم أنه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية في التواضع ورقة القلب ولين الجانب

وعن أنس رضي الله عنه أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة يوما فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أنني أذهب فخرجت على صبيان يلعبون في السوق وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض ثيابي من ورائي فنظرت إليه صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فقال يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت نعم أنا أذهب يا رسول الله اه

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وأرجح الناس حلما وأعظم الناس عفوا وأسخر الناس كفا

وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وقال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه وقد اضطروه إلى شجرة فخطفت رداؤه الشريف فوقف ثم قال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم وفي رواية لو أن لي مثل جبال تهامة ذهباً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوباً ولا بخيلاً ولا جباناً كما تقدم

وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلباً وأشد الناس حياءً وكان أشد حياءً من البنت البكر في خدرها أي بيتها وسترها وكان إذا فرح غص طرفه وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفص صوته وربما غطى وجهه بيده أو ثوبه وكان يحب الفأل الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن كما تقدم وربما غير الحسن القبيح كما تقدم وكان يقول لأصحابه إذا أرسلتم لي رسولا فليكن حسن الاسم حسن الوجه

من ذلك أن شخصا كان سادنا أي خادما لصنم وكان يسمى غاوي بن ظالم فبينما هو عند صنمه إذ أقبل ثعلبان إلى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله وبال على رأس ذلك الصنم فلما رأى ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد

\* أرب يبول الثعلبان برأسه

\* لقد ذل من بالت عليه الثعالب

\*

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم فقال  
صلى الله عليه وسلم له بل أنت راشد بن عبد ربه  
ومن هذا السياق يعلم أن الثعلبان بفتح الثاء المثناة مثنى ثعلب لا بضمها ذكر الثعلب  
كما قيل

ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ما وقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي قرد انه مر  
على ماء فسأل عنه فقيل له هذا اسمه بئسان وهو مالح فقال لا بل اسمه نعمان وهو  
طيب فانقلب عذبا واشتراه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ثم تصدق به فلما جاء إليه  
صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت يا  
طلحة إلا فياض فسمى طلحة الفياض

وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر قالت عائشة رضي الله عنها ما  
رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وكان صلى الله عليه وسلم إذا حلف قال لا ومقلب القلوب وربما قال في يمينه  
واستغفر الله وإذا اجتهد في اليمين قال لا والذي نفس أبي القاسم بيده وربما قال  
والذي نفس محمد بيده وربما قال في يمينه لا واستغفر الله والذي نفسي بيده  
وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس إغضاء عن العورات وكان إذا كره شيئا عرف  
في وجهه ولم يشافه أحدا بمكروه حتى إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان  
يقول أو يفعل كذا بل يقول ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا

لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة  
والينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال لبيك  
يخالط أصحابه ويحدثهم ويداعب أي يمازح صبيانهم ويجلسهم في حجره الشريف  
أي فقد كان صلى الله عليه وسلم يصف أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله وغيرهما  
رضي الله عنهم ويقول من سبق إلي فله كذا فيستبقون إليه فيقعدون على صدره  
الشريف فيقبلهم ويلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى  
في أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويقبل عذر المعتذر ما وضع أحد فمه في أذنه إلا  
استمر صاغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده صلى الله  
عليه وسلم منه حتى يكون الآخذ هو الذي يرسلها

وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط ماداً رجله بين أصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أبى ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وطعن في الحديث الذي ورد بذلك وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز فيها أي خففها

أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال تعالى \* (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) \* ومن ثم رغب صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من المسلمين رحمة له أي إذا كان لا يستحق ذلك السب في باطن الأمر ويستحقه في ظاهر الأمر أي وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد وكان صلى الله عليه وسلم يقول إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد

وكان يركب الحمار أي وربما ركبه عريانا ويردف خلفه فعن أنس رضي الله عنه رأته صلى الله عليه وسلم يوماً على حمار خطامه ليف أي وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر وكان يجلس على الأرض وكان يشرب قائماً وقاعدا وينتعل قائماً وقاعداً ويصلي منتعلاً وحافياً

وفي لفظ كان أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم في نعليه وكان يحب التيامن في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان يكتحل بالإثمد عند النوم ثلاثاً في كل عين وفي لفظ ثلاثاً في اليمنى ومرتين في اليسرى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالإثمد فإن يحلو البصر وينبت الشعر وإنه من خير أحوالكم وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه

وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دارهم وقال اللهم اجعله حجا مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم واهدى في حجة ذلك مائة بدنة كما تقدم

وكان يفلي ثوبه أي وإن كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه

ويحلب شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويعلف ناضحه وهو الجمل الذي يسقى عليه الماء ويقم البيت

قال وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة ما يرى فارغا قط في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة انتهى ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويحب الطيب ويأمر به

وكان يتطيب بالمسك والغالية ويتبخر بالعود والعنبر والكافور ويأمر أصحابه بالمشي أمامه ويقول خلوا ظهري للملائكة زاهدا في الدنيا ما ترك درهما وا ديناراً

توفي ودرعه مرهونة وتقدم أنها ذات الفضول عند يهودي وتقدم أنه أبو الشحم على نفقة عياله وتقدم أن ذلك كان ثلاثين صاعاً من الشعير وكان الأجل سنة

وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ما شبع ثلاثاً أيام

تباعاً من خبر البر حتى فارق الدنيا وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه

وفي رواية ما شبع يومين من خبر الشعير أي ومعلوم أن ذلك إنما هو لتأسي به أمته في الإعراض عن الدنيا قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي اشبع فيه فأحمدك

وأثني عليك

قال صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا إنما أنا في الدنيا كرجل سار في يوم صائف

فاستظل تحت شجرة حتى مال الفيء فتركها ولم يرجع إليها

وقال صلى الله عليه وسلم ما أبالي بما رددت به عني الجوع ولم ينخل له صلى الله

عليه وسلم دقيق الشعير قال وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والذي بعث محمداً

بالحق ما رأى منخلاً ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبض فقيل لها

كيف كنتم تصنعون بالشعير قالت كنا نقول أف أف انتهى أي فيطير ما طار وما بقي

عجنه ولا خبز له صلى الله عليه وسلم مرقق ولا أكل النقي من الخبز

وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال صلى الله عليه وسلم أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام أي فإنه صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا ولا أكل على خوان قط إنما كان يأكل على السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على الأرض

أي وخطب صلى الله عليه وسلم يوما فقال والله ما أمسى في بيت محمد صاع من طعام وإنما لتسعة أبيات قال الحسن والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن أراد صلى الله عليه وسلم أن تتأسى به أمته

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان يمر هلال ثم هلال لا يوقد في بيت من بيوت رسول الله نار لا لخبز ولا لطبخ فقيل له بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة فقال بالأسودين الماء والتمر

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال والله لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالي ما يجدون فيها عشاء

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أهدى لنا أبو بكر شاة قالت إنني لأقطعها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلمة البيت فقال لها قائل أما كان لكم سراج فقالت لو كان لنا ما نسرج به أكلناه

وكان صلى الله عليه وسلم لا يجمع في بطنه بين طعامين إن أكل لحما لم يزد عليه وإن أكل تمرا لم يزد عليه وإن أكل خبزا لم يزد عليه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم إلا ثوب واحد من قطن قصير الكمين كمه إلى الرسغ وطوقه مطلق من غير ازرار أي وفي لفظ كان قميص رسول الله قطننا قصير الطول قصير الكمين كمه إلى الرسغ وكان له صلى الله عليه وسلم جبة ضيقة الكمين وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان

وكان له صلى الله عليه وسلم بردة يمانية طولها ستة أذرع في عرض ثلاثة أذرع وشبر كان يلبسهما في يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان

وكان له صلى الله عليه وسلم رداء أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر تداولته الخلفاء

وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب كساها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه كرم الله وجهه فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم علي في السحاب يعني عمامته التي وهبى له صلى الله عليه وسلم وكان إذا اعتم يرخي عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة اللاطئة أي اللاصقة بالرأس وذات الأذان كان يلبسها في الحروب والقلانس الطوال إنما حدثت في أيام الخليفة المنصور

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فرق بيننا وبين المشركين العمام على القلانس أي فإنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمام ويلبس القلانس بغير عمام ويلبس العمام بغير قلانس

وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها وعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يلبسها في العيدين ويرخيها خلفه

وجاء أن جبريل عليه السلام كانت عمامته يوم غرق فرعون سوداء ومقدار عمامته الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يثبت في حديث قال بعض الحفاظ والظاهر أنها كانت نحو العشرة أذرع أو فوقها بيسير وكانت له صلى الله عليه وسلم خرقة إذا توضع تمسح بها هذا

وفي سفر السعادة لم يكن صلى الله عليه وسلم ينشف أعضائه بعد الوضوء بمنديل ولا منشفة وإن أحضروا له شيئاً من ذلك أبعدته والحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها كانت له صلى الله عليه وسلم نشافة يتنشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ رضي الله عنه في معناه كلاهما ضعيف وقال تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه الحديث وكانت له صلى الله عليه وسلم ملحفة مורسة إذا أراد أن يدور على نسائه رشها بالماء أي لتظهر رائحتها وكان يصبغ قميصه ورداءه وعمامته بالزعفران أي وفي لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء وعن ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه كان أحب الصبغ إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم وسلم الصفرة وقال الحافظ الدميّاطي رحمه الله ويعارض هذه الأحاديث ما روى في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزعفر وفي لفظ نهى عن أن يتزعفر الرجل

اي وقد يقال على تقدير صحة تلك الأحاديث فهي منسوخة أو كان ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف هل لبسها فقليل نعم ففي الأوسط للطبراني ومسنده أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى بزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوزن وأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لأحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قلت يا رسول الله إنك لتلبس السراويل قال أجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فإني أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه ومخرجه هو وشيخه ضعيفان

وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرنى في زمرة المساكين وفي لفظ آخر اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين فإن اشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة اتتني الدنيا خضرة حلوة ورفعت إلي رأسها وتزينت لي فقلت إنني لا أريدك لا حاجة لي فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء

قال وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة أحب إلي من اليسار وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أرثي له صلى الله عليه وسلم من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنع عنك الجوع فيقول يا عائشة إن إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم اخشى أن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني

قال وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر وقال \* (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) \* والله لأصبرن جهدي ولا قوة إلا بالله انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم على غاية من الإعراض عن الدنيا وكان يصلي على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت في جسده الشريف

وكان ينام على شيء من آدم محشو ليفا فليل له في ذلك فقال مالي وللدنيا وعن عائشة رضي الله عنها دخلت امرأة من الأنصار فرأت ذلك الأدم وفي لفظ رأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إليه بفراش حشوه صوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت يا رسول الله فلانه الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا فقال رديه فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله يا عائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب الفضة

وعنها رضي الله عنها كانت تفرش تلك العبائة مثنية طاقين ففي بعض الليالي ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال يا عائشة ما الفراشي الليلة ليس كما يكون قلت يا رسول الله ربعتها قال فأعيديه كما كان

وكان صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان يقول لأصحابه كلهم رضي الله عنهم إذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في حياتي وكان أرجح الناس عقلا والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر الناس

وعن وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا أنه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس وأفضلهم رأيا وفي رواية وجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انتهائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة بين رمال الدنيا ومما يتفرع على العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل وإصابة الرأي وجودة الفطنة

وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك صلى الله عليه وسلم الغاية التي لم يبلغها بشر  
سواه

ومما يكاد يقضى منه العجب حسن تدبيره صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم  
كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه  
صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم  
وأبناءهم وهاجروا في رضاه أوطانهم انتهى والله أعلم

باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم التي هي مصيبة  
الأولين والآخرين من المسلمين

ذكر أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى البقيع من جوف الليل فاستغفر لهم فعن أبي  
مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له  
في جوف الليل إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع فانطلق معي قال فانطلقت معه فلما  
وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح  
الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها  
أولها والأخيرة شر من الأولى قال ثم أقبل علي وقال يا أبا مويهبة هل علمت أنني قد  
أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي  
فاخترت لقاء ربي والجنة أي وفي رواية أن أبا مويهبة قال له والله يا أبا مويهبة لقد  
اخترت لقاء ربي والجنة ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه  
من يومه ذلك ابتدأه الصداع أي وفي رواية ذهب بعد ذلك إلى قتلى أحد فصلى عليهم  
فرجع معصوب الرأس فكان ذلك بدء الوجع الذي مات فيه وفي رواية رجع من جنازة  
البقيع

قالت عائشة رضي الله عنها لما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا  
أقول وا رأساه فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وا رأساه قال لو كان ذلك وأنا حي  
فأستغفر لك وأدعو لك وأكفئك وأدفنك وفي لفظ وما يضرك لو مت قبلي فقامت  
عليك وكفنتك

وصليت عليك ودفنتك فقلت واثكلاه والله إنك لتحب الموتى فلو كن ذلك لظلمت يومك معرسا ببعض أزواجك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وأرأساه لقد هممت أن أرسل إلى أبيك وأخيك فأقص أمري وأعهد عهدي فلا يطمع في الدنيا طامع وفي لفظ ثم قلت يا أبا الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون وفي رواية أنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعى لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وفي رواية لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال أباي الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر قال ابن كثير رحمه الله وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها فضل الصديق رضي الله عنه من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولعل خطبته صلى الله عليه وسلم هذه كانت عوضا عما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتبه في الكتاب

وفي رواية أنه اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم رجال فقال صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم أي وهو سيدنا عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه الوجع وعندكم القرآن أي وإنما قال ذلك رضي الله عنه تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهم فأمرهم بالخروج من عنده

وجاء ان العباس رضي الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فإني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت أي وفي رواية خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مرضه الذي مات فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عمه العباس رضي الله عنهما وقال له والله أنت بعد ثلاث عبد العصى وإني لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجعه هذا بعد ثلاث إلا ميتا فإني رأيت في وجهه ما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله فيمن هذا الأمر فإن

كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا فقال علي كرم الله وجهه  
والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها وصار صلى  
الله عليه وسلم يدور على نسائه فاشتد به المرض عند ميمونة رضي الله عنها وقيل في  
بيت زينب رضي الله عنها وقيل في بيت ريحانة رضي الله عنها قالت عائشة رضي الله  
عنها فدعا صلى الله عليه وسلم نساءه فاستأذنه أن يمرض في بيتي فأذن له وفي رواية  
صار يقول وهو في بيت ميمونة أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة رضي  
الله عنها وفي البخاري يقول أين أنا اليوم أين أنا غدا استبطاء ليوم عائشة رضي الله  
عنها فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة  
وفي رواية عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى النساء في مرضه فاجتمعن  
فقال إني لا أستطيع أن ادور بينكن فإن رأيتن أن تأذن لي فأكون في بيت عائشة فعلن  
فأذن له قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله معتمدا  
عليهما الفضل بن العباس ورجل آخر وفي رواية بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل  
آخر وفي رواية بين أسامة ورجل آخر عاصبا رأسه الشريف تخط قدماه الأرض حتى  
دخل بيتي قال ابن عباس رضي الله عنهما الرجل الذي لم تسمه علي بن أبي طالب كرم  
الله وجهه أي فإنه كان بينها وبين علي ما يقع بين الأحماء وقد صرحت بذلك ولما  
أرادت أن تتوجه من البصرة بعد انقضاء وقعة الجمل وخرج الناس ومن حملتهم علي  
كرم الله وجهه لتوديعها حيث قالت والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون  
بين المرأة وأحمائها فقال علي أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيننا إلى ذلك  
وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وقد تقدم ذلك  
ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال هريقوا علي من سبع قرب  
من أبار شتى حتى أخرج إلى الناس فاعهد إليهم فأقعدناه صلى الله عليه وسلم في  
منخضب إناء من حجر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم وفي لفظ  
حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلت أي وصب المياه المذكورة له دخل في دفع السم  
أي فإنه صلى الله عليه وسلم صار يقول لعائشة يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي  
أسمته بخبير فهذا أو انقطاع أبهري من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عاصبا رأسه الشريف على المنبر حتى جلس على المنبر ثم كان أول من تكلم به  
ان صلى على أصحاب

أحد أي دعا لهم فأكثر عليهم واستغفر لهم ثم قال إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وعرف أن نفسه يريد أي فبكى أبو بكر فقال نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال علي رسلك يا أبا بكر أي وفي رواية قال يا أبا بكر لا تبك أيها الناس أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر وهذا حديث صحيح جاء عن بضعة عشر صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر

وفي أخرى إن أعظم الناس علي منا في صحبته وذات يده أبو بكر وفي أخرى فإني لا أعلم امرا أفضل عندي يدا في الصحابة من أبي بكر وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة أي وفي الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت شرا استغرت لكم أي وهذا بيان للثاني لاستغناء الأول عن البيان ومعلوم أن خيرا وشرا هنا ليسا فاعل تفضيل الذي يوصل بمن حتى يلزم التناقض بل المراد أن ذلك فضيلة ثم قال صلى الله عليه وسلم انظروا هذه الأبواب اللاصقة في المسجد أي وفي لفظ هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها إلا باب أبي بكر أي وفي لفظ إلا ما كان من باب أبي بكر فإني وجدت عليه نورا وفي لفظ سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد إلا خوخة أبي بكر فإن المراد بالأبواب الخوخ فإني لا أعلم أن أحدا كان أفضل في الصحبة عند يدا منه أي وفي لفظ أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر وفي لفظ لا تؤذوني في صاحبي ولولا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ألا فسدوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة أي وجاء في الحديث لكل نبي خليل من أمته وإن خليلي أبو بكر وإن الله اتخذ صاحبكم خليلا وفي رواية وإن خليلي عثمان بن عفان وجاء لكل نبي خليل و خليل سعد ابن معاذ

وفي أسباب النزول للثعالبي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وإنه لم يكن نبي إلا وله خليل ألا وإن خليلي أبو بكر وفي رواية الجامع الصغير إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وإن خليلي أبو بكر وفي رواية الجامع الصغير خليلي من هذه الأمة

أويس القرني ولعل هذا كان قبل أن يقول صلى الله عليه وسلم في مرض موته قبل موته بخمسة أيام إنني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد أتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لا اتخذت أبا بكر خليلا لكن خلة الإسلام أفضل وفي رواية ولكن أخوه الإسلام ومودته وفي رواية لكن أخي وصاحبي وجمع بأن الأول أي إثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها ونفيها عن غير الله محمول على كمالها

ثم لا يخفى أن قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لا اتخذت أبا بكر خليلا يدل على أن مقام الخلة ارقى من مقام المحبة وأن المحبة والخلة ليسا سواء خلافا لمن زعم ذلك

أي ولا مانع أن يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل فلا حاجة إلى ما تكلفه بعضهم مما يدل على أن مقام المحبة أفضل من مقام الخلة أي الذي يدل عليه ما جاء الأ قائل قولا غير هجر إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وعند ذلك أي إغلاق الأبواب قال الناس أغلق أبوابنا وترك باب خليله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأرى على أبوابكم ظلمة لقد قلمت كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجاد لي بماله وخذلتموني وواساني أي ولعل قولهم وترك باب خليله لا ينافي ما تقدم من عدم اتخاذه خليلا

وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر قال عمر يا رسول الله دعني أفتح كوة أنظر إليك حيث تخرج إلى الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وقال العباس بن عبد المطلب يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال في المسجد يعني أبا بكر وما بالك سددت أبواب رجال في المسجد فقال يا عباس ما فتحت عن أمري ولا سددت عن أمري وفي لفظ ما أنا سددها ولكن الله سدها

وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بسد الأبواب إلا باب علي قال الترمذي حديث غريب وقال ابن الجوزي هو موضوع

وضعه الراضة ليقابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر وجمع بعضهم بأن قصة علي متقدمة على هذا الوقت وأن الناس كان لكل بيت بابان باب يفتح للمسجد وباب يفتح خارجه إلا بيت علي كرم الله وجهه فإنه لم يكن له إلا باب من المسجد وليس له باب من خارج فأمر صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب أي التي تفتح للمسجد أي بتضييقها وصيرورتها خوفاً إلا باب علي كرم الله وجهه فإن علياً لم يكن له إلا باب واحد ليس له طريق غيره كما تقدم فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بجعله خوفاً ثم بعد ذلك أمر صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ إلا خوفاً أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقول بعضهم حتى خوفاً علي كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت أن علياً كرم الله وجهه لم يكن له إلا باب واحد فالباب في قصة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس المراد به حقيقته بل الخوفاً وفي قصة علي كرم الله وجهه المراد به حقيقته أقول ومما يدل على تقدم قصة علي كرم الله وجهه ما روي عنه قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن سد بابك قال سمعاً وطاعة فسد بابه ثم أرسل إلى عمر ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ففعلاً وأمرت الناس ففعلوا وامتنع حمزة فقلت يا رسول الله قد فعلوا إلى حمزة فقال صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول بابه فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك فحولوه وعند ذلك قالوا يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا باب علي فقال ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها وفي رواية ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإنني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيكم قائلكم وإنني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ولكني أمرت بشيء فاتبعته إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت \* (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) \* ومعلوم أن حمزة رضي الله تعالى عنه قتل يوم أحد فقصة علي كرم الله وجهه متقدمة جداً على قصة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وعلى كون المراد بسد الأبواب تضييقها وجعلها خوفاً يشكّل ما جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب كلها غير باب علي فقال العباس يا رسول الله قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج قال ما أمرت بشيء من ذلك فسدها كلها غير باب

علي فعلى تقدير صحة ذلك يحتاج إلى الجواب عنه وعلى هذا الجميع يلزم أن يكون باب علي كرم الله وجهه مستمر مفتوحا في المسجد مع خوخة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لما علم أنه لم يكن لعلي باب آخر من غير المسجد

وحينئذ قد يتوقف في قول بعضهم في سد الخوخ إلا خوخة أبي بكر إشارة إلى استخلاف أبي بكر لأنه يحتاج إلى المسجد كثيرا دون غيره لكن في تاريخ ابن كثير رحمه الله وهذا أي سد جميع الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب علي لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري من أمره صلى الله عليه وسلم في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر لأن في حال حياته صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضي الله تعالى عنها تحتاج إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها صلى الله عليه وسلم فأبقى صلى الله عليه وسلم باب علي كرم الله وجهه لذلك رفقا بها وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزال هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق رضي الله تعالى عنه لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالمسلمين لأنه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وهو يفيد أن باب علي كرم الله وجهه سد مع سد الخوخ ولم يبق إلا خوخة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وجعل لبيت علي كرم الله وجهه باب من الخارج

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا يحل لأحد جنب مكث في المسجد غيري وغيرك وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنأدى بأعلى صوته إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وأزواجه وعلي وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم أن لا تضلوا قال الحافظ ابن كثير وهذا أي الثاني إسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه والمراد المكث في المسجد لا المرور به والاستطراق منه فإن ذلك لكل أحد ثم رأيت الحافظ السيوطي رحمه الله أشار إلى ذلك وذكر أن مثل علي كرم الله وجهه فيما ذكر ولداه حسن والحسين حيث قال وكذا علي بن أبي طالب والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث في المسجد مع الجنابة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا إنهم كانوا عييتي التي أويت إليهم فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته هذه أيها الناس من أحسن من نفسه شيئا فليقم أدع الله له فقام إليه رجل فقال يا رسول الله إنني لمنافق وإنني لكذوب وإنني لنثوم فقال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وأذهب عنه النوم إذا شاء قال ابن كثير في إسناده وامتته غرابة شديدة وأمر صلى الله عليه وسلم في مرضه أبا بكر أن يصلي بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشاء وقد أذن بلال وقال ضعوا لي ماء في المخضب أي وهو شبه الإجانة من نحاس فاغتسل فيه أي وهذا مع ما سبق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان له مخضب من حجر ومخضب من نحاس ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس فقلنا لاهم ينتظرونك أي وعند ذلك ضعوا إلى ماء في المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لاهم ينتظرونك أي وعند ذلك ضعوا لي ماء في المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لاهم ينتظرونك يا رسول الله فالله قال ضعوا لي ماء في المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لاهم ينتظرونك يا رسول الله والناس ملمومة في المسجد ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة فأرسل إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه بان يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لعمر يا عمر صل بالناس فقال له عمر رضي الله تعالى عنه أنت أحق بذلك

وفي رواية أن بلالا رضي الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال الصلاة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا أستطيع الصلاة خارجا ومر عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضي الله تعالى عنه وهو يبكي فقال له المسلمون ما وراءك يا بلال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ان الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا وقال لعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تصلي بالناس فقال عمر رضي الله عنه ما كنت لاتقدم بين يدي أبي بكر ابدا فادخل علي نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ان أبا بكر على الباب فدخل عليه صلى الله عليه وسلم بلال رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك فقال نعم ما رأى مر أبا بكر فليصل بالناس فخرج إلى أبي بكر فامرته ان يصلي فصلى بالناس

وفي رواية فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت ان أبا بكر رجل أسيء أى رقيق القلب إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت لحفصة قولي له ان أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة مه إنكن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام وفي لفظ انكن لأنتن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت حفصة رضى الله تعالى عنها لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا ومروا أبا بكر فليصل بالناس أى مثل صاحبه يوسف عليه الصلاة والسلام وهى زليخا أظهرت خلاف ما تبطن وظهرت للنساء اللاتي جمعتهن انها تريد اكرامهن بالضيافة وانما قصدها ان ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام فيعذرنها في حبه والنبى صلى الله عليه وسلم فهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ

والمنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها انما قصدت بذلك خوف ان يتشاءم الناس أبا بكر فيكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنها رضى الله تعالى عنها انها قالت ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس منه

وفي رواية إن الأنصار رضى الله تعالى عنهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد وأشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل رضى الله تعالى عنه فأخبره بذلك ثم دخل عليه علي كرم الله وجهه فأخبره بذلك ثم دخل عليه العباس رضى الله تعالى عنه فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغنمي أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم ألا وأني لا حق بربي وإنكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم بخير فإن الله يقول \* (والعصر إن الإنسان لفي خسر) \* السورة

وأن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملكم استبطاء امر على استعجاله فإن الله عز و ج لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه \* (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) \* وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثركم على أنفسكم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أنه يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا فياني فرطكم وأنتم لاحقوني بي ألا وإنه موعدهم الحوض ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي أيها الناس إن الذنوب تغير النعم فإذا بر الناس برتهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوا أئمتهم وفي الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى خيرية الموت بأنه فرط فخير صفة لا أفعل تفضيل حتى يشكل بأنه يقتضى أن حياتي خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي كما مر ثم لا زال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس سبع عشرة صلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية أي أتى بها منفردا

وقال صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبي حتى يؤمه رجل من قومه أي وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف كما تقدم في تبوك قال وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة

أي وأبو بكر في الصلاة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذهب ليتأخر فأوماً إليه أن لا يتأخر وأمرهما فأجلساه إلى جنب أبي بكر عن يساره وفي رواية عن يمينه وأنه صلى الله عليه وسلم دفع في ظهر أبي بكر وقال صل بالناس أي ومنعه من التأخر فجعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا انتهى وهذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم مقتديا بأبي بكر رضي الله تعالى عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء في لفظ فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ يأتى بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم

والناس يصلون بصلاة أبي بكر وفي لفظ يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم صلوا خلف أبي بكر وأبو بكر يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير وقد بوب البخاري على ذلك باب من أسمع الناس تكبير الإمام وقال بعد ذلك باب الرجل يأتي بالإمام ويأتم الناس بالمأموم فإن منعه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبي بكر أو على يمينه يدل على أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقتد بالنبي صلى الله عليه وسلم بل استمر إماما إذ لا يجوز عندنا أن يقتد أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم قول فقهاءنا إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بأبي بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بإمامين على التعاقب إذ لا يحسن ذلك إلا أن يكون أبو بكر رضي الله تعالى عنه تأخر ونوى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم إلا أن يقال يجوز أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر تكررت ففي مرة منعه صلى الله عليه وسلم من التأخر واقتدى به وفي مرة تأخر أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن موقفه واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم واقتدى الناس بالنبي بعد اقتدائهم بأبي بكر وصار أبو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافي ذلك قول البخاري للرجل يأتي بالإمام ويأتم الناس بالمأموم لجواز أن يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير المأموم ثم رأيت الترمذي رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر رضي الله تعالى عنه حيث قال ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه

وبه يرد قول البيهقي رحمه الله والذي دلت عليه الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم خلفه في تلك الأيام التي كان يصلي بالناس فيها مرة وصلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه خلفه صلى الله عليه وسلم مرة وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه ذلك يوما لعبد الله ابن زمعة بن الأسود مر الناس فليصلوا أي صلاة الصبح وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه غائبا فقدم عبد الله عمر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه الشريف حتى اطلعه للناس من حجرته ثم قال

صلى الله عليه وسلم لا لا لا ثلاث مرات ليصل بهم ابن أبي قحافة فانتفضت الصفوف وانصرف عمر رضي الله تعالى عنه أي من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن أبي قحافة فتقدم وصلى بالناس الصبح وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت عمر رضي الله تعالى عنه قال أليس هذا صوت عمر فقالوا بلى يا رسول الله فقال يأبى ذلك والمؤمنون وفي لفظ يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر قال ذلك ثلاثا قال في السيرة الشامية فبعث صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله تعالى عنه تلك الصلاة فصلى الناس

وقد يقال المراد صلى عمر تلك الصلاة ودخل فيها فلا يخالف ما تقدم من انتفاض الصفوف وانصراف عمر رضي الله تعالى عنه من الصلاة وقال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا فقال عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن حيث لم أر أبا بكر ورأيتك أحق من حضر بالصلاة وفي آخر يوم أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الستارة والناس خلف أبي بكر فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار إليهم صلى الله عليه وسلم أن امكثوا وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من هيئة المسلمين في صلاتهم سرورا منه صلى الله عليه وسلم بذلك وذلك يوم الاثنين يوم موته صلى الله عليه وسلم ثم القى الستارة

وفي السيرة الهشامية لما كان يوم الاثنين قبض الله تبارك وتعالى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة رضي الله تعالى عنها فكاد المسلمون يقتتلون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى أهله بالسنع وفيها في رواية أنه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى صلاة الصبح أبو بكر يصلي بالناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح الناس فعرف أبو بكر رضي الله تعالى عنه ان الناس لم يصيبوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فنكص عن مصلاة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس  
وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه على يمين أبي بكر رضي الله تعالى  
عنه فصلى قاعدا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس رافعا صوته  
حتى خرج من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل  
المظلم إني والله ما تمسكون علي بشيء إني لم أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم  
القرآن

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر رضي الله تعالى  
عنه يا رسول الله قد أراك أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب واليوم يوم بنت  
خارجة أفأتيها قال نعم ثم دخل صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضي الله تعالى  
عنه إلى أهله بالسبح فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك  
اليوم فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وقد أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله  
تعالى عنه أن يصلي بالناس قبل مرضه فإنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى قباء بعد أن  
صلى الظهر وقد وقع بين طائفتين من بني عمرو بن عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة  
ليصلح بينهم فقال صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله تعالى عنه إن حضرت صلاة  
العصر ولم آتكم فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال ثم أقام  
ثم أمر أبا بكر رضي الله تعالى عنه فتقدم وصلى بالناس فجاء رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر فصطح الناس أي صفقوا فلما كثر ذلك التفت  
أبو بكر رضي الله تعالى عنه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فأراد التأخر  
فأوماً إليه صلى الله عليه وسلم أن يكون على حاله وتقدم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فصلى بالناس فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال يا أبا بكر ما  
يمنعك إذ أومأت إليك أن لا تكون ثبت فقال أبو بكر يا رسول الله لم يكن لابن أبي  
قحافة أن يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للناس إذا نابكم في صلاتكم شيء  
فلتسبح الرجال ولتصفق النساء

وهذا استدلل به القاضي عياض رحمه الله على أنه لا يجوز لأحد أن يؤمه صلى الله عليه  
وسلم لأنه لا يصلح للتقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ولا في غيرها لا  
لعذر ولا لغيره  
وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له صلى الله عليه وسلم وقد

قال صلى الله عليه وسلم أئمتكم شفعاؤكم وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ركعة وسيأتي الجواب عن ذلك ولعل هذه المرة كانت في اليوم الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالناس الغداة ورأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم قد برئ ففرحوا فرحا شديدا ثم جلس صلى الله عليه وسلم في مصلاه يحدثهم حتى أضحى ثم قام صلى الله عليه وسلم إلى بيته فلم يتفرق الناس من مجلسهم حتى سمعوا صياح الناس وهب يقلب الماء ظنا انه غشي عليه وابتدر المسلمون الباب فسبقهم العباس رضي الله تعالى عنه فدخل وأغلق الباب دونهم فلم يلبث أن خرج إليهم فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا عباس ما أدركت منه صلى الله عليه وسلم فقال أدركته وهو يقول جلال ربي الرفيع قد بلغت ثم قضى فكان هذا آخر شيء تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأته في الإمتاع نقل هذا القول الذي قدمته عن البيهقي

وذكر في رواية أخرى لم يزل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فأقلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعك وأصبح مفيقا فعمد إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وعلى غلام له يدعى ثوبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقد شهد الناس مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه ركعة من صلاة الصبح وقام ليأتي بالركعة الأخرى فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينفرجون له حتى قام إلى جنب أبي بكر رضي الله تعالى عنه فاستأخر أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه في مصلاه وجلس صلى الله عليه وسلم الركعة الأخيرة ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد فجلس إلى ذلك الجذع واجتمع إليه المسلمون يسلمون عليه ويدعون له بالعافية ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل بيت عائشة ودخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه على عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الحمد لله قد أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم معافى وأرجو أن يكون الله عز وجل قد شفاه ثم ركب رضي الله تعالى عنه فلحق بأهله بالسنع وانقلبت كل امرأة من نساءه صلى الله عليه وسلم إلى بيتها فلما دخل صلى الله

عليه وسلم اشتد عليه الوعك فرجع إليه من كان ذهب من نسائه وأخذ في الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق ويشخص بصره إلى السماء فيقول في الرفيق الأعلى الإله وكان عنده صلى الله عليه وسلم وقد اشتد به الأمر قدح فيه ماء وفي لفظ بدل قدح علياء وفي لفظ ركة فيها ماء فلما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم الأمر صار يدخل يده الشريفة في القدح ثم يمسح وجهه الشريف بالماء ويقول اللهم إني على سكرات الموت أي غمراته

وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها صار صلى الله عليه وسلم لما يغشاه الكرب وتقول واكرب أبتاه يقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد اليوم أقول وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال واكرباه وقال لا إله إلا الله إن للموت لسكرات اللهم أعني على سكرات الموت وفي رواية اللهم أعني على كرب الموت والحكمة في ذلك أي فيما شوهد من شدة ما لقي من الكرب عند الموت تسلية أمته صلى الله عليه وسلم إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك عند الموت ومن ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لا أزال أغبط المؤمن بشدة الموت بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهده من أهله وغيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم من المشقة عليه كما قبل بمثل ذلك في حكمة ما يشاهد من حال الأطفال عند الموت من الكرب الشديد

ثم رايت الأستاذ الأعظم الشيخ محمد البكري رحمه الله ونفعنا به سئل عن ذلك فأجاب بأجوبة منها هذا الذي ذكره ومنها أن مزاجه الشريف كان أعدل الأمزجة فأحساسه صلى الله عليه وسلم بالألم أكثر من غيره

ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم ولأن تشبث الحياة الإنسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لأنه أصل الموجودات كلها أي كما تقدم أي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء كان النبي من أنبياء الله يسلم عليه القمل حتى يقتله وكان النبي صلى الله عليه وسلم ليعرى حتى ما يجد ثوبا يوارى به عورته إلا العباءة يدرعها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء

وقال صلى الله عليه وسلم ما يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشى على الأرض ليس عليه خطيئه وقال ليس من عبد مسلم يصيبه اذى فما سواه الا حط عنه خطايا كما تحط الشجرة ورقها وفى لفظ لا يصيب المؤمن نكبه من شوكة فما فوقها الا رفع الله له بها درجه وحط عنه بها خطيئه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل يشتكى ويتقلب على فراشه وكان يعوذ بهذه الكلمات إذا اشتكى أحد من الناس منه اذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لاشفاء الا شفاءك شفاء لا يغادر سقما فلما ثفل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه اخذت بيده اليمنى وجعلت امسحه بها فاعوذه بتلك الكلمات فانزع صلى الله عليه وسلم يده الشريفه من يدي وقال اللهم اغفر لي واجعلني من الرفيق الاعلى مرتين وفى رواية لم يشتك صلى الله عليه وسلم شكوى الا سأل الله العافية حتى مان مرضه الذي مات فيه فإنه لم يكن يدعو بالشفاء وطفق صلى الله عليه وسلم يقول يا نفس مالك تلوذين كل ملاذ

أي وعن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل على عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما ومعه سواك يستن به اى من عسيب النحل وكان أحب السواك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضريع الأراك وهو قضيب يلتوى من الأراكه حتى يبلغ التراب فيبقى في ظلها فهو ألين من فروعها فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت انه يريد له لأنه كان يحب السواك فقالت له اخذه لك فأشار برأسه ان نعم فتناولته فقضمته ثم مضغته وفى رواية فتناولته وناولته إياه فاشتد عليه فقالت اليه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند إلى صدري وكانت رضى الله تعالى عنها تقول ان من نعم الله على الرسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو في بيتي وبين سحرى ونحرى اى والسحر الرئى وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته وفى رواية فجمع الله بين ريقى وريقه في اخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة

وجاء انهم لدوده صلى الله عليه وسلم في هذا المرض اى سقوه لدودا من احد جانبي فمه وجعل يشير إليهم وهو صلى الله عليه وسلم مغمى عليه ان لا يفعلوا به وهم يظنون أن الحامل له على ذلك كراهة المريض للدواء فلما افاق قال ألم أنهاكم ان تلدونى

لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظره إلا العباس فإنه لم يشهدكم وهذا ردع عليهم فإنه قد جاء أنهم قالوا له عمك العباس أمر بذلك ولم يكن له في ذلك رأي إنما قالوا ذلك تعللا وخوفا منه صلى الله عليه وسلم قالوا وتخوفنا أن يكون ذات الجنب فإن الخاصرة أي وهو عرق في الكلية إذا تحرك وجع صاحبه كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ذلك اليوم فأغمي عليه حتى ظنوا أنه قد هلك فلددوه أي لددته أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها فلما أفاق وأراد أن يلد من في البيت لدد جميع من في البيت حتى ميمونة رضي الله تعالى عنها وكانت صائمة هذا

وفي رواية أنه لما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم المرض دخل عليه عمه العباس رضي الله تعالى عنه وقد أغمي عليه فقال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لو لددته قلن إنا لا نجترى على ذلك فأخذ العباس يلدده فأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من لدني فقد أقسمت ليلددن إلا أن يكون العباس فإنكم لددتموني وأنا صائم قلن فإن العباس هو قد لك وقالت له أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها إنما فعلنا ذلك ظننا أن بك يا رسول الله ذات الجنب فقال لها إن ذلك لداء ما كان الله ليعذبني به وفي رواية أنا أكرم على الله من أن يعذبني بها وفي أخرى إنها من الشيطان وما كان الله ليلسطها علي

قال بعضهم وهذا يدل على أنها من سئ الأستقام التي استعاذ صلى الله عليه وسلم منها بقوله اللهم إني أعوذ بك من الجنون والجذام وسئ الأستقام وفي السيرة الهشامية لما أغمي عليه صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه نساء من نسائه منهم أم سلمة وميمونة ومن نساء المؤمنين منهم أسماء بنت عميس وعنده صلى الله عليه وسلم العباس عمه واجتمعوا على أن يلددوه فلددوه فلما أفاق صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بي قالوا يا رسول الله عمك فقال عمه العباس رضي الله تعالى عنه حسبنا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال إن ذلك داء ما كان الله ليعذبني به لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي فلدوا حتى ميمونة وكانت رضي الله تعالى عنها صائمة عقوبة لهم بما صنعوا

وأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه هذه أربعين نفسا وكانت عنده صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير أو ستة فأمرة عائشة رضي الله تعالى عنها أن تتصدق بها بعد أن

وضعها صلى الله عليه وسلم في كفه وقال ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده فتصدقت بها

وفي رواية أمرها بإرسالها إلى علي كرم الله وجهه ليتصدق بها فبعثت بها إليه فتصدق بها بعد أن وضعها في كفه وقد كان العباس رضي الله تعالى عنه قبل ذلك يبسير رأى أن القمر قد رفع من الأرض إلى السماء فقصها على النبي صلى الله عليه وآله فقال له هو ابن أخيك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام صحبة ملك الموت وقال له يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك قال فاقبض يا ملك الموت كما أمرت فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ أتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك تكريماً لك وتشريفاً يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ثم جاء اليوم الثاني والثالث فقال له ذلك فرد عليه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وجاء معه في اليوم الثالث ملك الموت فقال له جبريل عليه السلام هذا ملك الموت يستأذن عليك ما أستأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على دمي بعدك أتأذن له فدخل فسلم عليه ثم قال يا محمد إن الله أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت وإن أمرتني أن أترك تركت قال أو تفعل قال نعم وبذلك أمرت فنظر النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك أي وفي رواية أتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله يقرئك السلام ورحمة الله ويقول لك إن شئت شفيتك وكفيتك وإن شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء

وفي رواية الخلد في الدنيا ثم في الجنة أحب إليك أم لقاء ربك ثم الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء ربي ثم الجنة

أي وجاء أن جبريل عليه السلام قال هذا آخر وطئ بالأرض وي لفظ آخر عهدي بالأرض بعدك ولن أهبط إلى الأرض لأحد بعدك قال الحافظ السيوطي رحمه الله هو حديث ضعيف جداً ولو صح لم يكن فيه معارضة أي لما ورد أنه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلون على كل قائم وقاعد يذكر الله لأنه يحمل على أنه آخر نزوله بالوحي وفيه أنه ذكر أن حديث يوحى الله إلى عيسى عليه السلام أي بعد قتله الدجال صريح

في أنه يوحى اليه بعد النزول والظاهر أن الجائي إليه عليه السلام بالوحي جبريل عليه السلام بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته لأنه السفير بين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه الشريفة وعند اشتداد الأمر به صلى الله عليه وسلم أرسلت عائشة رضي الله عنها خلف أبي بكر رضي الله تعالى عنه أي لأنه كما تقدم لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا وقال له رد الله بك علينا عقولنا وقد أصبحت بنعمة من الله وفضل فقال له أبو بكر يا رسول الله اليوم يوم بنت خارجة يعني زوجته وكانت بالسبح قال له ائت أهلك فقام أبو بكر وذهب وأرسلت حفصة خلف عمر وأرسلت فاطمة خلف علي كرم الله وجهه فلم يجرئ أحد منهم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة وذلك يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول هكذا ذكر بعضهم

وقال السهيلي لا يصح أن يكون وفاته يوم الاثنين إلا في ثالث عشرة أو رابع عشرة لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة كانت يوم الجمعة وهو تاسع ذي الحجة وكان المحرم أما بالجمعة وإما بالسبت فإن كان السبت فيكون أول صفر إما الأحد أو الاثنين فعلى هذا لا يكون الثاني عشر من شهر ربيع الأول بوجه وقال الكلبي إنه توفي في الثاني من شهر ربيع الأول قال الطبري وهذا القول وإن كان خلاف الجمهور فلا يبعد إن كانت لثلاثة أشهر التي قبلها كلها تسعة وعشرين يوما وفيما قاله نظر لمتابعة أنس بن مالك فيما حكاه البيهقي والواقدي

وقال الخورازمي توفي أول شهر ربيع الأول وفي رواية إن سالم بن عبيد ذهب وراء الصديق إلى السنح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ما قبله لأن يجوز أن يكون ذلك ذهب إلى الصديق بعد الرسول الذي أرسلته عائشة رضي الله عنها قبل موته صلى الله عليه وسلم وآخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يترغرغ بها في صدره ولا يفيض بها لسانه وآخر عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك بجزيرة العرب دينان وكانت مدة شكواه صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ليلة وقيل اربع عشرة ليلة وقيل اثنتي عشرة ليلة وقيل عشرا وقيل ثمانية

وقالت فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وا أبتاه أجاب  
داع دعاه يا أبتاه الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه  
قال ابن كثير رحمه الله وهذا لا يعد نياحة بل هو من ذكر فضائل الحق عليه عليه أفضل  
الصلاة والسلام قال وإنما قلنا ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة  
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت من سفاهة رأيي وحدائه سني أني أخذت  
وسادة فوسدت بها رأسه الشريف من حجري ثم قمت مع النساء أبكي وأنتدم والانتدام  
ضرب الخد باليد عند المصيبة

وسمعوا قائلًا ولا يرون شخصه يقال إنه الخضر عليه السلام أي قال علي كرم الله  
وجهه أترون من هذا هذا الخضر عليه السلام وفي إسناده متروك يقول السلام عليكم يا  
أهل البيت ورحمة الله وبركاته \* (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم  
القيامة) \* إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ودركا من كل فائت  
فبالله فثقوا وإياه فارجو فإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليك ورحمة الله  
وبركاته

قال ابن كثير رحمه الله هذا الحديث مرسل وفي إسناده ضعف وسجي صلى الله عليه  
وسلم بثوب حبرة أي بالإضافة برد من برود اليمن ولم أقف على أن ثيابه صلى الله عليه  
وسلم التي كانت عليه قبل الموت نزعت عنه ثم سجي إلا أن كلام فقهاءنا يشعر بذلك  
حيث جعلوا ذلك دليلا لنزع ثياب الميت وستره بثوب

وعند ذلك دهش الناس وطأئت عقولهم واختلفت أحوالهم فأما عمر رضي الله تعالى  
عنه فحبل وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فأخرس وأماعلي كرم الله وجهه فأقعد وجاء  
أبو بكر وعيناه تهملان فقبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي طبت حيا  
وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم

أي فإن عمر رضي الله تعالى عنه صار في ناحية المسجد يقول والله مات رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ولا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدي ناس  
من المنافقين كثير وأرجلهم وصار رضي الله تعالى عنه يتوعد من قال إنه مات بالقتل أو  
القطع

ونقل عنه رضي الله عنه أنه قال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مات ولكن ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه

عليه السلام ثم رجع إلى قومه بعد أربعين ليلة بعد أن قيل قد مات والله ليرجعن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فليقطعن  
 أيدي رجال وأرجلهم ولا زال رضي الله عنه يتوعد المنافقين حتى أزيد شدقه  
 فقام أبو بكر رضي الله عنه وصعد المنبر وقال كلاما بليغا ثم قال أيها الناس من كان  
 يعبد محمدا فإن محمدا قد مات \* (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن  
 مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي  
 الله الشاكرين) \* فقال عمر رضي الله عنه هذه الآية في القرآن وفي لفظ فكأنني لم  
 أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل ثم قال \* (إنا لله وإنا إليه راجعون) \*  
 صلوات الله وسلامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وعند الله نحتسب رسوله قال  
 يعني أبا بكر رضي الله عنه وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم \* (إنك ميت  
 وإنهم ميتون) \* وقال تعالى \* (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) \*  
 وقال تعالى \* (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) \* وقال تعالى  
 \* (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) \* فلما بويع أبو بكر رضي  
 الله عنه بالخلافة كما سيأتي أقبلوا على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا  
 هل يغسل في ثيابه أو يجرد منها كما تجرد الموتى فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من  
 ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه فإنه كان طاهرا فقال أهل البيت صدق فلا تغسلوه  
 فقال العباس رضي الله عنه لا ندع سنة لصوت لا ندري ما هو فغشيهم النعاس ثانية  
 فناداهم أن غسلوه وعليه ثيابه أي وزاد في رواية فإن ذلك إبليس وأنا الخضر وفي رواية  
 لا تنزعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه قال الذهبي حديث منكر فقاموا  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه وفي لفظ وعليه قميص  
 ومحول مفتوح يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم علي والعباس وكذا  
 ولدا العباس الفضل وقثم فكان العباس وابناه الفضل وقثم يقبلونه مع علي وفي لفظ  
 غسله علي والفضل محتضنه والعباس يصب الماء وجعل الفضل رضي الله عنه يقول  
 أرحني قطعت وتيني وأسامة وشقران مولاه وفي لفظ وصالح مولاه صلى الله عليه وسلم  
 يصبان الماءOLF علي كرم الله وجهه على يده خرقة وأدخلها تحت القميص يغسل بها  
 جسده الشريف  
 وعن علي كرم الله وجهه ذهبت ألتمس منه ما يلتمس من الميت أي ما يخرج من بطن

الميت فلم أر شيئاً فكان صلى الله عليه وسلم طيباً حياً وميتاً وما تناولت منه صلى الله عليه وسلم عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً أي ويحتاج إلى الجمع بين هذا وما تقدم عن الفضل رضي الله عنه  
قيل وتغسيل علي كرم الله وجهه له صلى الله عليه وسلم كان بوصية منه صلى الله عليه وسلم له فعن علي كرم الله وجهه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن لا يغسله أحد غيري وقال لا يرى أحد عورتني إلا طمست عيناه غيرك أي علي فرض وقوع ذلك فلا ينافي ما تقدم وادعى الذهبي أن هذا الحديث منكر وفي رواية فكان الفضل وأسامة رضي الله عنهما يناولان الماء من وراء الستر وأعينهما معصوبة وفي لفظ كان العباس وأسامة يناولان الماء من وراء الستر لأن العباس رضي الله عنه نصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلة أي خيمة رفيعة من ثياب يمانية في جوف البيت وأدخل عليها فيها زاد بعضهم والفضل وأبا سفيان بن الحارث ابن عمه صلى الله عليه وسلم

ونصب الكلة دليل لقول فقهاءنا رحمه الله والأكمل وضع الميت عند الغسل بموضع خال من الناس مستور عنهم لا يدخله إلا الغاسل ومن يعينه والذي رواه ابن ماجه رحمه الله أنه تولى غسله صلى الله عليه وسلم علي والفضل وأسامة بن زيد يناول الماء والعباس واقف أي لا يغسل ولا يناول الماء أي ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وقيل إن العباس لم يشاهد غسله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه لما غسلت النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع ماء في حقوبه فرفعته بلساني وازدردته فأورثني ذلك قوة حفظي  
ويروى أنه كرم الله وجهه رأى في عينه صلى الله عليه وسلم قذاة فأدخل لسانه فأخرجها منها

وعن عائشة رضي الله عنها لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم إلا نساؤه أي لو ظهر لها قولها المذكور وقت غسله صلى الله عليه وسلم ما غسله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه وغسل ثلاث غسلات واحدة بالماء القراح وواحدة بالماء والسدر أي والغسلة التي كانت بالماء القراح كانت قبل الغسلة التي بالسدر فهي المزيلة وواحدة بالماء مع الكافور أي وهذه هي المجزئة في الغسل هذا

وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله وغسل صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى بالماء القراح وفي الثانية بالماء والسدر وفي الثالثة بالماء والكافور

وفي لفظ فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله وغسل من ماء بئر غرس وهي بئر بقاء قال صلى الله عليه وسلم نعم البئر بئر غرس هي من غيون الجنة وماؤها أطيب الماء وكان صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويؤتي له بالماء منها

وعند ابن ماجه رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه إذا أنامت فاغسلني بسبع قرب من بئري بئر غرس

وكفن صلى الله عليه وسلم بثلاثة أثواب سحوليه أي بيض من القطن من عمل سحولة قرية من قرى اليمن وفي رواية الشيخين عنها كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة قيل إزار ورداء ولفافة وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أي لم يكن في كفنه صلى الله عليه وسلم ذلك كما فسر بذلك إمامنا الشافعي رحمه الله وجمهور العلماء قال بعضهم وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث

وما قيل إن معناه أن القميص والعمامة زائدان على الأثواب الثلاثة ليس في محله لأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة وهذا يدل على أنه نزع عنه صلى الله عليه وسلم القميص الذي غسل فيه قبل تكفينه في الأثواب الثلاثة وقيل كفن في ذلك الثوب بعد عصره وفيه أنه لا يخلو عن الرطوبة وهي تفسد الأكفان ويؤيد كونه صلى الله عليه وسلم كفن في ذلك الثوب ما جاء في رواية كفن صلى الله عليه وسلم في ثوبه الذي مات فيه وحله نجرانية والحلة ثوب فوق ثوب قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفي كلام بعضهم أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كفن في الأثواب الثلاثة المتقدمة وزيادة برد حبرة أحمر

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أتى بالبرد ولفوه فيه ولكنهم ردوه أي ثم نزع عنه صلى الله عليه وسلم ولم يكفوه فيه وفي رواية ثوبين وبرد احمر وهذا يخالف ما عليه أئمتنا أن من كفن في ثلاثة أثواب يجب أن تكون لفائف يستر كل منها جميع البدن وفي رواية كفن في سبعة أثواب وبعد تكفينه صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الثلاثاء وضع على السرير وفي لفظ ثم

أدرج صلى الله عليه وسلم في أكفانه وجمروه عودا ونادا ثم احتملوه حتى وضعوه على سرير وسجوه  
وذكر أنه كان عند علي كرم الله وجهه مسك وقال إنه من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وصلى عليه صلى الله عليه وسلم الناس أفذاذا لم يؤمهم أحد وفي لفظ لما أدرج صلى الله عليه وسلم في أكفانه وضع على سريره ثم وضع على شفير حفرتة ثم صار الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم أحد  
وذكر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر معهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ثم صفوا صفوفًا لا يؤمهم أحد اللهم إنا نشهد أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا إلهنا ممن تبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين رؤؤفا رحيفا لا نبتغي بالإيمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبدا فيقول الناس آمين آمين وهذا يدل على أنه المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة المعروفة عندهم والصحيح ان هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التي بأربع تكبيرات فقد جاء أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فكبر أربع تكبيرات ثم دخل عمر رضي الله عنه فكبر أربعًا ثم دخل عثمان رضي الله عنه فكبر أربعًا ثم طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما ثم تتابع الناس أرسالا يكبرون عليه أي وعلى هذا إنما خصوا الدعاء بالذكر لأنه الذي يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك قال وقال ابن كثير رحمه الله وهذا الامر أي صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم فرادى من غير إمام يؤمهم مجتمع عليه ولا يقال لأن المسلمين لم يكن لهم حينئذ إمام لأنهم لم يشرعوا في تجهيزه عليه الصلاة والسلام إلا بعد تمام البيعة لأبي بكر رضي الله عنه لأنه لما تحقق موته صلى الله عليه وسلم واجتمع غالب المهاجرين علي أبي بكر وعمر وانضم إليهم

من الأنصار أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل ومن معه من الأوس وتخلف علي والزبير أي ومن كان معهما المهاجرين كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بني هاشم في بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها وتخلف الأنصار بأجمعهم واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة أي وفي دار سعد بن عباد و كان سعد مريضا مزملا بثيابه بينهم أي اجتمعوا أولا ثم تفرق عنهم أسيد بن حضير رضي الله عنه ومن معه من الأوس فلا يخالف ذلك ما تقدم من انضمام أسيد بن حضير رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين رضي الله عنهم مع أبي بكر رضي الله عنه ولا يخالف ذلك ما في بعض الروايات عن عمر رضي الله عنه وتخلف الأنصار عنا بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عنه إلا عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضي الله عنها فقال عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار أي فإنه أتاهم آت فقال إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عباد رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم

أي فعن عمر رضي الله عنه بينا نحن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجل ينادي من وراء الجدران اخرج إلي يا ابن الخطاب فقلت إليك عني فأنا عنك متشاغل يعني بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه قد حدث أمر إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فأدركهم قبل أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب قال فانطلقنا نؤمهم أي نقصدهم حتى رأينا رجلين صالحين أي وهما عويمر بن ساعدة ومعدة بن عدي وهما من الأوس قالوا أين تريدون فقلت نريد إخواننا من الأنصار فقالا لا عليكم أن تقرّبوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين بينكم فقلت والله لنأتينهم فنطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عباد فقلت ما له قالوا إنه وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد ذفت ذافة منكم أي دب قوم الاستعلاء والترفع علينا تريدون ان تختزلونا من أهلنا أي تنحونا عنه تستبدون به دوننا فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة أعجبتني أردت أن قولها بين يدي أبي بكر

فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسلك يا عمر فكرهت ان أغضبه وكنت أرى منه بعض الحده فسكت وكان اعلم منى والله ما ترك من كلمه اعجبتنى في تزويرى الا قالها في بديهته وأفضل فقال أما بعد فما ذكرتم من خيرفانتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا يعنى مكة ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيله الا لقريش منها ولادة ودار وكلنا معاشر المهاجرين أول الناس اسلاما ونحن عشيرته صلى الله عليه وسلم وأقاربه وذوو رحمة فنحن أهل النبوة ونحن أهل الخلافة ولم يترك شيئا انزل في الكتاب بايديهم الا قاله ولا شيئا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان الأنصار الا ذكره ومنه لو سلكت الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادى الأنصار وقال لقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر فقال سعد رضى الله تعالى عنه صدقت فقال اى الصديق رضى الله عنه نحن الامراء وأنتم الوزراء أى وفى الرواية انه أى الصديق رضى الله عنه قال لهم أنتم الذين امنوا ونحن الصادقون وانما امركم الله ان تكونوا معنا فقال تعالى \* (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) \* والصادقون هم المهاجرون قال الله تعالى \* (للفقراء المهاجرين) \* إلى قوله \* (أولئك هم الصادقون) \*

وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه احتج على الأنصار بخبر الأئمة من قريش وهو حديث صحيح ورد نحو أربعين صحابيا وأنتم يا معشر الأنصار اخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وأنتم أحق بالرضا بقضاء الله وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئت واخذ بيدي ويد أبى عبيده بن الجراح فلم اكره ما قال غيرها وكان والله ان اقدم فتضرب عنقي ولا يقربني ذلك من إثم أحب إلى من أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال كل من عمر وأبى عبيده لا ينبغى لاحد ان يكون فوقك يا أبا بكر اى وفى لفظ بل نبايعك وأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من عمر رضى الله عنه كان بعد ان اتى ابا عبيده وقال إنك امين هذه الامه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما رايت بك ضعف رأى قبلها ممذ أسلمت اما بقي فيكم الصديق وثاني اثنين وفى رواية ان أبا بكر رضى الله عنه قال لعمر ابسط يدك لأبايعك فقال له أنت أفضل منى فاجابه بانك أقوى منى ثم كرر ذلك فقال له فأين قوتى مع فضلك

واعترض قول أبى بكر المذكور بأنه كيف يقول ذلك مع علمه بأنه أحق بالخلافة وكيف يقدم ابا عبيده على عمر مع أنه أفضل منه

وأجيب بأنه رضى الله عنه قال ذلك لأنه استحي ان يقول رضيت لكم نفسي مع علمه بان كلا من عمر وأبى عبيده لا يقبل وان أبا بكر رضى الله عنه كان يرى جواز توليه المفضول على من هو أفضل منه وهو الحق عند أهل السنة لأنه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين واعرف بتدبير الامر وما فيه انتظام حال الرعية وعند قول أبى بكر رضى الله عنه ما ذكر قال قائل من الأنصار اى وهو الحباب بحاء مهمله مضمومه فموحدة رضى الله عنه ابن المنذر انا جذيلها المحك وعذيقها المرجب بالجيم والجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للإبل الجرباء فتحتك به ليزول جربها والمحك الذي كثر به الاحتكاك حتى صار أملس والعذيق تصغير العذق بفتح العين وهو النخلة والمرجب المسند بالرجيه وهى خشبه ذات شعبتين يستند بها النخلة إذا كثر حملها اى اناذ والرأي والتدبير الذي يستشفى به في الحوادث لا سيما هذه الحادثة منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وتتابعت خطباؤهم على ذلك وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلا منا فترى ان يلي هذا الامر رجلا منا ومنكم فقام زيد بن ثابت رضى الله عنه وقال للأنصار أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وكنا نحن أنصاره فنحن أنصاره خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه وقال هذا صاحبكم فقال الحباب بن المنذر رضى الله عنه يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا فتذهب قريش بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبو اعليكم فأجلوهم من بلادكم فأنتم أحق به منهم أما والله وإن شئتم لنقيمها جذعة فقال له عمر رضى الله عنه إذن يقتلك الله فقال بل أراك تقتل فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما فقال يا معيشر الانصر إنا كنا أول من سبق إلى هذا الدين وجهاد المشركين ما قدصنا إلا رضا الله ورسوله فلا ينبغي لنا أن نستطيل على الناس ولا نطلب عرض الدنيا وإن قريشا أولى بهذا الأمر فلا ننازعهم فقال له الحباب ألفت على ابن عمك يعنى سعد بن عبادة فقال لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم وفي رواية قال عمر رضى الله عنه يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر وفي لفظ أن يقيمه عن مقامة الذي اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الأنصار نعوذ بالله ان نتقدم أبا بكر رضى الله عنه وفي لفظ قالوا نستغفر الله لا تطيب أنفسنا ولعل المراد قال معظمهم

فلا يخالف ذلك ما جاء عن عمر رضي الله تعالى عنه ولما كثر اللغظ وعلت الأصوات حتى خشيت الاختلاف وقلت سيفان في غمد واحد لا يكونان وفي رواية هيهات لا يجتمع فحلان في مغرس فقلت ابسط يدك يا أبا بكر وكذا قال له من الأنصر زيد بن ثابت وأسيد بن حضير وبشير بن سعد رضي الله عنهم فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار أي حتى سعد بن عبادة رضي الله عنه خلافا لمن قال أن سعد ابن عبادة أبي ان يبايع أبا بكر حتى لقي الله أي فإنه رضي الله تعالى عنه توجه إلى الشام ومات بها

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والعدر له في ذلك أنه رضي الله عنه تأول أن للأنصار في الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وإن لم يكن ما اعتقده من ذلك حقا هذا كلامه

ولا ينافيه ما جاء عن عمر رضي الله عنه وثبنا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة أي فعلتم معه من الإعراض والإذلال ما يقتله فقلت قتل الله سعد بن عبادة فإنه صاحب فتنة نعم ينافيه ما حكاه ابن عبد البر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أبي أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله

قال بعضهم ويضعفه ما جاء في بعض الروايات أن أبا بكر رضي الله عنه لما قال لسعد لقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاية هذا الأمر قال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء وبه يظهر التوقف فيما تقدم عن ابن حجر رحمه الله هذا

وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله فأنكروا على سعد أمره وكادوا يطئون سعدا فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تطئوه فقال عمر رضي الله عنه اقتلوا سعدا قتله الله ثم قام عمر رضي الله عنه على رأس سعد وقال قد هممت أن أطأك حتى تندر عيونك فأخذ قيس بن سعد رضي الله عنهما بلحية عمر رضي الله عنه وقال والله لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارجة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق الرفق ما هنا أبلغ فقال سعد أما والله لو كان لي قوة على النهوض لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع فلما عاد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى محلها أرسلاه بايع فقد بايع الناس فقال لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب من دمائكم

سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يداي والله لو اجتمع لكم الجن والإنس لما بايعتكم فلما عاد الرسول وأخبرهم بما قال له عمر لا ندعه حتى يبايع فقال له قيس بن سعد دعه فقد لح فاتركوه وكان سعد رضي الله عنه لا يحضر معهم ولا يصلي في المسجد ولا يسلم على من لقي منهم فلم يزل بجانبهم حتى إذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم فلما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة فقال له إيه يا سعد فقال له إيه يا عمر فقال له عمر أنت صاحب المقالة قال نعم أنا ذلك وقد افضى الله إليك هذا الأمر كان والله صاحبك خيرا لنا وأحب إلينا من جوارك وقد أصبحت كارها لجوارك فقال له عمر رضي الله عنه إنه من كره جوار جاره تحول عنه فقال له سعد إني متحول إلى جوار من هو خير من جوارك فخرج رضي الله عنه إلى الشام واستمر بها إلى أن مات في السنة الخامسة عشر من الهجرة وذكر الطبري رحمه الله أن سعدا رضي الله عنه بايع مكرها وهو وهم هذا كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله

قال عمر رضي الله عنه وإنما بايعت أبا بكر خشية إن فارقتنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد وذلك كان في يوم موته صلى الله عليه وسلم الذي هو يوم الاثنين فلما كان الغد كانت البيعة العامة صعدا أبو بكر رضي الله عنه المنبر وقام عمر رضي الله عنه بين يدي أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما بالغار فقوموا فبايعوه فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال في خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي حتى ارتج عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا أشيقت الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم فقوموا إلى صلاتكم رحمكم الله وشن الغارة بعض الرافضة على قول الصديق رضي الله عنه فقوموني بأنه كيف

تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج إليه ورد بأن هذا من أكبر الدلائل على فضله لقوله الآخر أطعوني ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم لأن كل أحد ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليه المعصية ولما بويع بالخلافة أصبح رضي الله تعالى عنه على ساعدة قماش وهو ذاهب به إلى السوق فقال له عمر أين تريد قال السوق قال تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إليه فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم أي في سعة النفقة ولا بأوكسهم وكسوة الشتاء والصيف وإذا أبلت شيئاً رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وفي رواية جعل له ألفين فقال زيدوني فان لي عيالا وقد شغلت عن السفارة فرادوه خمسمائة وهو رضي الله تعالى عنه أول من جمع القرآن وسماه مصحفا واتخذ بيت المال وسها من جعل ذلك من أوليات عمر رضي الله تعالى عنه

ولما اختلف علي والزبير ومن معهما كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بني هاشم في بيت فاطمة كما تقدم عن المبايعة استمروا على ذلك مدة لأنهم رضي الله عنهما وجدوا في أنفسهم حيث لم يكونوا في المشورة أي في سقيفة بني ساعدة مع أن لهم فيها حقا وقد أشار سيدنا عمر رضي الله عنه إلى أن بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه كانت فلتة أي بغته لا عن استعداد لها ولكن وقى الله شرها أي لم يقع فيها مخالفة ولا منازعة ولذلك لما اجتمعوا أي علي والزبير والعباس وطلحة بن عبيد الله ومن تخلف عن المبايعة منهم بأبي بكر رضي الله عنه قام خطيبا وقال والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكن أشفقت من الفتنة أي لو أخرت إلى اجتماعكم

وقد روى أن شخصا قال لأبي بكر رضي الله عنه ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وقال ما في الإمارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة فقال علي والزبير رضي الله تعالى عنهما ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة وإنما نرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنما لنعرف شرفه وخيره ولذا أمره

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة من بين الناس وهو حي فلم يكن تأخرهم رضي الله تعالى عنهم للقدح في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لأنهم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم أي فالأمة أجمعت على حقية إمامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهذا أي اجتماع علي كرم الله وجهه بأبي بكر رضي الله تعالى عنهما كان بعد ما أرسل إليه علي كرم الله وجهه في الاجتماع به واجتمع به كما سيأتي لكن سيأتي أن ذلك كان بعد موت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وسياق غير واحد يدل على أن اجتماع علي والزبير ومبايعتهما أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان قبل موت فاطمة رضي الله تعالى عنها وهو ما صححه ابن حبان وغيره ويؤيده ما حكاه بعضهم أن الصديق رضي الله تعالى عنه خرج يوم الجمعة فقال اجتمعوا لي المهاجرين والأنصار فاجتمعوا ثم أرسل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه فقال له ما خلفك يا علي عن امر الناس فقال خلفني عظيم المعتبة ورأيكم استقليتم برأيكم فاعتذر إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بخوف الفتنة لو أخرجتم أشرف على الناس وقال أيها الناس هذا علي بن أبي طالب لا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار من أمره ألا وأنتم بالخيار جميعا في بيعتكم فإن رأيتم لها غيري فأنا أول من يبايعه فلما سمع ذلك علي كرم الله وجهه زال ما كان داخله فقال أجل لا نرى لها غيرك امدد يدك فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه فإن هذا دليل على أن عليا كرم الله وجهه بايع أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام وفي كلام المسعودي لم يبايع أبا بكر أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها وقال رجل للزهري لم يبايع علي كرم الله وجهه أبا بكر ستة أشهر فقال لا والله لا أحد من بني هاشم بايعه علي كرم الله وجهه فليتأمل الجمع على تقدير الصحة وقد جمع بعضهم بأن عليا كرم الله وجهه بايع أولا ثم انقطع عن أبي بكر لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع

أي ويدل لهذا الجمع أن في رواية أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما صعد المنبر ونظر في وجوه القوم فلم ير الزبير رضي الله تعالى عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمه رسول الله حواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله

فقام فبايعه ثم نظر في وجو القوم فلم ير عليا كرم الله وجهه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ويعد هذا الجمع ما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها فلما توفيت فاطمة رضي الله عنها التمس أي علي كرم الله وجهه مصالحة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر الحديث والسبب الذي اقتضى الوقوع بين فاطمة وأبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن فاطمة رضي الله تعالى عنها جاءت إلى أبي بكر تطلب إرثها مما أعطاه الأنصار له صلى الله عليه وسلم من أرضهم وما أوصى به إليه صلى الله عليه وسلم وهو وصية مخيريق عند إسلامه وهي سبعة حوائط في بني النضير قال سبط ابن الجوزي وهو أول وقف كان في الإسلام ومما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أرض بني النضير وفدك ونصيبه صلى الله عليه وسلم من خيريه وهما حصنان من حصونها الوطيح وسلام فإنه صلى الله عليه وسلم أخذهما صلحا كما تقدم وحصته صلى الله عليه وسلم مما افتتح منها عنوة وهو الخمس فإن ذلك كله كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق من ذلك على أهل بيته سنة وما بقي جعله في الكراع أي الخيل والسلاح في سبيل الله فربما احتاج صلى الله عليه وسلم إلى شيء ينفقه قبل فراغ السنة فيقترض ولهذا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودي على آصع من شعير وافتكها أبو بكر وتلك الدرع كانت ذات الفضول التي أهداها له صلى الله عليه وسلم سعد بن عباد لما توجه إلى بدر كما تقدم ولم يشبع هو ولا أهل بيته ثلاثة أيام تباعا أي متتابعة كما تقدم فقال لها أبو بكر رضي الله تعالى عنه لست بالذي أقسم من ذلك شيئا ولست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها إلا عملته وإني أخشى إن تركت أمره أو شيئا من أمره أن أزيغ وفي رواية قال لها قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هي طعمة أطعمينها الله فإذا مت عادت على المسلمين فإن اتهمتيني فسلي المسلمين يخبرونك بذلك وقال لها قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ولكن أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه وقوله صدقة هو بالرفع كما هو الرواية أي الذي تركناه فهو صدقة وقد منع بذلك عائشة وبقية أزواجه صلى الله عليه وسلم لما جئن إليه يطلبن ثمنهن

وزعمت الرافضة أن الصديق رضي الله تعالى عنه كان ظالما لفاطمة رضي الله عنها بمنعه إياها من مخلف والدها وأنه لا دليل له في هذا الخبر الذي رواه لأن فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث

ورد بأنه حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعي فساوى آية المواريث من قطعية المتن وكان مخصصا لآية المواريث

وذكر عن الرافضة أنهم زعموا أن صدقة بالنصب وأنا ما نافية ويرده صدر الحديث إنا معاشر الأنبياء لا نورث وأما رواية نحن معاشر الأنبياء فلم تجئ في كتاب من كتب الحديث كما قاله غير واحد ومن رواه بذلك رواه بالمعنى لأن نحن وإنا مفادهما واحد ولا يعارض ذلك قوله تعالى\* (وورث سليمان داود)\* وقوفه تعالى حكاية عن زكريا\* (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث) \* إذ المراد وراثته العلم والحكمة

وفي لفظ أنها رضي الله تعالى عنها قالت له من يرثك قال أهلي وولدي فقالت فمالي لا أرث أبي فقال لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث فغضبت رضي الله تعالى عنها من أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهجرته إلى أن ماتت أي فإنها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر على ما تقدم ومعنى هجرانها لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أنها لم تطلب منه حاجة ولم تضطر إلى لقائه إذ لم ينقل أنها رضي الله تعالى عنه لقيته ولم تسلم عليه ولا كلمته

وروى ابن سعد أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه جاء إلى بيت علي لما مرضت فاطمة فاستأذن عليها فقال علي كرم الله وجهه هذا أبو بكر علي الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني فأذني قالت وذاك أحب إليك قال نعم فأذنت له رضي الله تعالى عنه فدخل واعتذر إليها فرضيت عنه وأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صلى عليها

وقال الواقدي وثبت عندنا أن عليا كرم الله وجهه دفنها رضي الله تعالى عنها ليلا وصلى عليها ومعه العباس والفضل رضي الله تعالى عنهم ولم يعلموا بها أحدا قال بعضهم وكأنها تأولت قوله صلى الله عليه وسلم لا نورث وحملت ذلك على الأموال أي الدراهم والدينانير كما جاء في بعض الروايات لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهما بخلاف الأراضي ولعل طلب إرثها من فذك كان منها بعد أن ادعت رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطها فذكا وقال لها هل لك بينة فشهد لها علي كرم الله وجهه وأم أيمن فقال لها رضي الله تعالى عنه أبرجل وامرأة تستحقها

واعترض عليه الرافضة بان فاطمه معصومه بنص\* (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)\* وخبر فاطمه بضعه مى فدعوها صادقاً لعصمتها وايضا شهد لها بذلك الحسن والحسين وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم ورد عليهم بان من جملة أهل البيت أزواجه صلى الله عليه وسلم ولسن بمعصومات اتفاقاً فكذلك بقيه أهل البيت وما كونها بضعه فمنه فمجاز قطعاً وانها كبضعه فيما يرجع للخير والشفقة واما زعم أنه شهد لها الحسن وأم كلثوم فباطل لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه على أن شهادة الفرع للأصل غير مقبولة وفى كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه رضي الله تعالى عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال ما هذا فقال كتاب كتبه فاطمه بميراثها من أبيها فقال مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ثم اخذ عمر الكتاب فشقّه

وقد جاء ان بعد موت فاطمه رضى الله تعالى عنها اى وذلك بعد ستة اشهر من موته صلى الله عليه وسلم الا ليالي على ما تقدم ارسل على كرم الله وجهه وقد اجتمع على وبنو هاشم إلى أبى بكر وقالوا ائتنا ولا يأت معك أحد كراهة ان يحضر عمر رضي الله تعالى عنه لما علموا من شدته فخافوا ان ينتصر لأبى بكر رضي الله تعالى عنه فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم على أبى بكر رضي الله تعالى عنه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لأبى بكر لا والله لا تدخل عليهم وحدك قال ذلك خوفاً عليه ان يغلظوا عليه في المعاتبه وربما كان ذلك سبباً لتغير قلبه فيترتب عليه ما لا ينبغي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه وما يفعلون بي والله لا تينهم اى فدخل عليهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحده فقال له كرم الله وجهه انا قد عرفنا لك فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك اى لا نحسدك عليه ولكن استبدت علينا بالامر اى لم تشاورنا فيه وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا نصيبنا اى في المشاوره ففاضت عيننا أبى بكر رضي الله تعالى عنه وقال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من قرابتي فقال له على كرم الله وجهه موعداك العشيّه للبيعه فلما صلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه الظهر اى وقد حضر عنده على كرم الله وجهه رقى المنبر بكسر القاف فتشهد وذكر شأن على كرم الله وجهه وعذره في تخلفه عن البيعة ثم إن علياً رضي الله تعالى عنه بايعه اى بعد ان عظم أبى بكر رضي الله تعالى عنه

وذكر فضيلته وسابقته وذكر انه لم يحمله على الذي صنع نفاسة حق على أبي بكر  
 فاقبل الناس على كرم الله وجه وقالوا أصبت وأحسنت  
 وقد علمت الجمع بين من قال بايع بعد ثلاثة أيام من موته صلى الله عليه وسلم ومن  
 قال لم ينبع الا بعد موت فاطمه رضى الله تعالى عنها بعد ستة اشهر وهو انه بايع أولا  
 ثم انقطع عن أبي بكر رضى الله تعالى عنه لما وقع بينه وبين فاطمه ما وقع ثم بايعه  
 مبايعه أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الامر ان تخلفه انما هو لعدم  
 رضاه بيعته فاطلق ذلك من أطلقه ومن ثم اظهر على كرم الله وجه مبايعه لأبي بكر ثانيا  
 بعد ثوبتها على المنبر لإزالة هذه الشبهة  
 وبهذا يعلم ما وقع في صحيح مسلم عن أبي سعيد من تأخر بيعة علي هو وغيره من بني  
 هاشم إلى موت فاطمة ومن ثم حكم بعضهم عليه بالضعف  
 ومما يؤيد الضعف ما جاء أن عليا وأبا بكر رضى الله عنهما جآ لزيارة قبر النبي صلى  
 الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام فقال علي كرم الله وجهه تقدم يا خليفة رسول  
 الله فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما كنت لأتقدم رجلا سمع رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول فيه علي مني بمنزلتني من ربي وصلاة أبي بكر رضى الله تعالى عنه  
 بالناس لم تختص بالمرض فقد جاء أنه وقع قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ النبي  
 صلى الله عليه وسلم ذلك فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يا بلال إن حضرت  
 الصلاة ولم آت مر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة  
 ثم أمر أبا بكر كما تقدم  
 وفي شرح مسلم للإمام النووي رحمه الله وتأخر علي كرم الله وجهه أي ومن تأخر  
 معه عن البيعة لأبي بكر ليس قادحا فيها لأن العلماء اتفقوا على أنه لا يشترط لصحتها  
 مبايعة كل أهل العقد والحل بل مبايعة من تيسر منهم وتأخره كان للعدر أي الذي تقدم  
 وكان عذر أبي بكر وعمر وبقية الصحابة واطنا لأنهم رأوا أن المبادرة بالبيعة من أعظم  
 مصالح المسلمين لأن تأخرها ربما لزم عليه اختلاف فينشأ عنه مفساد كثيرة كما افصح  
 به أبو بكر رضى الله تعالى عنه فيما تقدم  
 وجاء كما تقدم أنه قيل لعلي كرم الله وجهه هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بالخلافة فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون علي ما سمعت فقال لا والله لئن  
 كنت

أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد إلا بردتي هذه وما تركت أخوا بني تميم وعمر بن الخطاب ينوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتها بيدي والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمت فجأه بل مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلني بالناس وهو يرى مكاني فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترنا لدينانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لدينا فبايعناه وكان لذلك اهلا لم يختلف عليه منا اثنان فلما قبضت تولاها عمر رضي الله تعالى عنه بمبايعته وأقام فيها لم يختلف عليه منا اثنان وأعطيت ميثاق لعثمان رضي الله تعالى عنه فلما مضوا بايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية فهو رأى رأيته وفي لفظ لكن شيء رأيناه من قبل أنفسنا فهذا تصريح منه كرم الله وجهه بأنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه إمامته

وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خم عند مرجعه من حجة الوداع بعد أن جمع الصحابة وكرر عليهم ألسنت أولى من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث فتقدم الكلام عليه وأ ذلك لا يدل على الخلافة

وإنما قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه إن بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه كانت فلت أي من غير استعداد ولا مشورة كما تقدم ردا على من بلغه عنه أنه قال إذا مات عمر بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبي بكر بمشورة فالبيعة لا تتوقف على ذلك فغضب فلما رجع من آخر حجة حجها المدينة قال على المنبر قد بلغني أن فلانا قال والله لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة من غير مشورة فلا يغترون امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فنعم وإنها كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له ولا الذي بايعه ولما ثقل المرض على الصديق رضي الله تعالى عنه دعا عبد الرحمن فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال أنت أعلم به مني فقال الصديق وإن فقال عبد الرحمن هو

والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به ثم دعا عليا كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ثم قال علي كرم الله وجهه اللهم عملي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ودعا جمعا من الأنصار فيهما أسيد بن حضير وسألهم فقال اللهم أعلمه يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه فعند ذلك دعا عثمان رضي الله تعالى عنه فقال أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلها فيها حيث يؤمن ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استحلقت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فإن عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب \* (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) \* والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فحتم ثم دعا عمر خاليا فأوصاه بالمسلمين وقبل أن يظهر الصديق رضي الله عنه هذا الأمر اطلع على الناس من كوة وقال أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي كرم الله وجهه فقال لا نرضى إلا أن يكون عمر قال فإنه عمر قال وكانت صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم كصلاتهم على غيره أي بتكبيرات أربع لا مجرد الدعاء من غير تكبيرات وهو يخالف ما تقدم المفيد أن صلاتهم إنما كانت مجرد الدعاء لا الصلاة المعهودة

وق يقال لا مخالفة وإنما نصوا على الدعاء لكونه مخالفا للدعاء المعروف في صلاة الجنائز على غيره صلى الله عليه وسلم

وفي شرح مسلم عن القاضي عياض واختلف هل صلى الله عليه وسلم فقيل لم يصل عليه أحد أصلا وإنما كان الناس يدخلون أرسالا يدعون ويتضرعون والصحيح الذي عليه الجمهور أنهم صلوا عليه أفرادا فكان يدخل عليه فوج يصلون فرادى ثم يخرجون ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك

وعن ابن الماجشون صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون صلاة كحزمة رضي الله عنه قيل له من أين لك هذا قال من الصندوق الذي تركه مالك رحمه الله تعالى بخطه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فصلى عليه الرجال الأحرار أولا ثم النساء الأحرار ثم الصبيان ثم العبيد ثم الإمام

واختلفوا في الموضع الذي يدفن فيه فمن قائل يدفن في البقيع ومن قائل ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب

اي وفي رواية أنه رضي الله عنه قال إن عندي في هذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبي إلا حيث قبض وفي لفظ لا يقبض الله روح نبي إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه

وعن أبي بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي إلا في أحب الأماكن إليه قال بعضهم ولا شك أن أحبها أي الأماكن إليه أحبها إلى ربه تعالى فإن حبه صلى الله عليه وسلم تابع لحب ربه جل وعلا وفي الحديث ما مات نبي إلا دفن حيث قبض فحول فراشه وحفر له ودفن في ذلك الموضع الذي توفاه الله فيه

واختلفوا هل يجعل له صلى الله عليه وسلم لحد أو يجعل له شق وكان في المدينة شخصان أحدهما يصنع اللحد والآخر يصنع الشق والأول هو أبو طلحة زيد بن سهل والثاني أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفي لفظ كان أبو عبيدة يحفر حينئذ لأهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لأهل المدينة فكان يلحد فقال عمر رضي الله عنه ترسلها لهما وكل من حضر منهما نزلناه فأرسلوا خلفهما رجلين وقال عمر رضي الله عنه اللهم خر رسولك وقيل المرسل والقائل ما ذكر العباس رضي الله عنه فسبق أبو طلحة رضي الله عنه فصنع له صلى الله عليه وسلم لحدًا وأطبق عليه بتسع لبنات ثم أهيل التراب وقد جاء في الحديث لحدوا ولا تشقوا فإن اللحد والشق لغيرنا وقد وى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرض موته أَلحدوا لي لحدًا وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وسل من قبل رأسه كما رواه البيهقي وصححه ابن عباس رضي الله عنهما أي وضع سريره صلى الله عليه وسلم عند مؤخر القبر فكان رأسه الشريف عند المحل الذي يكون فيه رجلاه فلما أدخل القبر سل من قبل رأسه ودخل قبره العباس وعلي والفضل وقثم وشقران واقتصر ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما على الثلاثة الأول وفرش شقران في اللحد تحته صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء

وفي رواية بيضاء كان يجعلها على رجله إذا سافر لأن الأرض كانت ندية وقال والله لا ييلسها أحد بعدك فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أخرجت أي عملا بوصيته صلى الله عليه وسلم فقد روى البيهقي عن أبي موسى رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أوصى أن لا تتبعوني بصارخة ولا مجمرة ولا تجعلوا بيني وبين الأرض شيئا لكن في رواية الجامع الصغير افرشوا لي قطيفتي في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجسا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان دفنه صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء وعن أم سلمة رضي الله عنه كنا مجتمعين نبكي تلك الليلة لم نم فسمعنا صوت المساحي فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة فأذن بلال بالفجر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب فزادنا حزنا فيالها من مصيبة ما أصابنا بعدها من مصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم

وعن فاطمة رضي الله عنها لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأنس يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وفي لفظ أطابت نفوسكم أن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التراب ورجعتم وفي رواية أنها قالت لعلي كرم الله وجهه يا أبا الحسن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالت كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه كان نبي الرحمة قال نعم ولكن لاراد لأمر الله وقد جاء ان الإنسان يدفن في التربة التي خلق منها وهو يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لأنهم دفنوا ثلاثتهم في تربة واحدة

فقد روى أن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرني الوفاة قال لمن حضره إذا أنامت وفرغتم من جهازي فاحملوني حتى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فأدخلوني وادفنوني وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق

ولما احتضر عمر رضي الله عنه قال لابنه عبد الله رضي الله عنه يا عبد الله ائت

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه فقل لها إن عمر يقرئك السلام ولا تقل أمير المؤمنين  
فإني لست اليوم بأمير المؤمنين وقل يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه فإن أذنت فادفوني  
وأن أبت فردوني إلى مقابر المسلمين فأتاها عبد الله وهو يبكي فقال إن عمر يستأذن  
أن يدفن معه صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسي ولأوثرنه اليوم على  
نفسي فلما رجع عبد الله إلى أبيه وأقبل عليه قال عمر أقعدوني ثم قال لعبد الله ما  
وراءك قال قد أذنت لك قال الله أكبر ما شيء أهم إلي من ذلك المضجع  
وقد ذكر أن الحسن رضي الله عنه لما سقي السم ورأى كبده تقطع ارسل إلى عائشة  
رضي الله عنه أن يدفن عند جده صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلما مات منع من ذلك  
مروان وبنو أمية فدفن بالبقيع ويذكر أنه رضي الله عنه قال لأخيه الحسين رضي الله عنه  
كنت بلغت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لي أن أدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقالت نعم ولا أدري لعلها كان ذلك منها حياء فإذا أنامت فاطلب ذلك  
منها فإن طابت نفسها فادفني في بيتها وما أظن القوم إلا سيمنعونك فإن فعلوا فلا  
تراجعهم في ذلك وادفني في بقیع الغرقد فإن لي فيمن فيه أسوة فلما مات الحسن رضي  
الله عنه جاء الحسين رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها فطلب منها ذلك فقالت  
نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان  
من دفنه هناك ويريدون دفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضي الله عنه فلبس الحديد هو  
ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه  
فانطلق إلى الحسين وناشده الله وقال له أليس أخوك قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى  
رضي الله عنه بدفنه بالبقيع فدفن بجانب أمه رضي الله عنها ولم يشهد جنازته أحد من  
بني أمية إلا سعيد ابن العاص لأنه كان أميرا على المدينة قدمه الحسين فصلى عليه إماما  
وقال هي السنة

قال ابن كثير رحمه الله والذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا أنه صلى الله  
عليه وسلم توفي يوم الاثنين قبل ان ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى  
والقول أنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريب والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم مكث  
بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الأربعاء  
وكان السبب في تأخره صلى الله عليه وسلم ما علمت من اشتغالهم ببيعة أبي بكر  
رضي الله عنه حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم وكان آخر  
من طلع من

قبره الشريف قثم بن العباس رضي الله عنهما وقيل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لأنه ألقى خاتمة في القبر الشريف وقال لعلي يا أبا الحسن خاتمي وإنما طرحته عمدا لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكون آخر الناس عهدا به قال انزل فخذة وقيل القى الفأس في القبر وقال الفأس الفأس فنزل وأخذها ويقال إن عليا كرم الله وجهه لما قال له المغيرة ذلك نزل وناوله الخاتم أي أو الفأس أو أمر من نزل وناوله ذلك وقال له إنما فعلت ذلك لتقول أنا آخر الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا واعترض بأن المغيرة رضي الله عنه لم يكن حاضرا للدفن

وقد روى أن جماعة من العراق قدموا على علي كرم الله وجهه فقالوا يا أبا الحسن جئناك لنسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه فقال لهم أظن أن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أجل عن هذا جئنا نسألك قال كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضي الله عنهما

وقام الاجماع على أن هذا الموضع الذي ضم أعضاء الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش

وعن انس بن مالك رضي الله عنه ما نفضنا الأيدي من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرونا قلوبنا قال بعضهم واطلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض وكان أحدنا ييسط يده فلا يراها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرط لأمتي لن يصابوا بمثلي وفي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فياله من خطب جل عن الخطوب ومصاب علم دمع العيون كيف يصوب وطارق هجم هجوم الليل وحادث هد كل القوي والحيل ولشدة أسف حماره عليه صلى الله عليه وسلم الذي كان يركبه ألقى نفسه في حفيرة فمات كما تقدم وتركت ناقته صلى الله عليه وسلم الأكل والشرب حتى ماتت وأنشد الحافظ الدمياطي عن غير

\* ألا يا ضريحا ضم نفسا زكية  
\* عليك السلام الله في القرب والبعد  
\* عليك سلام الله ما هبت الصبا  
\* وما ناح قمري على البان والرند  
\*

\* وما سحجت ورق وغنت حمامة  
 \* وما اشتاق ذو وجد إلى ساكني نجد  
 \* ومالي سوى حبي لكم آل أحمد  
 \* أمرغ من شوقي على بابكم خدي  
 \* = باب بيان ما وقع من الحوادث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم إلى زمان وفاته  
 صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال وبيان زمن ولادته عاما ويوما وشهرا ومكانا  
 اعلم أن الأكثر على أنه ولد عام الفيل وحكى بعضهم الإجماع عليه قال وكل قول  
 خالفه فهو وهم  
 وقيل بعد عام الفيل بنخمسين يوما وقيل بزيادة خمسة أيام وقيل شهر وقيل بأربعين يوما  
 وقيل بشهرين وعشرة أيام وقيل بعشرين سنة وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة  
 وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الأول لعشر خلون منه  
 وقيل لليلتين وقيل لثمان خلت واختاره الحميدي تبعا لشيخه ابن حزم وحكى القاضي  
 رحمه الله عنه عيون المعارف اجماع أهل التاريخ عليه وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو  
 المشهور وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وذلك في النهار عند طلوع الفجر وقيل  
 ولد ليلا وعليه عمل أهل مكة في زيارة موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم  
 وكونه في شهر ربيع الأول هو قول الجمهور من العلماء وحكى ابن الجوزي رحمه الله  
 الاتفاق عليه وقيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان  
 واختلف في مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التي كانت  
 لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وقيل بالشعب بالشعب بني هاشم وذلك المحل يزار  
 الآن وقيل بالردم وقيل ولد صلى الله عليه وسلم بعسفان  
 وفي السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف عند ظئره حليلة  
 رضي الله عنها وقيل كان في الرابعة وفيها ولد أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه  
 بمنى

وفي السنة السادسة من مولده صلى الله عليه وسلم كان وفاة أمة آمنة ودفنت بالأبواء  
وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة وقيل في دار رائعة بالمعلاة وفيها  
ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه

وفي السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم استقل بكفالته جده عبد المطلب  
وفيها اصابه صلى الله عليه وسلم رمد شديد وفيها استسقى عبد المطلب وهو صلى الله  
عليه وسلم معه بسبب رؤيا دقيقة وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن  
الحميري بالملك

وفي السنة الثامنة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة  
عمه أبي طالب له صلى الله عليه وسلم  
وفي هذه السنة مات حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ومات  
كسرى أنو شروان

وفي السنة التاسعة من مولده صلى الله عليه وسلم قيل سافر به عمه أبو طالب إلى  
بصرى من أرض الشام وهي مدينة هوازن

وفي السنة العاشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الأولى  
وفي السنة العاشرة وقيل الحادية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان شق صدره  
الشريف

وفي السنة الثانية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان حرب الفجار الثانية وكان  
سفر عمه أبي طالب به صلى الله عليه وسلم إلى بصرى من أرض الشام على ما عليه  
الأكثر

وفي السنة الثالثة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم ولد عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه

وفي السنة الرابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان عمه الزبير والعباس ابني  
عبد المطلب لليمن للتجارة وصحبهما النبي صلى الله عليه وسلم  
وفي السنة الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفره صلى الله عليه

وسلم إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة  
وفي سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه  
في الكعبة  
وفي سنة اربع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولدع معاوية بن أبي سفيان رضي  
الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه  
وفي سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وبنتها  
وفي سنة سبع وثلاثين رأى صلى الله عليه وسلم الضوء والنور وكان صلى الله عليه  
وسلم يسمع الأصوات  
وفي السنة الأولى من النبوة كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد  
أن مكث صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يوحى إليه في المنام  
وفي السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل  
وفي السنة الرابعة من النبوة كان إظهار الدعوة  
وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضي الله عنها وقيل ولدت في الرابعة  
وفي السنة الخامسة أيضا كانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وفيها ماتت سمية أم  
عمار بن ياسر رضي الله عنهم وهي أول شهيدة في الإسلام  
وفي السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعمر بن  
الخطاب رضي الله عنه وقيل أسلما رضي الله عنهما في سنة خمس وكان إسلام حمزة  
رضي الله عنه قبل إسلام عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام  
وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بني هاشم وبني  
المطلب وقيل كان ذلك في السادسة وقيل في الخامسة وقيل في الثامنة وذلك في خيف  
بني كنانة بالأبطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة شرفها الله عند المقابر  
وفي السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم  
وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى  
الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن وفيها جاءه صلى الله عليه وسلم جن  
نصييين وأسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم سودة رضي الله عنها بنت زمعة  
ودخل عليها في مكة وفيها عقد صلى الله عليه وسلم عقده على عائشة رضي الله عنها  
ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها إلا في المدينة

وفي السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم  
وفي السنة الثانية عشرة من النبوة كان الإسراء والمعراج وفيها وقعت بيعة العقبة الأولى  
وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التي هي الكبرى وبعضهم  
يسمونها العقبة الثالثة ويسمى إسلام الأنصار عقبة مع أنه لا مبايعة فيه وفي هذه السنة  
أراد أبو بكر رضي الله عنه ان يهاجر للحبشة فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة  
سيد القاره

وفي السنة الرابعة عشرة من النبوة وهي السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة فكانت  
الهجرة فيها في صفر أو في غرة ربيع الأول وفيها كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله  
عليه وسلم ومسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم قيل وكان  
ابتداء خدمة أنس رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه  
وسلم لما قدم المدينة صارت الأنصار يبعثون إليه صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم  
ونسائهم وكانت أم أنس رضي الله عنهما لا شيء لها تهديه له صلى الله عليه وسلم  
فكانت تتأسف فأخذت يوما بيد أنس رضي الله عنه وقالت يا رسول الله هذا يخدمك  
وجاء أن زوجها أبا طلحة رضي الله عنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقال يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك

وجمع بأن أمه جاءت به أولا ثم جاء به أبو طلحة ثانيا لأنه وليه وعصبته قال في  
الخميس وهذا غير مجيئه به لخدمته صلى الله عليه وسلم في غزوة حبير وفيها كما في  
الأصل وقيل في السنة الثانية زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة  
المغرب لأنها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الأولى كذا قيل وفي  
هذه السنة مات من مشركي مكة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل  
لعنه الله يا عم ما جزعك فقال والله ما بي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر  
دين ابن أبي كبشة بمكمة فقال أبو سفيان رضي الله عنه لا تخلف إني ضامن أن لا  
يظهر وفيها مات العاص بن وائل وفيها مات أسعد بن زرارة رضي الله عنه وفيها ابتدئت  
الغزوات فكان فيها غزوة الأبواء وغزوة ودان كما في الأصل وفي هذه السنة بنى صلى  
الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وفيها شرع الأذان وفيها صلى صلى الله

عليه وسلم الجمعة في طريقه حيث ارتحل صلى الله عليه وسلم من قباء إلى المدينة وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها في الإسلام وفيها أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان فيها بعث عمه حمزة رضي الله عنه يعترض عيرا لقريش وبعث ابن عمه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه إلى بطن رابع وبعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخرار يعترض عيرا لقريش

وفي السنة الخامسة عشرة من النبوة والثانية من الهجرة تزوج علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنها وتكنيته بأبي تراب وغزوة بواط وغزوة العشيرة وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة وتحويل القبلة وتجديد بناء مسجد قباء وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر وشروع صلاة عيده وفرض زكاة الأموال وغزوة قرقرة الكدر وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه وغزوة بن قينقاع وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضي الله عنه والتضحية وصلاته عيدها

وفي السنة السادسة عشرة من النبوة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن سلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرف لعنه الله وتزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم رضي الله عنها وغزوة غطفان وغزوة بحران وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى قردة وتزوج حفصة رضي الله عنها وتزوج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وولادة الحسن وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد وعلوق فاطمة بالحسين رضي الله عنها وفي السنة السابعة عشرة من النبوة والرابعة من الهجرة سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى قطن ووفاته وسرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنه إلى عرنة لقتل سنان بن خالد وسرية القراء رضي الله عنهم إلى بئر معونة وقصة الرجيع وسرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى مكة لقتل أبي سفیان رضي الله عنه وغزوة بني النضير ووفاة زينب بنت خزيمة وغزوة ذات الرقاع وصلاة الخوف وولادة الحسين رضي الله عنه وغزوة بدر الصغرى وتزوج أم سلمة رضي الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم

وفي السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسي ونزول آية التيمم وتزوج جويرية رضي الله عنها وقصة الإفك وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وقصة أولاد جابر رضي الله عنهما وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها ونزول آية الحجاب وفرض الحج

وفي السنة التاسعة عشرة من النبوة والسادسة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى القرطاء وقصة ثمامة وغزوة بني لحيان وغزوة الغابة وسرية عكاشة رضي الله عنه إلى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى ذي القصة وسرية أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه إلى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة رضي الله عنهم وسرية زيد ابن حارصة رضي الله عنهما إلى بني سليم بالجموم وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى العيص وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى وادي القرى وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى أم قرفة وسرية عبد الله ابن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع وسرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أسير ابن رزام اليهودي بخيبر وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى حسمي وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهر وتحريم الخمر وتزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضي الله عنها

وفي السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة كان اتخاذ الخاتم وإرسال الرسل إلى الملوك ووقوع السحر به صلى الله عليه وسلم وغزوة خيبر وفتح وادي القرى والدخول بأم حبيبة رضي الله عنها وسرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى طائفة من هوازن وعمرة القضاء وتزوج ميمونة رضي الله عنها وسرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه إلى بني سليم

وفي السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة كان إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه وسرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه إلى بني الملوحة وسريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه بفدك واتخاذ المنبر الشريف وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه إلى بني عامر وسرية كعب ابن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح وسرية مؤتة وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السلاسل وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى سيف البحر وسرية أبي قتادة رضي الله عنه إلى بطن اضم وسرية عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه إلى الغابة وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى بنخلة وسرية عمرو ابن العاص رضي الله عنه إلى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه إلى مناة صنم للأوس وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جزيمة وغزوة حنين وسرية

أبي عامر رضي الله عنه إلى أوطاس وسرية ابن الطفيل إلى ذي الكفين وغزوة الطائف وولادة ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وقدم أول الوفودح عليه صلى الله عليه وسلم وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وفي السنة الثانية والعشرين من النبوة وهي التاسعة من الهجرة بعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم وبعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق وسرية قطبة ابن عامر رضي الله عنه إلى خثعم وسرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه إلى بني كلاب وسرية علقمة بن محرز رضي الله عنه إلى أهل الحبشة وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى القلس وبعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه إلى الجباب وإسلام كعب ابن زهير وهجره صلى الله عليه وسلم لنسائه وغزوة تبوك وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك إلى أكيدر وإرسال كتابه من تبوك إلى هرقل وهدم مسجد الضرار وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم وقصة اللعان وإسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشي ووفاة أم كلثون رضي الله عنها وموت عبد الله بن أبي ابن سلول وحج أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهي العاشرة من الهجرة قدم عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه وبعث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن وبعث خالد ابن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى اليمن وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي الخلصة وبعث جرير بن عبد الله أيضا رضي الله عنه إلى ذي الكلاع وبعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران وقصة بديل وتميم الداري ووفاة ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وخروجه صلى الله عليه وسلم للحج وفي السنة الرابعة والعشرين من النبوة قدم وفد النخع وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبنى وقصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة وما وقع في ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه ووقت مرضه صلى الله عليه وسلم وموته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك

وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا اللهم ألهمنا رشدنا وأعدنا من شر نفوسنا اللهم ارزقنا نفسا مطمئنة تؤمن بقلائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك اللهم إنا مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بحولك وقوتك \* (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) \*

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد واختم لنا بخير وأصلح لنا شأننا كله وافعل ذلك بإخواننا وأحبابنا وسائر المسلمين واستغفر الله من قول بلا عمل واستغفره من كل خطأ وزلل وأسأله علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا وعملا متقبلا وشفاء من كل داء وأن يجعل ذلك حجة لنا ولا يجعله حجة علينا إنه جواد كريم رؤوف رحيم لطيف خبير والحمد لله وحده

اللهم صل على من لا نبي بعده عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات المكلمة والرحمة المنزلة من عندك اللهم احشرننا في زمرة واجعلنا من خدام سنته آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم